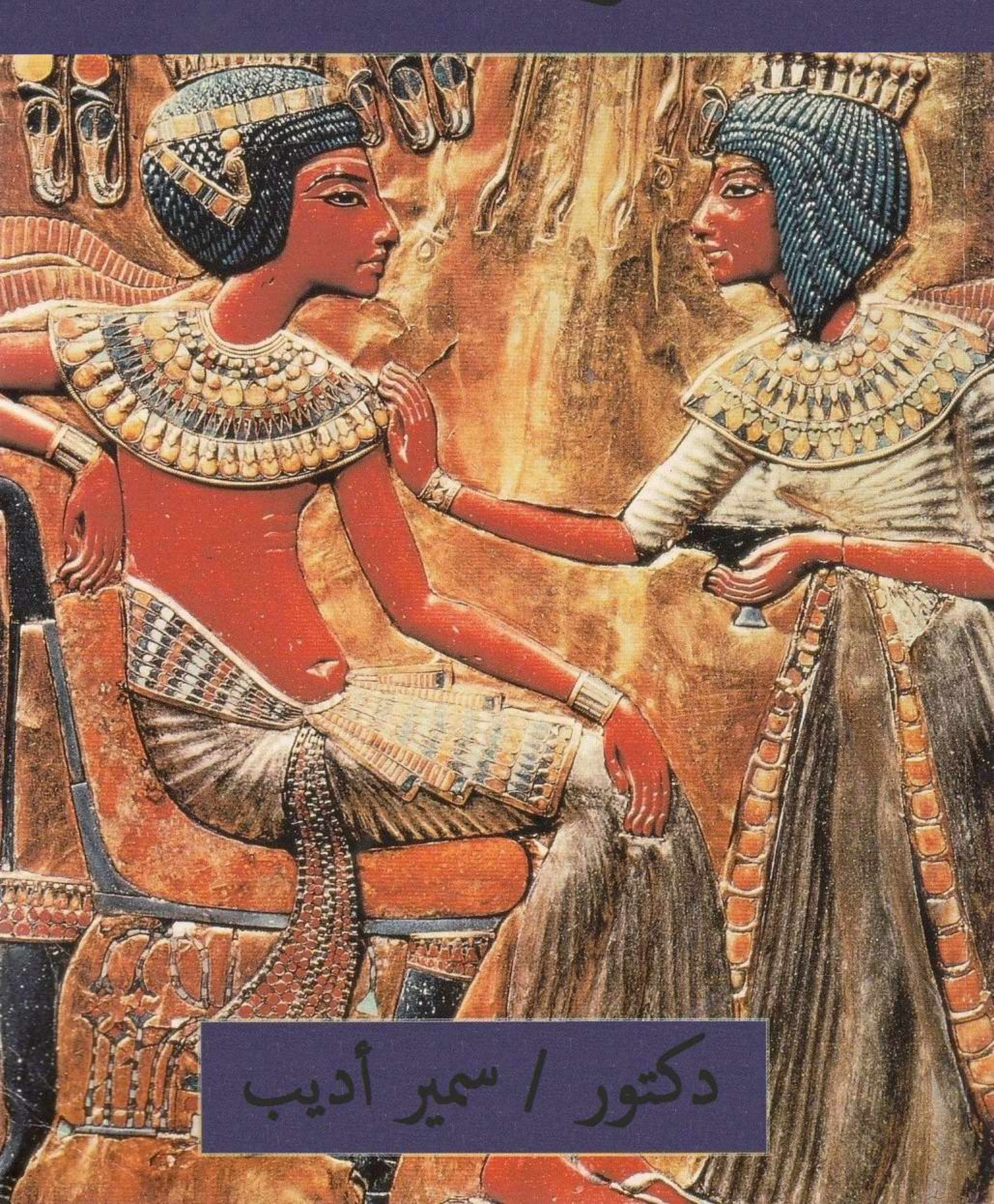
تاريخ و حضارة

مصر القديمة



دكتور / سمير أديب

تاريخ وحضارة
مصر القديمة

دكتور
سمير أديب
مدرس الآثار والحضارة المصرية القديمة

١٩٩٧

مقـــدمة

مصر ، اســـم قدسته الأديان ، وكـرمته كتب الســماء ، أنه سجل مـفاخر الأنسـان ، مرآه أمـجاد البشر ، وصرح الحضارة بـأسمى معانيها ، أنـه التاريخ نفـسه بجـميع حقائقه ، ومن ثم فقـد كان إسم مصر متلازما مع المـصريين منذ عصور الـتاريخ القديم ، لـه أساس تاريخى ، وجـغرافى ، ودينى ونـفسى ، وليـــس إسما نشأ لمجـــرد ظروف سـياسيـة يمكن تغييـره فــى ظروف سيـاسية أخرى ، فهو أقدم إسم يحمله أقدم بلد فى الدنيا ، إسم حملته مصر الفرعونية ومصر الـقبطية ومصـر الإسلامية ومصـر الحديثة ، على مـدى عدة آلاف من السنين .

مـصــر ، ذلك البلد الـعظيم الذى نعـيش على أرضه ونـستظل بســمائه ، ونشــرب مــن ماء نيـله ، أعطاها الله العـديد من الميزات ، وحـبتها الطبـيعة بالفـريـد من الصفات ومن هنا فـليس عجبا ان كانت « أول أمـة » فى التاريخ تمــت فيهـا عناصر الأمة بمعناها الكـامـل الصحيح ، وبعـــدها كانــت « أول دولـــة » بالمعنى السـياسى المنظم ، نجـحت فــى أن تـنـظم « أول ملكــية » عرفتـها البشـرية ، وفـى أن تحافظ علـى وحـدتها القـومـية عبر التاريخ ، وما أن يمضـــى حين مـــن الدهـر حتى تصبح أعـظم قوة سياسـية عـرفها الـتاريخ القديم .

مصر ، لـم تسبق العالـم كدولة سياسـية فحسب ، وإنما هـى أطول دولة حافظت على وحدتـها القومية عبر التاريخ ، فلـم يحدث خلال ستة الآف عام من الحكم المنظم ، ان انفرط عقد وحدتهـا وتدهورت إنفصاليات إقليمية ، إلا فى حـالات نادرة شاذة ، أغلـبها مـفروض من قوى أجـنبيـة دخيلة ، كـغزو الهكـسوس حين إنفردوا بالدلتا ، وظل الصعيـد معقل الدولة الوطنية المستقلة ، كما كان فى البدء قاعدة التوحيد .

وهكـذا بقيـت مصر - وستـبقى - شـامخه تـتحدى المعـتدين ، وتمـتص الحـضارات وتـضيفـ إليها ، كـما تمتص مطامـع الغزاه وتلين مـن ضراوتها ، حتى تبددهـا آخر الأمر بالصبر والعـزم ، بالكفاح والمقاومة ، وبـشئ آخر غير منظـور وان كان محـسوسا ، عـراقة التاريـخ الرابض فى الـصخور وعلـى ضفـاف النيل فـى الأهرامات والمعـابـد والهـياكل والتـماثيل ، والـذى كان - وسيظـل - دليلا علـى عظمة هذا الـشعب الذى آمن بـربه وبوطنـه ، إيمانا لا نعـرف أنه إتفق لـكثير مـن غيره مـن شـعوب الدنيـا ، ثم أحب هـذا الوطـن حبا مصدره اليقـين ، وليـس الهوى ، بحيث أضحى لدى أصـحابه من قواعد الايمان .

ومن ثم فقد إستحق أن يتصدر تاريـخ الدنيا فى عصره ، وأن يمثل صفحة الذهـب من هذا الوجود ، وحسبنا أن تاريخ مـصر قد أضحى نغما حلوا فى فم الدهر ، يـغنيه فيـطرب له الكون وسيـظل يطرب ما بـقيت مصر ، وبـقى فى الدنيا ما يقدر تاريخ مصر ، وهو أمر يجمع الـعالم كله عليه ، وعلى حد تعبير

مورخ اوروبى كبير « لا تكاد اليوم توجد جامعة فى العالم تحترم نفسها ليس فيها كرسى للدراسات المصرية القديمة » ، وإن كان الأمر عندنا فى مصر والعالم العربى يختلف عن ذلك كثيرا .

وبعد ، فهذه الدراسة إنما تقدم لمحات خاطفة من أمجاد مصر ، وهى أمجاد تكاد لا تحصى ، وكلها تثبت دونما ريب أن المصريين القدامى إنما قد قاموا - منذ نشأة حضارتهم على ضفاف النيل - بدور هام فى تاريخ الإنسانية وحضارتها ، فقد إبتكروا الكثير من المنجزات التى ساعدت على تقدم المدينة ، وقاموا بنشر حضاراتهم بين جيرانهم من الشعوب .

كانوا هداه وعلماء ومرشدين ، يوم أن كانت الدنيا طفلا يحبو فى جهاله القرون ، نقشوا على الحجر ، وكتبوا على الورق ، واهتدوا إلى معرفة الأله الواحد الأحد ، يوم كانت الشعوب الأخرى تضطرب جهلا بين العديد من الآلهة ، ينسبون اليهم ما يعجزوهم من ظواهر وأحداث ، عرفوا العدل والحق والحرية وآمنوا بالقيم المثلى ، وإنتظمت فى بلادهم الإدارة ، ونمت لديهم مقومات الأمة ، يوم كانت الشعوب الأخرى تعيش فرقا متناثرة وقبائل متناحرة ، قانونها الحق للأقوى ، وملاك تصرفاتها غريزه غشوم هوجاء .

غير أن المباهاه بالتاريخ المجيد العريق لا ينبغى أن تكون مجرد مباهاه بتذكر أمجاده ، وإنما كذلك بالعمل من أجل رفعة الوطن ، بالاستذاده من العلم والتعمق فيه ، بالتمسك بالخلق والقيم والفضائل ، بالإيمان بالله ، بحب مصر والعمل من أجلها ، حتى نكون أكفاء للمجد العريق ، جديرين

بالأنتساب إلى هؤلاء الذيـن صاغوا يوما تاريخ العالم ، حينما كـان يعيش فيما قبل التاريخ .

لقد أثبت المصريـون فى كل زمان أنـهم يدركون قـدر أنفسـهم ويدركون التبعات التى ألقـاها على كاهلهم مركزهم الجغرافى فـى هذا الجزء من العالم ، وسيرى قارئ هذا الكـتاب قصة تاريخ هذا الشعب منـذ أقدم عصوره وسيدرك من تلـقاء نفسه أن مـصر لم تخضع يـوما من الأيام لغـزو أو إستعمار أجـنبى وترتضيه ، وإن غلبـت على أمرها يوما من الإيام فلا تلبـث إلا حينا حتى تجد الزعيم الوطنى المخـلص الذى يدعوه إلى العمل ويتقدم الصفـوف فتلبى دعوته وتبدأ عهدا من عهودها الزاهره .

وقد فضـلت فى عرض قصـة حضارة مصـر فى هذا الكتـاب أن أوجز فى بعض تـفاصيله للـمهم منـهـا ، وأن أتحاشـى البعـض الآخر ، تخفيفـا على القارئ ، ومن يـريد المزيد من المعرفـة والبحث والاطلاع زودته فى كـل نقطة قدر الأمكان والتخفيف بالمراجع المتخصصة فى كل موضوع .

إن مصر مهما تقلبت عليها الأحداث ، وتعرضت لحلو الأيام ومرها ، فقد ظلت دائمه سليمه العنصر ، وبقى شعبها حيا ، لأنه جدير بالحياه .

حقا أن الأمم المتحضره تقهر قاهريها ، يقهرونها بسلاح الحرب ، وتقهرهم بأصالة الحضارة .

والله ولى التوفيق

د . سمير أديب

الباب الأول

مصـــــــر

فى العصور الفرعونية

الفصل الأول

عصور ما قبل التاريخ

الفصل الأول

عصور ما قبل التاريخ

وهى عصور طويـلة للغاية وتشمل الفـترة التى لم يستطع فيـها انسان هذا العصـــر من التعبـير عن نفسه كـتابة ، ليسجـل ما يعنيه مـن أمور وأحداث ، فالتدويـــن فـى مصــر أى الأثار المكتوبه التـى تتميز بعلامـاتها الهيروغلـيفية بـدأت تـظهر فى مصر فـى نهاية الألف الرابـع أو الألف الثالث قبـل الميلاد . وعلـى ذلـك فيمكن تعـريف عصور ما قبـل التاريخ بأنهـا العصور التـى لـم يتعارف فـيها هذا الأنسان عـلى علامات كتابـية مكنته مـن التعبير عـن نفسه كتابـه ليسـجل مـا يهمه من أمور ويترجـم بها مالديه مـن أفكار ، فالـكتابـه فى الـواقـع تعـتبر الحـد الفاصل بـين عصور ما قـبل التـاريخ ، وبين العـصر التاريخى .

ودراســـة عـصور ما قبـل التاريخ تعـتمد على مـا خلفه لنا الأنـسان من أدوات ، وأسلحه وأوانى مختلفة ، وما أبقاه لنا الزمن من أطلال منازل وبقايا مقابر وما شابه .

وتنقسم عصور ما قبل التاريخ إلى ثلاثـة عصور هامة تنتسب إلى كلمة من أصل أغريقى هى كلمة Lithic بمعنى حجرى ، وذلك إشارة إلى تغلب الأدوات الحجرية فيها[1] .

---

(1) Hune, Geology Of Egypt, 2 Vols, Cairo, 1925 - 1935.

Baungaertei, The Cultures of Prehistoric Egypt, Oxford, 1947.

١- العصر الحجرى القديم Palaeolithic من ٦٠٠,٠٠٠ إلى ١٠,٠٠٠ق.م
٢- العصر الحجرى الوسيط Mesolithic من ١٠,٠٠٠ إلى ٥,٠٠٠ق.م
٣- العصر الحجرى الحديث Neolithic من ٥,٠٠٠ إلى ٣١٠٠ق.م

ونبدأ الأن بالحديث عن :

العصر الحجرى القديم:

ويرمز هذا العصر لأطول وأقسى مرحلة عرفها الأنسان ، فقد كان عليه من البداية أن يستخدم عقله ليقاوم ضراوه الحيوانات الكاسره التى كانت غالبا ما تشاركه نفس البيئة بل وتنافسه فى الصيد ، فاضطر إلى صنع أسلحته البدائية لكى يدافع عن نفسه . إذن فالصيد كان حرفته الأولى ونتيجة لصيد هذه الحيوانات فكر فى إستغلال جلودها وفراءها كملبس يقيه قسوة الطبيعة ، ثم بعد ذلك إنتقل من حرفه الصيد إلى الرعى ومنها إلى الزراعة التى علمته الأستقرار والملكية وتكوين الأسرة ، فالجماعة ، فالقبيلة . وكان للشعور الغريزى بالخوف من المجهول أكبر الأثر فى دفع إنسان هذا العصر إلى المعتقدات المختلفة التى إصطلح على تسميتها بالدين .

وقد ظهر الإنسان الأول فى الزمن الرابع من تاريخ القشرة الأرضية وهو زمن له عصران، الأول يعرف بأسم البلايستوسين Pleistocene وهو عصر طويل للغاية إختلف العلماء على توقيته ، فمنهم من يقدره بعشرات الالآف من السنين ومنهم من يقدره بمئات الالآف من السنين . وعصر البلايستوسين يمثل العصر الحجرى القديم بأقسامه : الأسفل والأوسط والأعلى .

والعصر الحجرى القديم يتميز بالالآت الحجرية الخشنة التى لم تشذب بعد ، ومن الناحية الاقتصادية إعتمد إنسان هذا العصر على الصيد والجمع ، أى كان جامعا للقوت الذى تقدمه له الطبيعة وليس منتجا له ، بمعنى أنه كان يسلك جمع كل ما يستطيع جمعه من الطبيعة المحيطة به ولكنه لم يتوصل بعد لإنتاجه .

وأدوات العصر الحجرى القديم تعتبر وليدة لإحتياجات الانسان الأول بمعنى أنه شكلها لهدف معين ورغبة مخلصه فى الدفاع عن نفسه وصيد ما أمكنه من الحيوانات وإقتلاع ما يطيب له من الجذور النباتية . وكانت الفأس اليدوية Hand Axe وهى الأداة الرئيسية التى نتجت من هذا الهدف وحققت له هذه الرغبة ، وهى عبارة عن قطعة من الحجر الذى يتوفر فى البيئة ذات قاعدة مستديرة ونهاية مدببه .

أما إنسان العصر الحجرى القديم الذى إستعمل هذه الأداة فى وادى النيل فقد عثر على عظام له فى منطقة حوض كوم إمبو وهى ترجع إلى العصر القديم الأعلى وهى تشبه فى تكوينها عناصر إنسان بداية المعادن . وقد تميز إنسان هذا العصر بالوجه وقوه الفك وبروز عظام الحاجب واعتدال القامه .

العصر الحجرى الوسيط :

وهو يعتبر فترة إنتقال بين العصرين الحجرين القديم والحديث ، إهتم فيه الإنسان بتحسين حالته ما إستطاع إلى ذلك سبيلا ، كما حاول فيه أن يحسن بعض أدواته الحجرية .

العصر الحجرى الحديث :

وينقسم إلى مرحلتين :

الأولى : بقيت فيها الأدوات الحجرية هى الأدوات الرئيسية دون إستخدام المعادن وهذه المرحلة تسمى العصر الحجرى الحديث الصرف .

الثانية : بدأ فيها الانسان يستخدم المعادن وعلى وجه الخصوص النحاس ، ولذلك تسمى العصر النحاسى الحجرى ، أو عصر بداية المعادن .

(أ) العصر الحجرى الحديث الصرف :

ومراكزه الرئيسية التى إكتشفت حتى الآن هى مرمدة بنى سلامه فى غرب الدلتا ، والعمرى عند رأس الدلتا (شمال حلوان) ، والفيوم «أ» . والثلاثة يمثلون حضارة الشمال . أما الجنوب فتمثله دير تاسا (مركز البدارى فى أسيوط) . . وتتميز حضارات العصر الحجرى الحديث بخصائص عامة أهمها :

١- إستئناس الحيوان .

٢- الأهتداء إلى الزراعة ، وترتب عليها الحياة المستقرة .

٣- صقل الأدوات الحجرية وتعدد أنواعها .

٤- معرفة صناعة الفخار وجدل السلال ونسج الكتان .

وسنأخذ الأن مرمده بنى سلامه كمثل لحضارات الشمال ، ودير تاسا كمثل لحضارات الجنوب .

مرمده بنى سلامه :

تقع على نحو ٥١كم شمال غرب القاهرة ، وهى قرية نيوليثيه حجمها ما

يقرب من ٦٠٠ × ٤٠٠ متر . شيد أهلها اكواخهم المبنية بالطين على جانبى طريق رئيسى مستقيم وربما أن هذا أقدم تخطيط للقرية ، ودليل على وجود سلطة شرعية شرعت التنظيم وأمرت بتنفيذه .

ووجدت بالمنطقة آثار نوعين من المساكن نوع بنى بالطين ويعتمد أساسا للمبيت وخاصة فى ليالى الشتاء ، وهى مساكن بيضاويه الشكل تبنى فى حفره متسعه بحيث يكون جزء من المسكن تحت سطح الأرض لحمايته ، ويتراوح مساحتها بين ١ × ١,٥ متر ، وبين ٢ × ٣,٢٠ متر ، مما يحتمل معه أن الصغرى ربما كانت مساكن فردية والكبرى مساكن جماعية[1] .

أما النوع الثانى من المساكن فتدل عليه فجوات ضيقه فى الأرض وجدت فى بعضها أجزاء من البوص ، وتكون كل مجموعة منها شكلا شبه بيضاوى مما أدى إلى الأعتقاد أنها كانت فجوات لأوتاد من البوص تكون كل مجموعة منها كوخا أو خصا ليحتمى فيه صاحبه من الشمس والريح ، وليبيت فيه فى شهور الصيف .

وقد عرف أهل مرمده الزراعة وكانوا متعاونين فيما بينهم ويخزنون غلالهم ، وكانت لديهم قطعان من الماشيه والخنازير والماعز والخراف . وإستعمل السكان مناجل من الظران ليقطعوا بها أعواد القمح كما كانت لديهم سكاكين من الظران وفؤوس للقتال واستعملوا أيضا السهام ودبابيس القتال .

(1) Junker, vorbericht die Grabungen auf des Neolithichem Siedlung Von Merimde-Benisalame, Wien, 1929, 1930, 1932, 1934.

أما فخار أهل مرمده فهو أسود خشن بسيط فى أشكاله يتناسب مع مطالب الحياة ، ويتميز بوجود الآنية لحمله منها وتحليتها ، أو ثقوبا فى جوانبها لتعليقها منها . كما إهتم سكان مرمده بالكماليات بدليل استخدام نسائهم عقودا من المحار وأسنان الخنزير البرى وحلقان من العاج .

وكان أهل مرمده يغزلون الكتان ويصنعون منه ملابسهم ، ويدفنون موتاهم بين مساكنهم وليست فى جبانه مستقله ، وكان القبر عبارة عن حفرة بسيطة بيضاوية يوضع فيها الميت فى وضع القرفصاء وغالبا ما يكون راقدا على جانبه الأيمن ومتجه بوجهه نحو الشرق .

دير تاسا :

وتقع على الجانب الشرقى للنيل على مقربه من البدارى بمحافظة أسيوط ، والمقبرة التاسيه عبارة عن حفره بيضاويه صغيرة أركانها مستديره وعمقها يبلغ المتر أو أكثر قليلا ، وغالبا ما يوجد فى جدارها الغربى فجوة صغيره بها آنيه ، وكان الميت يوضع فى هيئة القرفصاء بحيث تكون رأسه للجنوب ووجهه يتجه نحو الغرب . وهذا الوضع يخالف وضع الميت فى مرمده بنى سلامه ويتفق فيما أصبح عليه الحال فى أغلب عصور مصر الفرعونية . كما نلاحظ أيضا فى مقابر دير تاسا وجود وسائد يوضع عليها رأس المتوفى غالبا من القماش أو الجلد وكان يلف الجسد بالحصير أو الجلد أو الكتان ، وذلك طبقاً لثراء المتوفى .

أما فخار دير تاسا فمن مميزاته أنه فخار أحمر ذو حافة سوداء ، وفخار

أسود مصقول . وأهتم النساء بمستلزمات الزينه فقد عثر على لوحات صغيرة لصحن الألوان بها آثار اللونين الأحمر والأخضر ، وأساور ومجموعة من الحلى صنعت من العظم أو العاج والحجر أو الودع .

(ب) العصر الحجرى النحاسى ، او عصر بداية المعادن :

ومراكزه الرئيسية التى تم الكشف عنها حتى الآن هى البدارى بمحافظة أسيوط وتمثل البداية ، ثم نقاده الأولى وتمثل التقدم ، ونقاده الثانية وتمثل النضج وهما بمديرية قنا ، ثم أخيرا المعادى وتمثل حضارة الدلتا . . . على أن أغلب الباحثين يفضل أن يطلق على الحضارات الثلاث الأخيرة إصطلاح عصر ما قبل الأسرات .

حضارة البدارى :

تقع بمحافظة أسيوط ، وتتميز تلك الحضارة بأن أهلها عرفوا النحاس وصنعوا منه حبات صغيرة إستخدموها فى حليهم مع حبات الفيروز والعقيق كانت تسلك فى خيط من الكتان على هيئة قلائد أو أساور . وأهتموا أيضا بمستلزمات الزينة وعرفوا الملابس الكتانية والجلدية ، واستخدموا المعالق التى تشبه لحد ما ما نستخدمه منها اليوم ، وثقبوا الأبر التى كانت تصنع من العاج أو العظام أو النحاس[1] .

وإهتم أهل البدارى بالأرتقاء بصناعة الفخار والعناية برقة جدرانه

(1) Brunton-Thompson, The Badarian Civilization and Predynastic Remains near Badari, London, 1928.

وزخرفته ، واستعملوا عصى للرماية معقوفه هى « البوميرانج » لصيد الطيور المائية . ومن مميزات حضارة البدارى أيضا تماثيل النساء الصغيرة من الفخار والصلصال أو العاج والمقبرة فى البدارى كانت عبارة عن حفره بيضاوية أو مستديره ليس بها فجوه جانبيه ، ويوسد بها المتوفى على جانبه الأيسر على ما يشبه الأريكه ورأسه إلى الجنوب ومتجه بوجهه نحو الغرب .

(جـ) عصر ما قبل الأسرات :

ويشمل حضارات نقاده الأولى والثانية وتمثل حضارات الصعيد ، والمعادى وتمثل حضارة الدلتا .

حضارة نقاده الأولى :

تقع بمحافظة قنا ، وقد قام بالتنقيب هناك العالم « فلندرز بترى » ، ولغرابه ما عثر عليه هناك من آثار تختلف عما كان معروف من قبل فضل ألا يسميها جميعها بإسم مكان واحد ورأى أن يرتب هذه الآثار طبقا لأنواع الفخار المختلفة وأنواعها الوفيرة التى تم الكشف عليها بداخل المقابر التى وصلت إلى ١٥٠٠٠ مقبره ، وهداه تفكيره إلى أن يتتبع تطور الفخار ومراحله المختلفة ، وقسم هذه المرحلة إلى خمسين مرحله أطلق عليها « التوقيت المتتابع » أو «التوقيت الزمنى» ، وقسم هذه المراحل إلى مجموعتين كبيرتين أطلق على أقدمها حضارة نقاده الأولى ، وأحدثها حضارة نقاده الثانية .

وتوصل إلى تسميه المراحل بين ٣٠ - ٣٨ باسم **حضارة العمره** (جنوب جرجا) وهى الفترة الممثلة لبداية ما قبل الأسرات ، وأطلق على المراحل ما

بين ٣٨ - ٦٠ **حضارة جرزه** (عند مدخل الفيوم) وهى الفترة الممثلة لأواسط ما قبل الأسرات ، وأطلق على ما بين ٦١ - ٧٨ إسم **حضارة سماينه** (غرب قنا) وهى الفترة الممثلة لنهاية ما قبل الأسرات ، وبعدها تبدأ الأسرة الأولى الفرعونية مباشرة ، وقد أصاب التوفيق « بترى » عندما ترك المراحل الثلاثين الأولى خاليه لما يستجد من نتائج الأكتشافات ، فعندما كشف حضارة البدارى خصصت لها المراحل من ٢٠ - ٢٩ ، أما ماقبل العشرين فقد ترك لحضارات العصر الحجرى الحديث الصرف[1] .

وتتميز حضارة نقاده الأولى بالفخار الأحمر المصقول والفخار الأحمر ذى الحافة السوداء ، ونوع ثالث يطلق عليه الفخار ذو الرسوم البيضاء المتقاطعة ، ويتميز الفخار بتنوع أشكاله فهناك الطواجن والأطباق والأكواب والأوانى ، أما رسوم هذا الفخار سواء التى رسمت على جدرانه الداخلية أو الخارجية فمنها ما يمثل زخارف هندسية ، ومنها ما يمثل مناظر طبيعية . ومن أدوات الأستعمال اليومى وجدت إبر وأمشاط وألواح من العاج بجانب بعض التماثيل للنساء . أما مقابر نقاده فهى عبارة عن حفره بيضاويه وجد فيها المتوفى فى وضع القرفصاء على جانبه الأيسر والرأس نحو الجنوب والوجه ناحية الغرب ، وقد لفت الجثه بجلد الماعز أو الحصير . كما وجدت مقابر جماعية ، ويرى العالم الألمانى Otto أن هذه المقابر الجماعية ربما كانت عائلية أو ربما كانوا أتباعا للمتوفى قتلوا لخدمه سيدهم فى العالم الآخر ، كما وجدت بعض مقابر أخرى دفن فيها الأنسان بجانب الحيوان وخاصة الكلاب والغزلان ، وقد يدل على منزله هذا الحيوانات لدى المتوفى .

(1) Hazayyin, The Place of Egyptian Prehistory. Cairo 1941.

حضارة نقاده الثانية :

إنتشرت هذه الحضارة إلى منطقة النوبة السفلى جنوبا ، وإلى جرزه وأبو صير الملق والمعادى شمالا ، على أنه للآن لم يتم الكشف على أى آثار ترجع لحضاره نقاده الثانية فى الدلتا .

وتتميز هذه الحضارة بنوع من الفخار ذى زخارف أو رسوم حمراء ، وهى رسوم تندر فيها الأشكال الهندسية ، وتكثر فيها الصور الحيوانية والأنسانية والطيور المائية بجانب صور لمراكب ونباتات ، كما تميزت أيضا بنوع آخر من الفخار وهو فخار ذى مقابض متموجه ، هذا بجانب الأوانى الحجرية والصلايات التى أتخذت أشكالا مختلفة منها ما هو مربع ومنها ما هو مستطيل ومنها ما إتخذ شكل الطير أو سمكه ، والمقابر عبارة عن حفره مربعة أو مستطيل حاول المصرى فيها تحديد جوانب المقبره الداخلية وذلك بكسائها بالطمى ثم البوص أو بالواح خشبية ، وقد أتخذ المتوفى وضع القرفصاء ، وكفن بالكتان وتوسد حصير من البوص ، أما وضع الرأس فكان نحو الجنوب والوجه ناحية الغرب .

حضارة المعادى :

وللمعادى أهميتها إذ أنها تمثل آخر الفترة النيوليثيه أى فترة عصر بداية المعادن فى الدلتا وهى تقع فى مكان يصل الدلتا بالصعيد . وكان هناك ثلاثة أنواع من المساكن منها ما هو شبه بيضاوى وله فتحه فى الجنوب ، والنوع الثانى يقع جزء منه تحت سطح الأرض وينزل إليها بسلم وتتخذ شكل بيضاوى

أيضا ، والنوع الثالث هى مساكن مستطيلة تتكون من جدران من جذور الأشجار والبوص ، تحدد أركان المنزل ثم تليس بالطين .

أما الفخار فكان من النوعين الأحمر الأملس والأسود المصقول ، بجانب أواني ذات مقابض وأخرى ذات قواعد ، كما تميزت بأوانى حجرية صنعت من أحجار مختلفة من البازلت والحجر الجيرى .

أما المقابر فقد وجدت فى جبانة خاصة بعيدة عن المساكن تقع فى الجهة الجنوبية ، وكانت المقبرة عبارة عن حفره بسيطة يتراوح عمقها بين ٢٠ ، ٩٠سم وذلك حسب حجم الشخص وسنه ، وكان المتوفى يوضع على هيئة القرفصاء ، وإن وجدت إستثناءات قليلة إتخذ فيها المتوفى الوضع الممد ، وليس هناك إتجاه ثابت للرأس غير أن أغلبها إتجه نحو الجنوب ، أما الوجه فأحيانا نحو الشرق وأحيانا نحو الغرب ، وفى حالات آخرى قليلة إتجه نحو الجنوب أو الشمال[١] .

✍ ✍ ✍

(1) Menghin-Amer, The Excavations of the Egyptian University in the Neolithic Site at Maadi, 2 vols, Cairo, 1932, 1936.

الفصل الثانى
أقسام التاريخ المصرى القديم ومصادره

الفصل الثانى

أقسام التاريخ المصرى القديم ومصادره

أولاً: اقسام التاريخ المصرى:

قسم الكاهن المصرى « **مانيتون** » الذى عاش فى عهد الملك **بطليموس الثانى** (القرن الثالث قبل الميلاد) تاريخ مصر الفرعونية إلى ثلاثين أسره ، وهو التقسيم المصطلح عليه الآن بين العلماء والمتخصصين مع بعض الاختلافات البسيطة ، وينقسم التاريخ المصرى إلى :

١- عصور ما قبل التاريخ: من ٥٠٠٠ إلى ٣١٠٠ ق. م

٢- عصر الأسرات المبكر . أو العصر العتيق . العصر الثينى

من ٣١٠٠ إلى ٢٦٨٦ ق.م

ويشتمل الأسرة الأولى : من ٣١٠٠ إلى ٢٨٩٠ ق.م

ويشتمل حكم الفراعنة :

نعرمر (= مينا) حورعحا - جر-جت - دن - عج اب - سمرخت - قاعا .

والأسرة الثانية : من ٢٨٩٠ إلى ٢٦٨٦ ق. م

حتب سخموى - رع نب - نى نتر - بر إب سن (= سخم إب) سنج - نتركا - نفر كارع خع سخم - خع سخموى .

٣- الدولة القديمة : وتشتمل الأسرات من الثالثة إلى السادسة .

- الأســرة الثالثة : مــن ٢٦٨٦ إلى ٢٦١٣ ق. م

نب كاسانخت - جسر نترخت - سخم خت - خع با - حونى .

- الأسرة الرابعة : من ٢٦١٣ إلى ٢٤٩٨ ق. م

سنفرو - خوفو - جدف رع - خفرع - من كاورع - شبسكاف .

- الأسرة الخامسة : من ٢٤٩٨ إلى ٢٣٤٥ ق. م

وسركاف - ساحورع - نـفر إيركارع كاكاى - شبسسكارع نفرف رع - نى وسررع - من كاوحور - جدكارع إسسى - ونيس (أوناس) .

- الأسرة السادسة : من ٢٣٤٥ إلى ٢١٨١ ق. م

تيتى - وسركاف - ببيى الأول - مرنرع الأول - بـيبى الثانى - الملكة من كاورع نيت إقرت .

٤- عصر الفترة الأولى، أو الاضمحلال الأول . أو عصر اللامركزية الأول . أو العصر المتوسط الأول . أو عصر الثورة الاجتماعية (ويشتمل الأسرات من ٧ - ١٠)

٢١٨١ - ٢٠٤٠ ق . م

- الأسرة السابعة : (المنفيتان) من ٢١٨١ إلى ٢١٧٣ ق. م

- والأسرة الثامنة : (نسبة إلى منف) من ٢١٧٣ إلى ٢١٦٠ ق. م

- الأسرة التاسعة : (الأهناسيتان) من ٢١٦٠ إلى ٢١٣٠ ق. م

- والأسرة العاشرة : (نسبة إلى إهناسيا العاصمة)

من ٢١٣٠ إلى ٢٠٤٠ ق.م

٥- الدولة الوسطى:

وتشمل الأسـرتين الحادية عشرة والثـانية عشرة الطيـبيتين نـسبه إلـى مدينة طيبة العاصمة من ٢١٣٣ إلى١٧٨٦ ق. م

- الأسرة الحادية عشرة : من ٢١٣٣ - ١٩٩١ ق. م

أنتف الأول والثانى والثالث - منتوحتـب الثانى نب حبت رع - منتوحتب الثالث سانخت - منتوحتب الرابع نب تاوى رع .

- الأسرة الثانية عشرة : من ١٩٩١ - ١٧٨٦ ق. م

أمنمحات الأول - سنوسرت الأول - أمنمحـات الثانى - سنوسرت الثانى - سنوسرت الثالث - أمنمحات الرابع - الملكة سبك نفرو .

٦- عصر الفترة الثانية او الاضمحلال الثانى او عصر اللامركزية او العصر المتوسط الثانى:

وتشمل الأسرات من ١٣ - ١٧ من ١٧٨٦ - ١٥٧٦ ق. م

- الأسرة الثالثة عشر الطيبية (نسبة إلى طيبة العاصمة)

من ١٧٨٦ - ١٦٣٣ ق. م

- الأسرة الرابعة عشر السخاوية (نسبة إلى العاصمة سخا)

من ١٧٨٦ - ١٦٠٣ ق. م

- وفترة حكم **الهكسوس** التـى تشمل الاسرتين ١٥ - ١٦ ومركزهما فى شرق الدلتا (أواريس) من ١٦٠٣ - ١٥٦٧ ق. م

ومن أهم ملوكها :

سقننرع تاعا الأول (الأكبر) - سقننرع تاعا الثانى (الشجاع) - كامس .

٧- عصر الدولة الحديثة أو عصر الامبرطورية : مــن ١٥٦٧ - ١٠٨٥ ق. م

ويشمل الأسرات من ١٨ - ٢٠ ، ويطلق على الأسرات ١٩ ، ٢٠ عصر الرعامسة (نسبة إلى رعمسيس)

- الأسرة الثامنة عشرة : مــن ١٥٦٧ - ١٣٢٠ ق. م

أحمس - أمنحتب الأول - تحتمس الأول - تحتمس الثانى - حتشبسوت - تحتمس الثالث - أمنحتب الثانى - تحتمس الرابع - أمنحوتب الثالث - أمنحوتب الرابع (أخناتون) - سمنخ كارع - توت عنخ آمون - آى - حور محب .

- الأسرة التاسعة عشرة : من ١٣٢٠ إلى ١٢٠٠ ق. م

رمسيس الأول - سيتى الأول - رمسيس الثانى - مرنبتاح - سيتى الثانى - سيبتاح - تاوسرت .

- الأسرة العشرون : من ١٢٠٠ إلى ١٠٨٥ ق. م

ست نخت - رمسيس من الثالث إلى الحادى عشر .

٨- العصر المتأخر :

ويشتمل الأسرات من ٢١ - ٣٠ مــن ١٠٨٥ - ٣٣٢ ق. م

- الأسرة الحادية والعشرون التانيسيه (نسبة إلى تانيس العاصمة)

وتمثل حكم الكهنة مــن ١٠٨٥ - ٩٤٥ ق. م

- الأسرة الثانية والعشرون الليبية : من ٩٤٥ - ٨١٨ ق. م

الأسرة الثالثة والعشرون البوباستية (نسبة إلى بوباسطه)

من ٨١٨ - ٧١٥ ق. م

- الأسرة الرابعة والعشرون الصاوية الأولى (نسبة إلى صا الحجر أو تانيس فى غرب الدلتا) من ٧٢٧ - ٦٦٤ ق. م

- الأسرة الخامسة والعشرون الأثيوبية أو الكوشيه

من ٧٨٠ - ٦٥٦ ق. م

- الأسرة السادسة والعشرون الصاوية الثانية من ٦٦٤ - ٥٢٥ ق. م

- الأسرة السابعة والعشرون الفارسية من ٥٢٥ - ٤٠٤ ق. م

- الأسرة الثامنة والعشرون الصاوية الثالثة من ٤٠٤ - ٣٩٩ ق. م

- الأسرة التاسعة والعشرون المنديسيه (نسبة إلى منديس شمال سمنود)

من ٣٩٩ - ٣٨٠ ق. م

- الأسرة الثلاثون السمنودية من ٣٨٠ - ٣٤١ ق. م

- وأخيرا الغزو الفارسى الثانى ويعتبره بعض العلماء الأسرة ٣١

من ٣٤١ - ٣٣٢ ق. م

٩- غزو الاسكندر الاكبر لمصر عام ٣٣٢ ق. م

١٠- العصر البطلمى من ٣٣٢ - ٣٠ ميلادى

١١- العصر الرومانى من ٣٠ ميلادى - ٢٩٥ ميلادى

١٢- العصر البيزنطى والحضارة القبطية من ٣٣٧ - ٦٤١ ميلادى

١٣- الفتح العربى لمصر عام ٦٤١ ميلادى

ثانيا: مصادر التاريخ المصرى القديم

تعتمد الدراسة فى تاريخ مصر الفرعونية على عدة مصادر أساسية هى : الآثار المصرية ، وما كتبه الرحاله والمؤرخون من الاغارقة والرومان الذين زاروا مصر ، ثم المصادر المعاصرة لبعض فترات الحضارة المصرية القديمة من حضارات منطقة الشرق الأدنى القديم .

ولنحاول الآن أن نتحدث بشئ من التفصيل عن كل مصدر من هذه المصادر :

اولا: الآثار المصرية :

ولا ريب فى أن الآثار التى تركها لنا المصريون القدماء تعتبر المصدر الأول لتاريخ مصر القديمة ، فهى تتحدث عن الكثير من أخبار القوم ، وتروى معلومات هامة عن عقائدهم وفنونهم . . . الخ ، وهى تشمل كل ما خلفه لنا أجدادنا القدماء من المعابد والمقابر والأهرامات والتماثيل ولوحات القبور والتوابيت وقراطيس البردى . . وغيرها .

على أن الباحث إنما يلاحظ على هذا المصدر الأصيل عدة نقاط ضعف منها :

أولاً : أن كثيرا من الآثار إنما هو صادر عن المقابر أو المعابد ، ومن هنا فقد كان المظهر السائد لمعظم ما يعثر عليه فيها دينى .

ثانياً : أن كثيرا من هذه الآثار إنما كتب بأمر من الملوك ، أو بوحى منهم ، فلو عرفنا أن الملك فى العقيدة المصرية إنما كان إلها أكثر منه بشرا وجب علينا أن نكون على حذر فيما يروى .

ثالثاً : أن تسعة أعشار الحفائر إنما تمت فى الصحراء ، حيث شاد القوم «مساكن الابدية» حيث يحفظ الرمل الأشياء من التلف ، ومن هنا كان المظهر الجنزى هو السائد لمعظم ما يعثر عليه . أما مساكن الأحياء والتى كانت تبنى عن قصد من مواد أقل قدره على الاحتمال ، فكانت تقوم فى وسط الأرض الزراعية ، وعندما كانت تنهار المنازل المبنية من اللبن كانت تحل محلها منازل أخرى تقوم فوقها ، وهكذا يرتفع مستوى الأرض مرة بعد أخرى فوق منسوب الفيضان ، وقد أدى ذلك إلى ندرة الآثار المتعلقة بالحياة اليومية ، ونواحى النشاط الدنيوى ، ومع ذلك فإن الثراء الذى نراه فى اللمسات الانسانية التى فى المستندات المصرية تفوق نظائرها كثيرا من بلاد الشرق الأدنى القديم(١) .

رابعاً : ندرة الآثار التى ترجع إلى بعض العصور المظلمة ، ولعل أسوأ المراحل جميعا ما عرف بإسم « العصر الوسيط الأول » ويشمل الأسرات من ٧ - ١٠ ، و « العصر الوسيط الثانى » ، ويشمل الأسرات من ١٣ - ١٧ ، ثم ما بين الأسرات ٢١-٢٤ ، مما يجعل تسلسل الأحداث فى التاريخ الفرعونى غير مطرد، وتتخلله فجوات لابد من الاستعانة فى مثلها بمصادر أخرى .

خامساً : أن النصوص المصرية - فى غالبيتها - صعبة الترجمة ، عسيره التأويل ، لم ينشر الكثير منها ، أو لم يترجم ترجمة دقيقة .

(1) Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1964, PP. 52-53.

سادساً : أن المصريين - شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من الشعوب الأخرى القديمة - لم يعرفوا التواريخ المطلقة ولم يتفقوا على بداية زمنية ثابتة يردون إليها الأحداث ، مما جعل مهمة الباحث صعبة وشاقة فى تاريخ العصور الفرعونية[1] .

ومع ذلك كله ، فأن مصادر الآثار المصرية إنما تمتاز عن غيرها من المصادر الأخرى بأنها المصدر الوحيد الذى عاصر الأحداث والذى أشركه المصريون فى الكشف عن تاريخهم وتخليد حضارتهم[2] .

هذا ولعل أهم ما عثر عليه بين تلك الآثار - من وجهة النظر التاريخية - ما عرف **بقوائم الملوك** ، وهى قوائم أرخت لبعض الفراعنة ولما سبقهم من عصور ، ولم يقتصروا فيها على ترتيب الملوك ترتيبا زمنيا وحسب ، بل ذكروا مدة حكمهم بالسنة والشهر واليوم .

وأهم هذه القوائم الملكية هى : حجر بالرمو ، قائمة الكرنك ، قائمة أبيدوس ، قائمة سقارة ، بردية تورين ، نصوص الأنساب .

١- حجر بالرمو:

عثر عليه فى منف ، ثم نقل إلى صقلية ، حيث أودع متحف العاصمة « بالرمو » عام ١٨٧٧م ، وهو قطعة من حجر الديوريت ، طولها حوالى

(١) محمد بيومى مهران ، مصر والشرق الأدنى ، القديم ، ج١ ، الاسكندرية ، ١٩٨٨، ص ٥٣ - ٥٦ .

(٢) محمد جمال الدين مختار ، موسوعة تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعونى مصادر التاريخ الفرعونى ، المجلد الأول ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٨٣ ، ٩١ .

مترين ، وارتفاعها حوالى ٧٠ سم ، وهناك غيرها أربع قطع بالمتحف المصرى بالقاهرة ، هذا إلى جانب قطعة سادسة اشتراها « بترى » وتوجد الآن بمتحف الجامعة فى لندن .

هذا وقد دون على الحجر أسماء جميع من حكموا مصر منذ أيام ما قبل الأسرات ، وحتى الملك « **نفر أير كارع** » ثالث ملوك الأسرة الخامسة . وكان الحجر مقسما إلى صفوف ، وكان عصر كل ملك يقسم إلى سنوات ، ويكتب فى خانة كل سنة أهم ما حدث فيها سواء من الحروب أو إقامة المعابد أو الأعياد الدينية أو عمل بعض الأشياء الهامة مثل بناء السفن أو إقامة التماثيل الكبيرة ذات الأهمية الخاصة . ونجد تحت إسم كل ملك رسم لملك جالس وعلى رأسه تاج أحد البلدين (الشمالى - أو الجنوبى)[1] .

وعلى الرغم ما فى هذه المدونة من عيوب ، فإنها كانت أول محاولة معروفة لجمع أخبار الملوك وترتيبها فى العالم القديم ، وحسبها أنها كانت « نقطة البدء » وأنها سبقت غيرها بقرون طويلة ، وأن مؤرخها الذى سبق عصرنا بنحو خمسة وأربعين قرنا ، التزم فيها مبادئ لا تزال تعتبر من شروط التاريخ السليم ، منها فصل كل حول وآخر بخط رأسى ، والفصل بين حوليات كل ملك وآخر بخط أفقى ، كما راعى الترتيب الزمنى فى تدوين

(1) Gauthier, Quatres Nouveaux Fragmente Le Pierre de Palerme Egyptien Musse, III, Pls. 24 - 31, PP. 29-35..

- Breasted, Ancient Records of Egypt, I, 1927, Parag. 29-35.
- Schäefer, Ein Bruchstuck Altagyptischer Annalenm, Wiesens Chaften, 1902.

أسماء الملـوك وحوادثهم من الأقدم إلى الأحـدث ، كما راعى أمانة الـنقل فى رواياته[1] .

٢- قائمة الكرنك :

نقشت هذه القائمة فى عهد الملك « **تحتمس الثالث** » (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق. م) أحد ملوك الأسرة ١٨ ، والتي أقامها فى إحدى الحجرات الصغيرة إلى جانب بهـو الأعباد فى معبـد الكرنك . وتستقـر هذه القائمة الأن فـى متحف اللوفر بباريس ، منذ أن نقلـها إلى هناك الأثرى الفرنسى « **بريس دافن** » فى عام ١٨٤٤م .

وقد صور فى قـائمة الكرنك هـذه الملك « **تحتمس الثالـث** » وهو يتـجه بدعواته إلى ٦١ ملكا من أسلافه الذين تحطم إسم أولهم ، ومن ثم كان أولهم هو المـلك « **سنفرو** » مؤسـس الأسرة الرابعـة ، ثم يليـه بعض ملـوك هذه الأسرة ، ثم مـلوك الأسرتين الخـامسة والسـادسة ، ثم يتـلوهم بعـض ملوك الأسرات مـن ١١ إلى ١٧ . وهنا نجـد أن كاتب هـذه القائـمة قد أسقـط ذكر أسماء ملـوك الأسرات الثلاثة الأولى ، وكـذلك أغضى عن ذكر مـلوك عصر الانتقال الأول ، وملوك الهكسوس (عصر الأسرتين ١٥ ، ١٦) .

ومن المحتمل أن « **تحتمس الثالث** » إنما قد سجل من الملـوك من يعتقد فى شرعيتـهم ، أو من كان يعتبرهم أسلافـه الحقيقين الذين يرتبط بـهم برابطه من نسب[2] .

---

(١) عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٢٣٤ .

(2) Prisse D' Avennes Menuuments Egyptiens, Paris, 1847, Pl. I

Seth, Urkunden, 17, PP. 608 - 610 .

٣- قائمة ابيدوس :

وقد نقشت فى عهد الملك « **سيتى الأول** » أحد ملوك الأسرة ١٩ على جدران معبده فى « **أبيدوس** » عند قرابة العرابة المدفونة إلى الغرب من البلينا، ومنظرها على الجدران يمثل الملك « **سيتى الأول** » مصحوبا بولده «**رمسيس الثانى**» وهو يقدم القرابين إلى ٧٦ من أسلافهم .

هذا ويتصدر القائمة الملك « **مينا** » كما أن القائمة تغفل أيضا أسماء ملوك وتعتبرهم غير شرعيين ، كملوك الأسرتين ٩ ، ١٠ ، وملوك عصر الانتقال الثانى (الهكسوس) الذين كانوا فى نظر ملوك مصر أجانب مغتصبين لحرية البلاد ، كذلك أسقطت القائمة أسماء « **أخناتون** » ، و « **سمنخ كارع** » ، و « **توت عنخ آمون** » و « **آى** » لأنهم كانوا فى رأيه ملوكا مارقين خارجين على ديانة آمون ، وكذلك أسقط إسم الملكة « **حتشبسوت** » لخروجها على التقاليد وإغتصابها للعرش من « **تحتمس الثالث** » . وتنتهى القائمة باسم الملك « **سيتى** » نفسه[1] .

٤- قائمة سقاره :

عثر على هذه القائمة فى عام ١٨٦١م فى مقبرة بمنف لأحد رؤساء الأشغال المدعو « **ثونرى** » من عهد الملك « **رمسيس الثانى** » ، وكانت تحوى أصلا خراطيش ٥٧ ملكا يمجدهم « **رمسيس الثانى** » وتوجد هذه القائمة الآن بمتحف القاهرة ، وهى تبدأ بسادس ملوك الأسرة الأولى « **عدج - أيب** » ، وتنتهى بالملك « **رمسيس الثانى** » ، كما أنها تراعى الترتيب الزمنى .

---

(1) Budge, The Book of The Kings, I, London, 1908.

- Meyer, Aegyptische Chronologie, Berlin, 1904, pl. I.

وكان كاتبها متأثراً بما تأثر به كاتب قائمة أبيدوس من ذكر واغفال لبعض الأسماء[1] .

٥- برديه تورين :

ترجع إلى عهد الملك « **رمسيس الثانى** » وتختلف عن بقية القوائم فى أنها كتبت على ورق البردى ، وبالخط الهيراطيقى أى خط الكهنة ، كما تمتاز كذلك بأنها قد أوردت بعض الأسماء الملكية التى لم تذكرها القوائم الأخرى ، وبأنها قد عمدت إلى التبويب التاريخى حيث قسمت الملوك إلى مجموعات ونسبت بعضها إلى العواصم التى حكمت فيها .

هذا وقد عثر على بردية تورين الإيطالى « دروفتى » فى منف عام ١٨٢٠م ، ثم وجدت طريقها إلى ملك سردينا ، إلى أن قام بترميمها الأثرى « فارينا » عام ١٩٣٨ ثم قام العالم « سير ألن جاردنر » بمراجعة الأصل ، وأصلح بعض القراءات السابقة ونشر ذلك كلها[2] .

وتبدأ البردية بالآلهة الذين تنسب إليهم مدد حكم اسطورية ، يليهم بعد ذلك « **مينا** » كمؤسس للملكية المصرية ، وتنتهى أسماء الملوك قبيل الأسرة ١٨ ، والبردية مجرد قائمة من الأسماء ، تلى كل إسم إشارة بطول مدة الحكم والعمر ، ثم المجموع . . . وكانت تحتوى على أكثر من ثلاثمائة من أسماء الملوك .

(1) De Rouge, Recherches Sur les Monuments, pI. I.

(2) Farina, Ilapapiro die re Restaurato, Rome 1938.

Gardiner, The Royal Canon of Turin , Oxford, 1959.

ويعد جدول تورين للملوك من أكثر المصادر التاريخية قيمة ، أو هو كان يمكن أن يكون كذلك ، لو أنه حوفظ عليه فى عناية أدق ، ذلك لأنه لم يسجل سنى كل حكم فحسب، وإنما سجل كذلك عدد الشهور والأيام بعد إكتمال السنين ومن الواضح أن جامع هذه الوثيقة كانت لديه مصادر لمعلوماته ، دقيقة يمكن الإعتماد عليها ، فمثلا أرقام الأسرة ١٢ تتفق تماما وما تشير إليه الآثار المعاصرة[١] .

ولم يفسد على كاتب البردية ملكته التاريخية ، إلا إيمانه بأساطير قومه التى جعلت للأرباب نصيرا فى إعتلاء عرش البلاد القديم[٢] .

٦- نصوص الانساب :

وكثيرا ما تساعدنا النصوص التى يكتبها بعض الأفراد عن تاريخ حياتهم فى معرفة تتابع بعض الملوك فى العصور المختلفة ، ولكن هناك نوعا خاصا من النصوص أخذ يظهر فى العصر المتأخر من التاريخ المصرى ، ولدينا عدد غير قليل من هذه النصوص ولعل أهمهم ذلك النص الذى خلفه وراءه الكاهن « **عنخف - إن - سخمت** » من الأسرة ٢٢ أى حوالى عام ٧٥٠ ق. م .

كتب هذا الكاهن نسبا طويلا لعائلته على لوح من الحجر الجيرى يوجد الأن فى متحف برلين (٢٣٦٧٣) ذكر عليه ستين جدا له ، وكتب أمام الكثيرين منهم أسماء الملوك الذين عاشوا أيامهم ، وقد ثبت صحة وجود

(1) Gardiner, Op. Cit. P. 60.

(٢) عبد العزيز صالح « التاريخ فى مصر القديمة - مفهومه وعناصره وبواعث القومية فيه » ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٢١ - ٢٣ .

الكثيرين منهم من مصادر أخرى ، لقد عاش هذا الكاهن حوالى عام ٧٥٠ ق.م ولكنه رجع بأجداده إلى الأسرة ١١ أى حوالى ٢١٠٠ ق. م أى خلال فترة لا تقل عن ١٣٥٠ سنة .

ولا يخلو هذا النص من كثير من المآخذ فقد أخطأ صاحبه فى أكثر من موضع ، كما ترك فجوات كثيرة فى بعض العصور ، ولكن ذلك كله لا يمكن أن يقلل من أهميته كمصدر تاريخى هام هو وغيره من نصوص الأنساب[١] .

٧- تاريخ مانيتون :

وكان كاهنا مصريا فى معبد « بسمنود » فى محافظة الغربية ، وإشتهر بعلمة ومعرفته لتاريخ مصر ، وكان ملما باللغة المصرية واليونانية ، وقد أراد **«بطليموس الثانى»** أن يستفيد بعلمه فكلفه بكتابة تاريخ لمصر ، فإستقى معلوماته مما كان فى المعابد ومكاتب الحكومة من وثائق . ومما يبعث على الحزن أن تاريخ مانيتون الأصلى فقد فى حريق مكتبة الاسكندرية ولم يعثر حتى الآن على أى نسخة كاملة أو ناقصة منه ، وكل ما وصل إلى أيدينا ليس إلا مقتطفات من ذلك التاريخ عن طريق بعض الكتاب الكلاسيكين .

وقد قسم مانيتون مؤلفه هذا إلى ٣٠ أسره من العائلات الملكية ، تبدأ بالملك « مينا » ، وتنتهى بغزو **الاسكندر الأكبر** فى عام ٣٣٢ ق. م[٢] .

(1) Borchardt, Mittel zur Zeitlichen Feslegung Von Punkten, Cairo, 1935. PP. 92-117.

- أحمد فخرى ، مصر الفرعونية ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(2) Baikie, A History of Egypt. I, London, 1929, P. 54.

- Waddle, Manetho, with an English Translation, Cambridge, 1940.

وبالرغم من جميع الأخطاء التى حدثت فى النقل وما أصاب الملوك من تخريب ، وما سقط دون شك من بعض النصوص فإن ما وصل إلينا من تاريخ مانيتون يعتبر مصدرا من أهم المصادر لتاريخ مصر ولا يمكن الاستغناء عنه[1] .

هذا هو المصدر الأول لدراسة تاريخ مصر القديم ، ولكنه فى الغالب ، تاريخ سياسى ، وهو لا يساعدنا فى كل الأحوال على معرفة ما كان عليه الشعب ، أو ما كان من تطورات فى المجتمع ، أو فى الفنون المختلفة أو فى المظاهر الثقافية والدينية بوجه عام ، وهى جميعا على أكبر جانب من الأهمية لفهم الحضارة المصرية ، ولكن لدينا مصادر لا حصر لها تساعدنا على تلك الدراسة ، وتمدنا بالكثير من المعلومات ، فالمتاحف فى جميع أرجاء العالم تمتلئ بما خلفته الحضارة المصرية القديمة ، من تماثيل ولوحات وتوابيت وحلى وأوان وأدوات منزلية ، وأدوات الصناع ، وذوى الحرف المختلفة ، هذا فضلا عن التعاويذ والتمائم وقراطيس البردى وغيرها ، وعليها الكتابات المختلفة ، بعضها قطع أدبية ، والآخر نصوص دينية أو سحرية ، وبعضها يحتوى على نصوص طبيه أو رياضية أو هندسية[2] . . . . الخ .

ثانيا : كتابات المؤرخين اليونان والرومان :

تميزت الفترة فيما بين القرنين السادس قبل الميلاد ، والثانى بعد الميلاد،

(١) احمد فخرى ، المرجع السابق ، ص ٦٥ ، ٦٦ .
- عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .
(٢) محمد بيومى مهران ، المرجع السابق ، ص ٧١ .

بزيارة عدد كبير من الاغارقة لمصر - مؤرخين كانوا أم رحاله - وشجعهم على ذلك أن مصر بدأت منذ الأسرة ٢٦ (٦٦٤ - ٢٢٥ ق. م) تستخدم كثيرا من الأيونيين والكاريين والأغريق كجنود مرتزقة فى جيوشها وزادت العلاقات التجارية بينهم وبين مصر ، هذا فضلا عما سمعوه عن حكمة مصر وثرائها وآثارها ، وما تواتر إليهم وروه من أن حكمتها كانت الملهمة للمشرع «**سولون**» ، والفلاسفة « **طاليس** » ، « **بيتاجوراس** » و « **أفلاطون** » و «**يودكسوس**» وغيرهم . غير أن الباحثين إنما يلاحظون على كتابات المؤرخين من الاغارقه والرومان عده نقاط ضعف منها :

أولاً : أن الكثير منهم قد أساءوا فهم ما رأوه ، أو ذهب بهم خيالهم كل مذهب فى تفسير أو تعليل ما سمعوه ، أو وقعت عليه أبصارهم ، ومن هنا فإن المؤرخين المحدثين إنما ينظرون إلى هذه الكتابات بعين الحذر .

ثانياً : أن أصحاب هذه الكتابات إنما قد زاروا مصر فى أيام ضعفها ، وفى عصور تأخرها وإضمحلالها ، ولو أتاحت لهم الظروف زيارتها خلال عصور نهضتها وفى أيام مجدها، لتغير الكثير من أرائهم وإنطباعاتهم .

ثالثاً : أن هؤلاء الكتاب إنما قد اعتمدوا فى الكثير من معلوماتهم على الأحاديث الشفوية التى كانوا يتبادلونها مع من قابلهم من المصريين ، وبخاصة صغار الكهنة والتراجمة ، وخدم المعابد والأغارقة المتمصرين الذين حدثوهم عن عصور موغله فى القدم لا يعرفون عنها الكثير ، كما كانوا يفسرون لهم النصوص الهيروغليفية تفسيرا لا يتفق والحقيقة فى الكثير .

رابعاً : أن كثيرا منهم قد كتب ما كتبه من وجهه النظر اليونانية ، وكثيرا ما كانت كتابتهم قد كتبت فى وقت إحتفظت فيه مصالح بلادهم مع مصالح مصر .

خامساً : روح التعصب الذى عرف عن الغربيين لحضارتهم ، وإظهارها وكأنها أرقى من غيرها ، وذلك عن طريق عرض نواحى الغرابه فى الحضارات الشرقية التى عاصرتها أو سبقتها .

سادساً : عدم معرفة كتاب اليونان والرومان للغة المصرية القديمة ، مما أدى إلى سوء فهمهم للكثير مما ذكره المصريون ونقلوه عنهم محرفا .

سابعاً : أن كثيرا من هؤلاء الرحالة والمؤرخين قد وفدوا إلى مصر كما يفد إليها السائح العادى يلتمس الشوادر والنوادر ، أكثر مما يلتمس الحقائق .

ثامناً : أن كثيرا منهم إحتفظ بذكرياته عن مصر فى ذاكرته وبملاحظات دونها فى إيجاز ، ولم يكتب إلا بعد أن طوف فى بلاد أخرى وبعد أن عاد إلى وطنه ، فإختلط عليه بعض ما شاهده ، وإحتفظ فى ذاكرته وعمم أمورا ما كان ينبغى له أن يعممها[1] .

وبدهى أن تكون النتيجة لذلك كله ، أن كتابات هؤلاء المؤرخين قد إمتلأت بالكثير من الأخطاء والأراجيف والتناقضات ، وبالتالى فقد أدت خلق الأساطير والخرافات عن الحياة فى مصر الفراعنه .

أما أشهر هؤلاء المؤرخين فقد كانوا :

(١) محمد جمال الدين مختار ، المرجع السابق ، ص ٨٢ .
- عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها ، ج١ ، ص ٢٤٠ .
- محمد بيومى مهران ، المرجع السابق ، ص ٧٢ - ٧٤ .

هيكاتـه الميليتى ، وهيـردوت ، وهيكاته الأبدرى ، وديودور الـصقلى ، وسترابو ، وبلوتارك الخيرونى . . . وغيرهم .

ثالثاً: المصادر الأجنبية المعاصرة :

أما ثالث المصادر الرئيسية لتاريخ مصر القديم ، فهـو المصادر المعاصره من حضارات مـنطقة الشـرق الأدنى القديم . مثل الـبابليه والأشـوريه . ذلك أن مصر إنما كانت على علاقة ببلدان هذه المنطقة فى فترات من تاريخها ، وخاصة فى عصر الدولة الحديثة فتبادل حكامهـا مع الفراعنة رسائل كثيرة ، إختلف فى عصور السلام عنها فى عصور الحرب .

وواجب الباحث إزاء هذه الكـتابات مقارنتها بما يعاصرهـا فى مصر ، فهى تبالغ فى النصر التافة فتحيله إلى نصـر عظيم ، كما أنها تخفى الهزائم أحيانا ، إن لم تحيلها إلى نصر مبين ، ومن المقارنة بينها جميعا يستطيع الباحث أن يتبين الحقائق التاريخية :

على أن هذه الرسائل المتبادلة إنما تعـطى فكرة عن العلاقات الدولية والحاله الحضارية لهذه المنطقة الهامة من العالم إبان كتاباتها .

ولـعل مـن أوضـح الأمثـلة عـلـى ذلك مـا عـرف باسـم **«رسائل تل العمارنة»** التى عثر عليها فى أطلال مدينة العمارنة فى المبنى الذى كانت تحفظ فيه المراسلات الملكـية ، وهى مكتوبة بالخط المسمارى عـلى لوحات من الطين المجفف ، ولاشك أن هذه المراسـلات الملكية تعتبر من أهـم المصادر الأساسية المعـاصرة فى دراسـتنـا لحاله الأمـبراطوريـة المصريـة فى أخـريات أيام المـلك

«أمنحوتب الثالث» وطول عهد ولده **«إخناتون»**[1] .. مما سوف تتناوله تفصيليا فى حينه .

تلك إذا هى أهم المصادر لداسة تتابع الملوك على العرش ، ودراسة التاريخ السياسى للبلاد ، خلال آلاف السنين ، ولكن الأثار المختلفة كذلك والتى أقامها الملوك والأفراد الذين عاشوا فى أيامهم ، تمدنا بالكثير من المعلومات عن تعاقب الملوك وسن حكمهم وصله بعضهم ببعض .

ولم يقف الأمر عند ذلك بل أن المصريين فى جميع العصور ، أبوا إلا أن يسجلوا مظاهر حياتهم على جدران قبورهم ، فأينما يذهب الأنسان فى مصر وجد مقابر المصريون بتغطية جدرانها بمناظر الحياة اليومية حينا والحياة الأخرى حينا آخر ، وهذه الآثار وما تضمه المتاحف هى مصادرنا الأصيلة لدراسة الحضارة المصرية[2] .

✍ ✍ ✍

(١) محمد بيومى مهران ، المرجع السابق ، ص ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) احمد فخرى ، المرجع السابق ، ٧١ ، ٧٢ .

الفصل الثالث

بداية العصور التاريخية

أو العصر العتيق

الفصل الثالث

بداية العصور التاريخية أو العصر العتيق

وتشمل الأسرتان الأولى والثانية وتعرف بالعصر الثنى . ومما لاشك فيه أن هناك تطور كبير قد حدث فى مصر حوالى عام ٣٣٠٠ ق.م بمعنى أن البلاد كانت فى مرحلة انتقال من العصر الحجرى الحديث إلى عصر بداية الأسرات بمعنى أن طبيعة البلاد والمصلحة المشتركة نقلتهم من حياة القرية إلى المدينة ومنهما إلى حياة الاقاليم التى كانت تتمثل فى أمارات صغيرة . وبدأت هذه الأقاليم تتحد مع بعضها بوسيلة أو أخرى فقد فرض بعضها نفوذه على البعض الآخر عن طريق الحرب أو عن طريق النمو الطبيعى وتغلب المصالح المشتركة ووصلوا فى النهاية إلى مملكتين مملكة فى الشمال وتتمثل فى الدلتا وعاصمتها مدينة «ب» بمعنى المقر أو العرش (قرية إبطو قرب دسوق) وإلهها الصقر حورس وتاجها التاج الأحمر ورمزها النحلة ، ومملكة أخرى فى الجنوب عاصمتها مدينة «نخن» بمعنى الحصن (قرية الكوم الأحمر شمال ادفو) وإلهها كان الصقر حورس وتاجها التاج الأبيض ورمزها نبات « السوت » (ربما البوص أو الخيزران؟)[1] .

(1) Arkel, "Was King scorpion Menes", in Antiquity, 37, P. 35.

- Smith, A History of Egyptian Sculpture and Painting in the oldkingdom London, 1946, P. 115.
- Quibell and Green, Hierakonopolis, II, London, 1902, P.41.

ونعرف من الملـوك المحاربين الملك **العقرب** الذى كـان أغلب الظـن احد ملوك مصر قبل الملك مينا مؤسس الأسرة الأولى الفرعونية وتدل أثاره التى عثر عليها فـى نخن أنه قام بأعمال انشـائية ، فمثلا نراه علـى دبوس قتاله[1] لابسا التاج الأبيـض ماسكا بفأس يضرب بـها الأرض ربما يشق ترعة جـديدة أو يقوم بأحد المـراسيم الديـنية وفوق هـذا نرى مجمـوعة من الألويـة تمثل مقـاطعات الصعيد ويـتدلى منها طيور مـيتة ربما لتعبر عـن قبائل الدلتا وقد يـدل هذا على انتصار العقرب على الشمال وتوحيد البلاد .

وفى حوالى ٣١٠٠ ق.م وفق الملـك مينا إلى « توحيد المملـكتين » وبهذا العمل التـاريخى أسس الدولة وبه تبـدأ الأسرة الأولى الفرعونية ويـبدأ العصر التاريخى .

وقد أسس مـينا مدينة أطلق علـيها « الجدار الأبيض » (مكان قـرية ميت رهينة بمركز البـدرشين بمحافظة الجيزة) وعرفت بعد ذلـك باسم « منف » وقد وفق مينا فى اختيار هذا الموقع لأنه المكان الذى تلتقى فيه الدلتا والصعيد ويعتبر أنسب مكان للعاصمة .

الملك مينا ومشكلة الفرعون الأول :

يتفق « مانيتون » وبردية تورين وقائمة ابيدوس بأن الفرعون الأول هو مينا بمعنى « الخالد » أو « المثبت » إلا أن الآثار التى اكتشفت للآن والتى ترجع إلى عهد الأسرة الأولى لم تعطينا اسما غير مشكوك فى قرائته لهذا الملك .

وتؤكد صـلاية الملك نـعرمر ودبوس قـتالة أنه كـان مسيطـر على الصـعيد

والدلتا بدليل أننا نراه مرة بتاج الوجه القبلى ومرة بتاج الوجه البحرى كما نجد إسمه كذلك فى صورة أختام فوق سدادت طينية وجدت بمقبرة فى أبيدوس .

والاسم الثالث هو الملك عحا أو حور عحا بمعنى المحارب أو الصقر المحارب وقد ظهر اسمه كذلك فى صورة أختام فوق سدادات طينية فى ابيدوس بعضها داخل السرخ وبعضها بدونه .

ونتساءل الآن هل هذه الأسماء الثلاثة لشخص واحد أو لإثنين أم لثلاثة وان كانت لأكثر من واحد فكيف تتابع أصحابها على الحكم .

وقد اختلفت أراء المتخصصين فى هذا الموضوع فهناك رأى لجاردنر[1] يقول فيه أن مينا هو نعرمر والأسمان يدلان على شخصية واحدة وإعتمد فى ذلك على وجود الاسمين على أحد أختام السدادات الطينية التى وجدت فى قرية أم الجعاب بالقرب من أبيدوس . أما فنديه[2] فيرى أن نعرمر هو منى وقد اتخذ اسم عحا بعد انتصاره على الشماليين ويعتقد امرى[3] أن العرش قد أل إلى حور عحا بعد موت نعرمر وهو يرى أن حور عحا هو مينا وأن الأسم الأول لمينا كان حور عحا أى الصقر المقاتل باعتباره حاكما لشعب حورس فى الجنوب ثم أتخذ لنفسه لقب مينا بمعنى الثابت أو المثبت بوصفه ملكا للدولتين المتحدين دولة الشمال ودولة الجنوب . والآن ان كان الملك نعرمر هو حقيقة مينا فهو الذى أنشأ مدينة «الجدار الأبيض » وقد وجدت معظم أثاره فى مدينة « نخن »

(1) Gardiner, Op. Cit, P. 40 .

(2) Vandier, Manueld' Archeologie Egyptienne, I, PP. 828 - 831.

(3) Emery, Hor Aha, Cairo, 1939.

بجانب البعض القليل الذى وجد فى أبيدوس ويرى مانيتون أنه حكم ٦٢ سنة وكانت نهايته على يد فرس النهر الذى اختطفه .

ومن أشهر آثار الملك نعرمر هى صلايته (أى لوحته) الشهيرة ورأس دبوس قتاله وقد عثر عليهما Quipell عام ١٨٩٤ خلال حفائره فى مدينة نخن[١] .

راس دبوس نعرمر :

ورأس الدبوس مثل عليها الملك نعرمر لابسا التاج الأحمر مما يدل أنه أصبح يحكم الشمال وقد جلس على عرشه تحميه آلهة الجنوب نخبت (الهة مدينة نخب ، مدينة الكاب الحالية على الضفة الشرقية للنيل شمال أدفو) فى شكل طائر العقاب وأمامه حملة الألوية ورجال ملتحون وأعداد وفيرة من الثيران والماعز والرجال ، ربما كانوا غنائم حرب . وأمام الملك أيضا ترى محفة مسقوفة بها أغلب الظن شخصية لها أهميتها يرى فيها البعض أميرة من الدلتا وتمثل مناظر الدبوس زواج الملك نعرمر بأميرة من الشمال وقعت فى الأسر واتخذها الملك المنتصر زوجة له ورأى آخر لفرنكفورت يرى فى مناظر الدبوس الاحتفال بالعيد الثلاثينى للملك . وخلف الفرعون كتب إسمه باللغة المصرية (الخط الهيروغليفى) وتحت الاسم نرى صفين يحمل أحدهم الصندل الملكى كما نرى على رأس الدبوس أيضا صورة لمعبد بدائى وحظيرتين .

صلاية نعرمر :

أما صلاية الملك نعرمر فهى منقوشة على الوجهين ويبدو أنها تمثل الملك

(١) سيد توفيق ، معالم تاريخ وحضارة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٤١ - ٤٥ .

يقوم باتمام عملية توحيد الوجهين وهى العملية التى بدأها من سبقوه من الملوك أمثال العقرب ونرى على الجزء الأعلى من وجهى الصلاية اسم الملك نعرمر منقوشا داخل السرخ (واجهة القصر) وعلى كل من جانبيه رأس الالهة حتحور بوجه انثى وقرنى وأذنى بقرة . معنى ذلك أن المصريين قد خلعوا الصفة الإنسانية على الهتهم منذ الأسرة الأولى على الأقل .

وعلى أحد وجهى الصلاية مثل الملك نعرمر بتاج الوجه القبلى يأخذ بناصية أسير ويهم بضربة بدبوس القتال كمثرى الشكل ، ومن أمامه يتقدم الاله حورس فى صورة صقر آخذا بزمام أسرى الدلتا وقد عبر عنهم الفنان المصرى بنبات البردى الممثل للدلتا ، وخلف الملك نرى رجل يحمل إناء وصندل ، وتحت قدمى الملك نرى أسيرين يحاولان الهرب .

وعلى الوجه الآخر للصلاية نرى الملك نعرمر بحجم كبير نسبيا لابسا تاج الوجه البحرى ومن حوله أتباع له بحجم أصغر منه بكثير ويتقدم نعرمر أحد رجال بلاطة وأربعة من حاملى الأعلام . أمام تلك الأعلام عشرة من القتلى وضعت رأس كل منهم بين رجليه ، ومن أسفل ذلك حيوانان خرافيان تتلاقى أعناقهما فتكون من تلاقيهما بؤرة الصلاية ويشد كل من الحيوانين رجل بحبل ليجذبه بعيد عن الآخر . ومن أسفل ذلك نشاهد فحل قوى يهدم بقرنيه مدينة محصنة ويضع حافره على ذراع رجل ملقى على الأرض (والثور هنا أغلب الظن يعبر عن الملك وقد استولى على المدينة ووضع يده على سكانها) .

أما الملك **عحا** فنعرف من أثاره المختلفة انتصاراته على النوبيين والليبيين وذلك لتأمين مصر من الناحيتين الجنوبية والغربية ونعرف منها أيضا إشارات

مختلفة عن إحتفالات دينية وتأسيس معبد فى مدينة سايس (مدينة صا الحجر فى الجزء الشمالى الغربى من محافظة الغربية) للالهة نيت ، وقد اكتشف له قبران ، قبر فى أبيدوس (برقم ب ١٩) والآخر فى سقارة برقم ٣٣٥٧ .

وقد أسفرت الاكتشافات التى تمت فى أبيدوس عن وجود كثير من الآثار الهامة التى تحمل أسماء ملوك الأسرة الأولى ولما كان من عادة الملوك المصريين أن يدفنوا بالقرب من مكان إقامتهم فقد أعتقد أن مقابر هؤلاء الملوك كانت فى أبيدوس الا أن حفائر اميرى[1] وفيرث فى المنطقة الشمالية من سقارة قد دلت على وجود عدد من مقابر الأسرة الأولى هناك عثر فيها على أسماء الملوك أمثال عحا ، قاعا وسمرخت وبعض كبار الموظفين أمثال حماكا وهو موظف من عهد الملك دن . وهنا يجب أن نتسائل هل دفن ملوك الأسرة الأولى فى أبيدوس أم فى سقارة ؟ ويعتقد أن مقابر سقارة هى المدافن الحقيقية وذلك لكبرها وفخامتها عن مثيلاتها فى أبيدوس أما مقابر أبيدوس فلم تكن سوى أضرحة لتخليد ذكرى الملك المتوفى .

ويرى فركوتير بما أن الملك ملكا على الوجهين فمن المحتمل أن يكون له قبران فى الوجه البحرى أى فى سقارة وآخر فى الوجه القبلى أى فى أبيدوس وظهرت المشكلة هنا للمرة الثانية ففى أى القبرين دفن الملك ؟

وبما أن المقابر سواء فى أبيدوس أو فى سقارة قد نهبت فانه من الصعب الوصول إلى حل لهذه المشكلة ويرى فركوتير أن الاعداد الكبيرة من اللوحات

(1) Emery, Archich Period, 1963, P. 51.

- Emery, Great Tombs of the first Dynasty, London, 1958., p.4 .

التى عثر عليها فى أبيدوس وجد عليها بعض أسماء ملوك الاسرتين الأولى والثانية وقد يدل هذا فى رأيه أن المقابر الملكية الفعلية كانت فى أبيدوس وان كان فركوتير يفضل كما فعل امرى أن يترك باب المناقشة مفتوحا فى هذا الموضوع .

ونعتمد فى ترتيب ملوك الأسرة الأولى على ما ورد فى تاريخ مانيتون وقوائم الملوك وهذا هو الترتيب المتفق عليه حتى الآن .

نعرمر (= منى) ، حور عحا ، جر ، جت ، دن - عج اب ، سمرخت ، قاعا .

الأسرة الثانية : **٢٨٩٠ - ٢٦٨٦ ق.م**

فى الواقع لا نعرف للآن الأسباب التى أدت إلى سقوط الأسرة الأولى وقيام أسرة جديدة ثانية إتخذت من الجدار الأبيض عاصمة لها وفى الواقع أن ما اكتشف فى أبيدوس من مقابر وعلى وجه التحديد فى منطقة ام الجعاب لا يتعدى أن يكون أكثر من مقبرتين أحدهما للملك **براب سن** وهى برمز P والأخرى للملك **خع سخموى** ويرمز لها بحرف V .

كما لا نعرف أيضا الأسباب التى جعلت مانيتون يبدأ أسرة جديدة اذ أننا لا نرى أى تغيير أو إنتقال مفاجئ حتى فى البيت المالك فكل شئ سار فى طريقه الطبيعى سواء كان هذا فى الفن أو التنظيم الحكومى أو ما شابه . على أنه يجب أن نضيف اننا للآن لم نعثر على مقابر مؤكدة للملوك الأسرة الثانية فى جبانة سقارة والأمل كبيرة فى العثور عليها فى المستقبل .

ويذكر مانيتون أن الأسرة الثانية تتكون من تسعة ملوك أولهم الملك **حتب سخموى** وهو إسم قد يعنى « القوتان تهدأن » وقد يرمز هذا إلى قوة الألة حورس وقوة الألة ست أو ربما يقصد هنا قوة أتباع كل من حورس وست . فهل يعنى هذا أنه كان هناك نزاع بين القوتين قضى عليه الملك الجديد وربما لنفس هذا السبب بدأ مانيتون أسرة جديدة . ولم يكشف قبره للآن وقد حكم حسب مانيتون ٣٨ سنة وأنه حدث فى عهده إنشقاق فى الأرض بالقرب من مدينة تل بسطة (الزقازيق حاليا) وإبتلع عدد كبير من الناس وأتى بعده كل من

الملك **نب رع** ثم الملك **نى نتر** بمعنى المنتسب للإله ولا نعرف عنهما الشئ الكثير ثم الملك **سخم اب** ويبدو أن الثورة على عبادة الاله حورس إله الشمال قد بدأت فى عهده وبدأ الناس يتعبدون للأله ست إله الجنوب على أن الأسباب التى دعت إلى هذا التغيير غير معروفة حتى الآن وقد يكون أحد الأسباب الهامة هو إنتشار عبادة الالة حورس فى الدلتا وإنتساب الملوك إليه وإن كنا لا نعرف الدوافع السياسية التى أدت إلى تغيير اسم الملك الحورى **سخم اب** وتنازله عن الولاء للاله حورس وتحويل ولاءه للاله ست بمعنى أنه غير اسمه إلى **براب سن** ووضعه داخل السرخ يعلوه حيوان الاله ست بدلا من الصقر حورس الذى كان يعلو إسمه الأول **سخم اب** ولعل السبب هو إزدياد قوة أتباع الاله ست مما جعل الملك يتحول إلى عبادة الاله ست ليحتفظ بعرشه الذى دام ١٧ عام كما جاء فى تاريخ مانيتون . وقد تم الكشف عن مقبرته فى أبيدوس .

تولى العرش بعده كل من **سنج ونثركا ونفر كارع** ولا نعرف عنهم الشئ الكثير .

ثم جاء بعد ذلك الملك **خع سخم** بمعنى تجلت القوة أو أشرقت القوى وقد حكم ٤٨ سنة وقد كشفت له الحفائر فى هيراكونبوليس على تمثالين إحدهما من الشست والآخر من الحجر الجيرى وهما يمثلانه جالسا على عرشه برداء الحب سد ولابسا التاج الأبيض ولم يعثر على قبره للآن .

أما آخر ملوك هذه الأسرة فهو الملك **خع سخموى** بمعنى تجلت أو ظهرت

القوتان أى قوة الأله حورس وقوة الأله ست وقد حكم حسب مانيتون ٢٠ سنة ويبدو أنه حاول أنهاء النزاع بين أتباع الاله حورس والاله ست فوضع إسمه فى السرخ يعلوه صورتين للالهين حورس وست جانبا إلى جنب ثم أضاف إلى إسمه لقب آخر وهو « إطمأن السيدان به » ويبدو أنه تزوج أحد أميرات الشمال وهى الملكة **نى ماعت حب** وقد وجد إسمها على آثار من أبيدوس بلقب الأم الملكية أو أم أولاد الملك وهى أم الملك جسر مؤسس الأسرة الثالثة الفرعونية وينتسب إلى الملك **خع سخموى** المقبرة الضخمة التى يرمز لها بحرف V فى ابيدوس[1] .

التقويم المصرى القديم :

قسم المصريون السنة إلى ثلاثة فصول (الفيضان ، الشتاء ، الصيف) ويشمل كل فصل أربعة شهور وكل شهر ٣٠ يوما وعلى هذا أصبحت السنة ٣٦٠ يوما فقط ثم أضافوا لها خمس أيام تمثل الاحتفال بمولد الآلهة أوزيريس وإيزيس وست ونفتيس وحورس وهى أيام النسئ الخمسة الموجودة للآن فى السنة القبطية .

وتبدأ السنة المصرية نظريا بشروق الشمس مع ظهور نجم الشعرى اليمانية (سوبد) فى نفس الوقت . والمعروف أن السنة الفلكية الحقيقية بها ٣٦٥ يوم وربع اليوم وعلى هذا نجد أن السنة المدنية المصرية تتقدم يوما كاملا كل سنة

(1) Petrie, A History of Egypt, I. P. 27 FF.

- Gardiner, op. Cit, pp. 418 , 419 .

- Newberry, The Set Rebeillion of the II nd Dynasty, 1922, p. 10FF .

خامسة أى تتقـدم شهرا كاملا بعد ١٢ سنة وهكذا . وقـد وضح هذا في بردية ترجع إلى عصر الـرعامسة (القرن ١٣ ق. م) إذ يقول الكاتـب « الشتاء يجئ في الصيف والشهـور تنعكس والساعات تضطرب . . . » على أنـه من الطبيعى أن تتـلازم السنة الـفلكيـة مع السنـة المدنية بـعد ١٤٦٠ سنة (لأن كل أربـعة سنوات تتقدم السنة يوما كاملا × عدد أيام السنة ٣٦٥ = ١٤٦٠) .

✍ ✍ ✍

الفصل الرابع

الدولة القديمة

الفصل الرابع

الدولـة القديمـة

وتعرف بعصر «بناة الأهرام» كناية عـما شيدة ملوك هذه الفترة من أهرامات ذات مكانـــة تاريخية ، كما تـعرف كذلك « بالعصور المـنفية » نسبة إلـى مدينة منـف التى ظلت العاصمة طوال هـذه الفترة . وتشمل الدولة القديمة الاسرات من الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة أى من ٢٦٨٦ إلى ٢١٨١ ق. م .

الاسرة الثالثة : من ٢٦٨٦ إلى ٢٦١٣ ق. م :

للآن لم نعـرف الأسباب التى دعت مانيـتون إلى إنهاء الأسرة الثـانية بموت **خع سخموى** وأن يبدأ أسرة جديدة حاكمة بأسم الملك **جسر** على الرغم من أن الملك جسر كانت له صلة قرابة بالملك السابق **خع سخموى** عن طريق أم الملك **جسر «نى ماعت حب»** الزوجة الأخيرة للملك **خع سخموى**. وهنا نتساءل هل كانت **«نى ماعت حب»** زوجة أصلية أى شرعـية أم زوجة ثانوية أى فرعيــة . أغلب الظن أنـها كانت زوجة غـير شرعية ولـهذا لم تتخـذ لقب «الزوجة الملكيـة» بل إتخذت فقط لقب « أم أبناء الملـك » وأن كان هذا اللقب أيضا دليلا ملموسا بأن **جسر** ابن الملك **خع سخموى** ومن صلبه هذا بجانب لقب «أم مـلك مصر العـليا والسفلـى» . وهناك إحتمـال بأن الزوجة الملـكية الشرعـية لم تنجــب أولادا بل كانت كل ذريـتها من الـبنات فقط أو ربمـا ماتوا

فأتاحت الفرصة لأبناء الزوجة الفرعية للوصول إلى عرش أبيهم وربما كان هذا أيضا سببا من الأسباب التى دعت مانيتون أن يبدأ أسرة جديدة وهى الأسرة الثالثة. ويفضل الترتيب الآتى لفراعنة هذه الأسرة : نب كا سانخت - جسر نترخت - سخم خت - خع با - حونى .

الملك جسر نترخت (زوسر):

جسر تعنى « المقدس » أما نترخت فهى جسد الآلة ولم يظهر اسم جسر على الآثار الا فى عصر الدولة الوسطى وأكدته آثار ترجع إلى عصر الدولة الحديثة وما بعدها أما فى الأسرة الثالثة كما فى الأسرتين الأولى والثانية فقد فضل الملوك نقش إسمهم الحورى على آثارهم وعلى هذا استعمل الملك جسر اسم نترخت فى المجموعة الجنزية للهرم المدرج . كما يلاحظ أن بردية تورين قد سجلت اسم جسر بالحبر الأحمر ضمن ملوكها ربما لأهميته ، وقد ظل إسم جسر فى أذهان المصريين عصورا طويلة اذ نجد نقشا يذكره على صخرة كبيرة فى جزيرة سهيل جنوب أسوان ويطلق على هذه الصخرة إصطلاحا لوحة المجاعة[1] وهى ترجع إلى العصر البطلمى (من عهد بطليموس العاشر) وقد سميت هذه اللوحة كذلك لأنها تشير إلى حدوث مجاعة فى العام الثامن عشر من حكم الملك جسر وذلك بعد أن قل الفيضان سبع سنوات متتالية فقلت الحبوب . فأستشار جسر رئيس كهنته إيمحوتب الذى أشار عليه بطلب العون

(1) Barguet, La Stele de La Famine a Sahel, Cairo, 1953.

- Vandier, La Famine dans L'Egypte Ancienne, Cairo, 1963, PP. 132-139.
- Gardiner, op. at, p. 76.
- Vandier, Manual, I, P. 867.

من الأله خنـوم إلة الشلال وفى الليل رأى المـلك فيما يرى النائـم الاله خنوم يقول له « أنا خنوم خالقك ، أنا نون العـظيم الموجود منذ الأزل ، أنا الفيضان الذى يرتفع حيث شـاء » وفى الصباح أمر الملك جسر بمنح خـيرات المنطقة إلى الألة خنوم .

الهرم المدرج :

ليس من شك فى أن أهم الآثار التى وصلت الـينا من عصر الأسرة الثالثة هى تلك المجموعـة الهرمية التى أمر الملك جـسر ببنائها بسقارة وقـد بنيت هذه المجمـوعة على مساحة كبيرة تبلغ ٥٤٥ متر فى الطول من الشمال إلى الجنوب و ٢٧٧ متر فى العـرض من الشرق إلى الغرب . ومن الطريـف أن الملك جسر قبل أن يبدأ فى بناء مـجموعته الجنزية فى سقارة سار على نـهج من سبقوه من ملوك الأسرتين الأولـى والثانية فبنى مقبـرته الأولى على شكل مصطـبة كبيرة الحجم تبلغ أطوالها ٩٥ × ٥٠ مترا وأرتفاعها ١٠ أمتار وهى من الطوب اللبن وتوجد إلى الجنوب من قرية بيت خلاف الحالية على مقربة من أبيدوس .

أما مقبرته الثانية بسقارة ونقصد بذلك الهرم المدرج أو المصطبة المدرجة فقد ترك تشيدهـا لوزيره الشاب إيمحوتب وهـو المهندس الذى أستخدم الحـجر على نطاق أوسع لأول مرة بعـــد أن كان استخدامه محدودا فى المقـابر الملكية من قبله .

وتمتاز المجـموعة الهرمـية لهرم جسـر بسقارة أولا بأنـها مشيدة مـن الحجر الجيرى ربما لتمثل المـبانى الملكية فى منف العاصمة والتى كـانت مشيدة بالطوب ثانياً أن كثيرا من الـعناصر المعمارية قد ظهرت فى هذه المجموعـة الهرمية للمرة

الأولى والأخيرة . ولـزيارة المجموعة الهرمـية ندخل من البوابـة الموجودة فى الركن الجنـوبى من الجانب الشرقـى للسور حيث نجـد برجين بينهمـا ممر ضيق يوصـل إلى مدخل بـهو الأعمدة ، أمـا واجهة الـسور فهى مـزينة بالـدخلات والخرجات ويقود المدخل إلى صالة طويلة مقـسمة فى طولها إلى قسمين القسم الأول يتكون من مقاصير ناتجة عن الجدران التـى تبرز على كلا الجانبين وتنتهى هذه الجدران البارزة بأعمدة متصلة مضلـعة وهى أعمدة بنيت بأسلوب الأعمدة النباتية التى تتكون من حزمة من سيقان البردى ربطت وغمست فى قاعدة طينية عند أسفلها وربطت بشكل دقيق عند قمتـها العليا الملاصقة للعتب العلوى ولقد إلتـزم الفنـان المصرى بهـذا الأسـلوب ونفذه بكـل تفاصيـله على الأعـمدة الحجرية . ومن صالة المقاصير نصل إلى صالة مستعرضة ومنها نصل إلى الفناء الكبير الذى يتميز بوجود المجموعة الهرمية فبداخله نجد ما أصطلح على تسميته بالمقبرة الجنوبـية وهى فى أقصى الجنوب من هذا الفناء ثـم الهرم المدرج والمعبد الجنزى الذى يقع فـى الشمال منه ومعبد العـيد الثلاثينى ومبنى الـشمال ومبنى الجنوب والسرداب الذى به تمثال للملك جسـر ، وبالنسبة للهرم المدرج فقد بدأ إيمحوتب بـتشيد مصطبة ضـخمة من الحجر غير أنـه لم يقتنع بتصـميمه الأول فأضيفت إلـيها إضافات جانبية علـى مراحل مختلفة وكانـت الاضافات الأخيرة إضافات متـدرجة تعلو بعـضها البعض وصـل بها الهرم إلى سـت درجات إلى أرتفاع يصل إلى ٦٠ متر ويـتكون البناء السفلى للهرم من بـئر حفر فى الصخر يصـل عمقه إلى ٢٨ متر تصل بعدهـا إلى حجرة الدفن التى شـيدت من حجر الجرانيـت الوردى . غير هذا فـهناك عشرات من الـمرات حفرت فى الـصخر الطبيـعى تحت بناء الهرم وتشـعبت فى إتجاهات مختـلفة بأطوال مختلـفة وعلى

أعماق متباينة ووجدت بها عشرات الآلاف من الأوانى المرمرية ويعتقد بأن عددها يربو على ٥٠,٠٠٠ وهى تمثل الاتقان الذى وصلت إليه صناعة الألايستر فى عصر الأسرة الثالثة(١) .

ولقد شيد هذا الهرم من الحجر الجيرى المقطوع من محاجر سقارة نفسها ثم بعد الانتهاء منه كسى من الخارج بألواح من الحجر الجيرى الأبيض الممتاز الذى يقطع باستمرار من محاجر طرة .

ولقد حكم جسر حسب رأى مانيتون ٢٩ سنة رأت فيهم مصر نهضة شاملة .

إيمحوتب :

فى الواقع أنه لم يكن سوى واحد من أبناء الشعب ، وإستطاع أن يصل بعبقريته الفذه ، ومواهبه العظيمة إلى أن يصبح ، وكما تشير إلى ذلك آثار عصره « **أمينا لأختام الوجه البحرى والأول بعد الملك ، والمشرف على إدارة القصر الملكى ، والمهندس ، ومسجل الحوليات ، وكبير كهنة هليوبوليس ، والنبيل الوراثى ، ورئيس المثالين والنحاتين ، ثم الوزير ، ومدير أعمال الصعيد والدلتا ، وكبير الكهنة المرتلين للملك زوسر ، وكبير كتاب الآلة** » . ومعنى إسمه الذى يأتى فى سلام ، أو المجئ فى سلام .

(1) Quibell - Firth, The Step Pyramid, 2 Vols, Cairo, 1935, 1936 .

- Edwards, The Pyranid of Egypt, London, 1965, 55, 56 .

- Lauer, La Pyramids a degres, 3 Vols, Cairo, 1936 - 1939 .

– أحمد فخرى ، الأهرامات المصرية ، القاهرة ١٩٦٣، ص ٢٦ ، ٣٦ .

– سيد توفيق ، المرجع السابق ، ص ٤٥ – ٦٥ .

وتمضى القرون ويزداد المصريون إحتراما لهذا العصامى العظيم ، ويتردد إسمه بإحترام فى الدولة الوسطى ، حيث يجدون فيه المثل الأعلى للعبقرية والتعمق فى العلوم ، ويجعله المثقفون فى الدولة الحديثة على رأس أهل الحكمة والموعظة الحسنة وواحد من راعاتهم ، وفى عصر الأسرة ٢٦ زاد تقدير المصريين له إلى درجة التأليه وإعتباره « إبنا للاله بتاح » . . . وتمر الأيام وتشيد له المقاصير فى منف وحتى فيله وبخاصة فى منطقة طيبة بالكرنك ، وفى الدير البحرى . . وغيرها من الأماكن .

هذا وقد شيد مريدو « إيمحوتب » - بصفته ربا للشفاء - فى العصر الأغريقى ، مقصورة فوق المسطح العلوى لمعبد « حتشبسوت » فى الدير البحرى ، وشبهوه - فيما يرى مانيتون - بالمعبود الأغريقى «أسكلبيوس» راعى الطب والحكمة ، ومجدوه لمهارته فى الطب وفى الأدب والكتابة وأصبحت سقاره من أهم المناطق التى تمتعت بشهرة فائقة فى عبادة « إيمحوتب »[١] .

ولعل كل هذا إنما يعنى أن المجد فى مصر الفرعونية لم يقتصر على الفراعين وحدهم ، وإنما كان لبعض الأفراد نصيب منه يزيد عن نصيب الفراعين أحيانا[٢] .

لقد أطلت فى حديثى عن « **إيمحوتب** » حتى كدنا ننسى الملك «**زوسر**» ولكن الرجل يستحق أكثر من ذلك فقد كان المحرك للنهضة التى شملت مصر

(1) Sethe, Imhotep der Asklepios der Aegypten, Leipzig, 1904.

- Hurry, Imhotp, The Vizier and Physician of King Zoser, Oxford, 1928 .

(٢) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ٥٠٣ ، ٦٠٣ .

كلها . ولكن مهما قلنا عن نبوغة وعبقريته ، فيجب ألا ننسى أنه لولا وجد من يقدره ويشد أزره ويدفع به إلى الأمام لضاع ذلك النبوغ سدى ، فلو لم يكن «**زوسر**» عظيما واسع التفكير لما تمكن «**إيمحوتب**» من تحقيق كل ما حققه .

حكم **زوسر** أعواما طويلة - ٢٩ سنة حسب رأى مانيتون - نهضت فيها البلاد نهضة عامة ، ولم تقتصر آثاره على سقارة فقط بل شيد معابد أخرى ، منها بقايا واحد على مقربة من هوربيط بمحافظة الشرقية .

وكما نعرف أنه أرسل حملة لتأديب بعض بدو شبه جزيرة سيناء الذين كانوا يتعرضون للحملات التى كان يرسلها ملوك مصر لأحضار النحاس من المناجم التى على مقربة من منطقة المغاره هناك[١] .

خلفاء - جسر :

ولعل أهمهم الملك **سخم خت** الذى كشف له زكريا غنيم عن مصطبة حجرية ضخمة فى الجنوب الغربى من هرم جسر المدرج وقد إعتبرها زكريا غنيم قاعدة لهرم مدرج لم يتم تشيده ولقد قام كذلك بأكتشاف جزء من السور الحجرى المحيط بها ويلاحظ أنه قد إستخدم فى بناء هذه المقبرة أحجارا أكثر ضخامة من أحجار الهرم المدرج ومجموعته كما أكتشف بها كذلك تابوت من الألابستر وبطاقة من العاج تحمل الاسم النبتى للملك **سخم خت** الذى وجد فى بعض قوائم الملوك بعد إسم الملك جسر وهو

(١) أحمد فخرى ، المرجع السابق ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

جسرتى عنخ كما وجدت له صورا على صخور شبه جزيرة سيناء تمثله مرة بالتاج الأحمر مرة بالتاج الأبيض ماسكا دبوس القتال يهوى به على أحد أعدائه .

أما الملك حونى آخر ملوك هذه الأسرة فقد حكم ٢٤ سنة بدأ خلالها ببناء هرمه فى ميدوم ولكنه مات قبل أن يتمه فأكمله الملك سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة الذى إهتم بهذه المنطقة وربما « كان ذلك هو السبب - فى رأى أحمد فخرى - فى صلة الملك سنفرو بذلك الهرم والذى جعل كثير من المصريين القدماء فى الدولة الحديثة ينسبون هذا الهرم إليه فى كتاباتهم التى دونوها على أحجاره عندما كانوا يأتون لزيارته » .

وقد أدى اكتشاف أسماء الملوك جسر ، سخم خت ، سانخت على صخور وادى مغارة إلى الاعتقاد بوجود بعثات حربية لإحضار مادة الفيروز من شبة جزيرة سيناء .

الأسرة الرابعة : من ٢٦١٣ إلى ٢٤٩٨ ق. م :

كانت همزة الوصل بين الأسرتين الثالثة والرابعة الأمير **حتب حرس** بنت (آخر ملوك الأسرة الثالثة) **الملك حونى** والتى كانت تحمل فى دمها حق وراثة العرش فتزوجها **سنفرو** وتأسست الأسرة الرابعة .

ويفضل الترتيب الآتى بالنسبة لملوك الأسرة الرابعة : سنفرو - خوفو - جدف رع (او رع جدف) - خعفرع - منكاورع - شبسكاف .

الملك سنفرو :

أسس الملك سنفرو الأسرة الرابعة وبزواجه من الأميرة حتب حرس إبنه آخر ملوك الأسرة الثالثة الملك حونى التى كان لها حق وراثة العرش أصبح مركزه شرعيا فى البلاد ويرى مانيتون أنه حكم ٢٩ سنة وبردية تورين ٢٤ عاما كما نعرف من حجر بلرمو انه قام ببعثات حربية إلى بلاد النوبة وأحضر معه من هناك ٧٠٠٠ أسير ، ٢٠٠,٠٠٠ رأسا من الماشية وبعد ذلك إتجه إلى ليبيا وإنتصر عليها وعاد منها ومعه ١١,٠٠٠ أسيرا و ١٣١ الف رأس من الماشية كما يذكر حجر بلرمو أيضا أنه أرسل اسطولا بحريا إلى لبنان لاحضار أخشاب الارز (عش) للبناء والتى وجد بقايا منها داخل هرمه الجنوبى فى دهشور كما تخبرنا نقوش وادى مغارة بأنه أرسل البعثات إلى شبه جزيرة سيناء لاحضار الفيروز والنحاس من هناك وقد إعتبر المصريون الملك سنفرو حاميا لهذه المنطقة بجانب الآلهة حتحور والآلة سوبد ولعل السبب فى ذلك ما قام به من أعمال لتأمين حدود مصر الشرقية . واكمل سنفرو هرم حونى فى ميدوم وشيد لنفسه

هرمين فى دهشور (٧ كم جنوب سقارة)[1] الأول هو ما أصطلح على تسميته بالهرم المنكسر الاضلاع (كما يعرف أيضا باسم الهرم المنحنى والهرم الكاذب والهرم المنبعج والهرم الكليل) ويبلغ إرتفاعه حوالى ١٠١ متر ويبدو أنه الحلقة التالية لتقدم فكرة بناء المقبرة الملكية بعد المصطبة الملكية المدرجة فهو عبارة عن قاعدة ضخمة عالية بنيت جوانبها بزاوية ٥٤ درجة وفوق هذه القاعدة بنى القسم الثانى بزاوية قدرها ٤٣ درجة ونتج عن تغيير الزاوية ذلك الهرم المنكسر الأضلاع اما طول ضلع قاعدته المربعة فهو ١٨٨,٦٠ متر ويمتاز هذا الهرم وهو الجنوبى عن جميع اهرام مصر بأنه له مدخلان مدخل فى الواجهة الشمالية كما هو المعتاد فى أهرام مصر كما كشف أحمد فخرى فى عام ١٩٥١ عن مدخل آخر له فى الواجهة الغربية ويمتاز هذا الهرم أيضا بأن الكساء الخارجى له لا يزال فى حالته الأولى ولم تهدمه الأزمنة الطويلة التى مرت عليه . وإلى الشمال من هذا الهرم على بعد لا يقل عن ٢ كم نجد الهرم الثانى لسنفرو الذى يعتبر أول هرم حقيقى فى تاريخ العمارة المصرية وارتفاعه ٩٩ مترا وطول ضلع قاعدته ٢٢٠ متر ولقد أطلق الكهنة لقب « خع سنفرو » على كل من الهرمين بمعنى الملك سنفرو يشرق .

ويرى أحمد فخرى أن الملك سنفرو قد دفن فى الهرم الجنوبى وذلك لأنهم إهتموا ببناء جميع أجزائه الجنزية أمثال المعبد الجنزى والممر الصاعد الموصل

(1) Gardiner, op. cit, P. 77 .

- Smith, "Inscription Evidence fot the History of the 4 th Dynasty" JNES, II, 1952, p. 113F.

- أحمد فخرى ، الأهرامات المصرية ، ١٩٦٣ ، ص ١٤١ - ١٤٣ .

- Fakhry, The Monuments of Seneferu at Dahshur, I, 1959, PP. 15 - 23 .

لمعبد الوادى الـذى يمتاز بوجود قائمة كـاملة لأغلب الأقاليم المـصرية فى ذلك الوقت ورمـز لكل منها بسيدة تحمل الـقرابين وأمامهـا إسم الاقليم مرتـبة من الجنوب إلى الشمال وهذا السجل التاريخى يعتبر الوثيقة الأولى لتقسيمات مصر الادارية فى عـصر يرجـع إلى ٢٦٠٠ ق.م كـما يمـتاز هذا الـهرم وهو الـهرم الجنوبى لـسنفرو بوجود هرم صـغير آخر فى الجهة الجـنوبية أطلق علـيه بعض الأثريين إسم هرم الروح أو الطقوس أو القرين (الكا) وقارنة البعض بالمقبرة الجنوبية للملك جسر على اننا للآن لا نعرف الهدف من تشيد هذا الهرم الصغير ربما كانت له صلة ببعض الشعائر الدينية الخاصة بتقديم القرابين .

أما مقابر عائلة سنفرو وكهنته وموظـفيه فقد إنتشرت فى الجهة الشرقية من الهرم الشمالى لسنفرو .

واتخذ سـنفرو لقب « نب مـاعت » بمعنى رب الـعدالة بجانب لـقب آخر اشتهـر به فى الـنصوص الأدبية وهـو « الملك الفـاضل » . ونعرف مـن بردية وست كار (نسـبة إلى السيدة التـى إشترتها) والمكتـوبة بالخط الهيراطـيقى فى القرن السابع عشر ق. م القصة التالية :

وتبدأ القصة بأن يستدعى الملك سنـفرو أحد الكهنة والمسمى جاجا أم عنخ وقال له « انى أشتاق إلى بعض التسلـية ولا أستطيع أن أجدها فى هذا المكان » فيشير عـليه الكاهن « أن يركب قاربا يـجدف فيه عدد من أجمل فتـيات القصر فان ذلك سـيبعث فى نـفسك السرور . . » وعـمل سنفـرو بالنصيـحة « وأمر بأحضار قارب له عشرون مجدافا وأمر باحـضار عشرين فتاة من عذارى القصر الجميلات ذوات الصـدور الناضجة ونزلوا إلى الـبحيرة « وإنطلقن فـى التغريد

والتجديف وذهب الغم عن صدر الملك وفى هذه اللحظة سقطت حلية رئيستهن فى الماء فتوقفت عن التجديف وسألها سنفرو عن السبب فردت عليه قائلة « لقد سقطت حليتى الخضراء فى الماء فقال لها سيرى سأعطيك غيرها » فردت عليه عابسة « أفضل جدا أن تعود إلى حليتى من أن أعطى غيرها » فطلب الملك من الكاهن أن يجد حلا لهذه المشكلة فنطق الكاهن بتعويذة سحرية معينة فانشقت المياه إلى ممرات ونزل فيها وأحضر الحلية وتمتم مرة أخرى فعادت المياه إلى مجاريها ولقد سر الملك بذلك . هذه القصة أن دلت على شئ تدل على رفاهية هذا العصر وفى الوقت نفسه توضح أن كاتب هذه القصة لم يتخيل ملكه قادرا على كل شئ بدليل عدم إستطاعته أن يلبى طلب الفتاة وقام الكاهن بهذه المهمة .

مات سنفرو بعد أن حكم ٢٤ عاما وترك العرش لابنه خوفو من زوجته حتب حرس التى كشفت بعثة هارفارد - بوسطون الامريكية مقبرتها شرق هرم إبنها خوفو عام ١٩٢٥ وتوجد محتويات مقبرتها الأن بالمتحف المصرى .

الملك خوفو :

تولى الملك خوفو العرش بعد وفاة والدة الملك سنفرو والواقع أن اسم خوفو هو الاسم المختصر له إذ أن الاسم الكامل هو « خنم خواف وى » أى الاله خنم هو الذى يحمينى ويعتقد برستد أن خوفو ليس من مدينة منف بل من أقليم المنيا وإعتمد فى رأيه هذا على إسم بلدة « منعت خوفو » أى مرضعة خوفو وهى بالقرب من بلدة بنى حسن فى محافظة المنيا . ويبدو أن مانيتون نفسه قد إعتمد على إسم هذه الضيعة إذ أنه يذكر أن خوفو أصله من بنى حسن

على أية حالة فاحدى إثنتين أما أن يكون خوفو من بنى حسن أو تكون مربيته من هناك .

الهرم الاكبر :

أما عن الأحداث الهامة التى تمت فى عهد خوف فاللاسف لا نعرف عنها الكثير وخاصة أن حجر بلرمو قد أصابه تشويه فى الجزء الخاص بالملك خوفو ويبدو أنه أرسل البعثات إلى وادى مغارة لأحضار الفيروز من هناك اذ وجد إسمه وصورته وهو يهوى بدبوس قتاله على رأس أحد الأعداء كما عثر كذلك على تمثال صغير من العاج فى أبيدوس ، غير أن فترة حكم الملك خوفو غير مؤكدة كذلك فبينما تعطى بردية تورين ٢٣ سنة يعطى مانيتون ٦٣ سنة وفى هذه الفترة التى تزيد عن العشرين عاما أتم الملك خوفو مقبرته التى إتخذت الشكل الهرمى الكامل الذى كان ارتفاعه ١٤٦ متر (واصبح الآن ١٣٧ متر) وكان طول القاعدة المربعة ٢٣٠ متر (وأصبح الآن ٢٢٧ متر) ويشغل مساحة تزيد عن ١٢ فدان لتكون مدفنا لجثمانه وإحتياجاته الخاصة وأطلق عليه «آخت خوفو» أى أفق خوفو . وقد نتساءل الآن كيف تم هذا الهرم الضخم؟[1] يقول هيرودوت الذى زار مصر بين الأعوام ٤٤٨ ، ٤٤٥ ق. م والذى إستقى معلوماته أغلب الظن من الكهنة القاطنين فى منطقة الهرم أنه « كان يقوم بهذا العمل بصفة مستمرة مائة ألف عامل يعملون لمدة ثلاثة أشهر ثم يحل غيرهم

(١) عجائب الدنيا السبع القديمة ذكرها « فيلو البيزنطى » حسب أهميتها :

١- أهرام مصر . ٢- حدائق سميراميس فى بابل . ٣- تمثال الأله زيوس فى أولمبيا .

٤- معبد الأله أرتيمس فى افسوس . ٥- ضريح هاليكارناس.

٦- التمثال الكبير فى رودس . ٧- منارة الأسكندرية .

فى مكانهم وقد إحتاج بناء الطريق الصاعد الذى إستخدموه فى نقل الأحجار إلى أعلى الهضبة إلى عشرة أعوام من تسخير الناس وإستغرق بناء الهرم نفسه عشرين عاما ... وقد شيدوه على درجات ، ووضعوا أحجاره بالطول وبالعرض وبعد أن أتموا وضع الاحجار اللازمة لبناء القاعدة كانوا يرفعون الاحجار الأخرى بواسطة آلات مكونة من عروق قصيرة من الخشب وكانت الآله الأولى ترفع الأحجار إلى أول الدرجة الأولى ، وعلى هذه الدرجة كانت توجد آلة أخرى ترفع الحجر عند وصوله إليها ثم ترفعه إلى الدرجة الثانية حيث توجد آله ثالثة ترفعه إلى درجة أعلى ولهذا فإما كان لديهم عدد من الالات مماثل لعدد درجات الهرم وإما أنه كان لديهم آله واحدة من الممكن تحريكها بسهولة ينقلونها من مدماك إلى مدماك عند رفع الحجر ، وقد ذكروا لى الأمرين ولهذا السبب فانى أذكر كل منهما . وقد انتهوا من إتمام الجزء الأعلى من الهرم أولا ثم الجزء الأوسط وأخيرا الجزء الأسفل القريب من سطح الأرض » .

معنى هذا أن بناء الهرم قد تم فى ثلاثين عام ، عشرة منها للطريق الصاعد وعشرون للهرم نفسه ، على أن هذه المعلومات غير صحيحة فأنه من المؤكد كما تقول النصوص المصرية أن خوفو حكم ٢٣ سنة وربما يكون هذا دليلا على أن هيرودوت كان فى صحبة أحد التراجمة غير المثقفين عند زيارته لمنطقة الأهرام .

ويرى بعض المختصين بأن عدد العمال وهو مائة الف كان بلا شك كافيا

لتشيد مثل هذا الهرم لمدة عشرين عاما ولمدة ثلاثة أشهر سنويا ويرى بترى[1] أن العمل كان يجرى فقط فى الشهور التى تـغطى فيها مياه الفيضان الأرض ولهذا لا يمكن الزراعـة . على أن هيرودوت بنفـسه قد قدم الأدلة الواضـحة لدحض الاتهامات التـى وجهها للملك خوفـو من أنه كان حاكما ظالمـا إذ هو نفسه أى هيرودوت وضح أن العمال كانوا يعملون فقط فى أشهر الفيضان الثلاثة التى لا يمكن فيها الزراعة . بمعنى آخر يمكـن القول بأن خوفو كان أول ملك أمن شعبه ضد البطالة .

قصة السخرة فى بناء الأهرامات :

ولعل مـن الأهمية بمكـان أن نوضح أن بعض آراء المتـعصبين من الـكتاب تدعى أن هذا الهرم دليل على السخرة ، وأن « **خوفو** » قد سخر شعبه للقيام بتشيد هذا الهرم . . . وإزاء ذلك علينا أن نشير إلى عدة أمور هامة منها :

أولاً : أن الســخرة والـكربـاج لا تنـتج المـعجـزات بل أن الحـب والأحتـرام والتقديـس هو منبع هذا الـفعل الخالد ، فالـسخرة لا تنتج هـذه الدقة والأتقان والروعـة التى نراها اليـوم فى هرم خوفو ، ومن الـبدهى أن الشعوب المقهورة لا يمكن أن تنتج فنا على هذا المستوى المعجز وخاصة بهذا القدر من الضـخامة ، فضلا عن الجلال والكمال الفنى .

ثانيـاً : لقـد كان خوفو ملكا مقدسا مـحبوبا ومعبودا من شعبـة ولهذا كان من المحبب لهم أن يقومون بخدمه إلههم فى الدنيا ، إذ أن أقصى ما يطمع

(1) Petrie, The Pyramids and Templs of Gizeh, London, 1883.

- Edwards, Ths Pyramids of Egypt, 1947.

- أحمد فخرى ، الأهرامات المصرية ، ص١٤٥ - ١٨١ .

فيه الفرد أن يكون قبره بالقرب من ملكه وذلك لكى يكون فى رحابه فى العالم الآخر - كما كانوا يعتقدون .

ثالثاً : أن حالة البلاد الاقتصادية فى عهد خوفو كانت مستقرة تماما ، والفن كان مزدهرا ، والعمارة كانت فى أوج مجدها ، ولو كان صحيحا أنه كان ظالما قاسيا لإنهار كل هذا المجد بموته ، ولكننا نرى عكس ذلك فقد اتى من بعده إبنه « خعفرع » وشيد هرمه الذى لا يقل عظمه عن هرم أبيه وشيد معابده وتمثاله الشهير بأبى الهول . . كل هذا إن دل على شئ يدل على متانه الإقتصاد فى هذا الوقت وحب الشعب للملكه الاله المعبود إبن الشمس . بل وأكثر من هذا فلقد ظلت ذكرى خوفو طيبه مقدسه وكان الكهنة يقومون بالشعائر الدينية له وذلك بعد وفاته باكثر من ألفى عام[١] .

رابعاً : أن بناء الأهرامات ، وغيرها من المبانى الدينية ، إنما كان نتيجة سطوه الدين على المصريين وأثره فى حياتهم وتفكيرهم ، فالدين ، كان ولا يزال ، أكبر قوة فى حياة الإنسان ، بل أنه لا يوجد شعب قديم أو حديث بين شعوب العالم إحتلت فى نفسة فكرة الحياه بعد الموت المكانة العظيمة التى إحتلتها فى نفس الشعب المصرى القديم[٢] .

خامساً : أن «هيرودوت» أول من نادى بقصه السخره ، بينما كان لا يعرف لغه المصريين ، ومن ثم فقد إعتمد على التراجمة أو صغار الكهنة وهم لا يزيدون فى معلوماتهم عن الأدلاء الحاليين الذين نراهم حول الهرم ،

(١) سيد توفيق ، المرجع السابق ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(2) Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, P. 45.

إن لم يقلوا عنهم فى المعرفة، كما أن الروايات التى سمعها «هيرودوت» إنما سمعها بعد مضى أكثر من ألفى سنة على بناء الهرم[1] .

وانطلاقا من هذا كله فإننى أميل إلى أن بناء الأهرام إنما كان عن عقيدة ولم يكن عن سخره ، وهذا لا يمنع من أن الملوك قد إنتفعوا بالقوى المعطلة فى أيام الفيضان ، فاختاروه وقتا لبناء أهراماتهم ، على أن يؤدوا للعاملين فيها طعامهم وكساءهم ، وأما القول بأنه كان من الأفضل إستغلال هذه الجهود - البشرية والمادية والفنية - فى عمل ينتفع به المصريون جميعا ، فهذا ما كنا نأمله ، وليس كل ما يتمناه المرء يدركه ثم أنه من الخطأ الحكم بمقاييس عصرنا على عصور مضت منذ خمسة آلاف عام .

وعلى الرغم من أن الهرم لم يف بالغرض الذى من أجله شيد ، وهو حمايه جسد صاحبه ، إلا أنه خلد إسمه على مر السنين والعصور ، وأصبح بحق إحدى عجائب الدنيا السبع ، ودليل قاطع بأن المهندسين المصريين كانوا قد وصلوا إلى أعلى درجات المعرفة فى الهندسة المعمارية .

أما مقابر عائلة «خوفو» فقد خصص لها الناحية الشرقية من الهرم حيث نرى ثلاث أهرامات صغيرة لثلاث من زوجاته ، أما رجال البلاط وكبار الموظفين نجدها فى الجهة الغربية من الهرم .

(١) هيرودوت وقيمة رواياته التاريخية ، (محمد بيومى مهران ، مصر ، الكتاب الأول) ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ ، ص ٦٢ - ٧٠ .

مراكب الشمس :

نعلم من الديانة المصريةالقديمة بأن اله الشمس رع كان له سفينتان سفينة للنهار وتعرف باسم « معنجت » وسفينة لليل وتعرف باسم « مسكتت » ونعلم أيضا بأن مثل هذه السفن كان معروفا لدى الأثريين وخاصة بعد أن عثر «أمرى» فى سقارة وزكى سعد فى حلوان على حفرات شيدت من اللبن على شكل سفن ترجع للأسرتين الأولى والثانية ، كما كشفت الحفائر أيضا على ثلاث حفر كبيرة فى الجهة الشرقية لهرم خوفو كذلك يوجد خمس حفرات لهذه المراكب بالقرب من هرم خعفرع .

كل هذا كان معروفا قبل مايو سنة ١٩٥٤ عندما كشف فى الجهة الجنوبية لهرم خوفو على حفرتين كبيرتين وجد فى إحداهما والتى طولها ٣١,٢٠ متر وعرضها ٢,٦٠ متر وعمقها ٣,٥ متر أول سفينة خشبية كبيرة ترجع للدولة القديمة وذلك بعد رفع الاحجار الضخمة التى سقفت بها هذه الحفرة والتى وصل عددها إلى ٤١ كتلة كبيرة من الحجر الجيرى بالاضافة إلى قطعة حجرية صغيرة .

وقد وجدت بهذه الحفرة أجزاء مركب كبيرة من الخشب مفكوكة إلا أنها وضعت معظم أجزائها فى أماكنها الأصلية لتبدو كما لو كانت كاملة والمركب بها مقصورة الجلوس كما وجدت كذلك الحبال والمجاديف الخاصة بها ونعرف الآن أن طولها ٤٣,٥ متر وإرتفاع مقدمتها ٥ أمتار وإرتفاع مؤخرتها ٧ أمتار . ونعلم أيضا من حجر بلرمو أن بناء السفن فى عهد الملك سنفرو كان له أهميته

الخاصة بالنسبة للأسطول البحرى الذى كونه من أربعين سفينة لاحضار أخشاب السدر (عش) من لبنان وقد وصل طول السفينة ما يقرب من مائة ذراع مصرى أى ٥٢ مترا .

أطلق على هذه المراكب اسم مراكب الشمس وهو إسم يبتعد إلى حد ماعن الحقيقة أما الهدف منها سواء التى وجدت بجوار أهرام ملوك الدولة القديمة (هرم خوفو) أو الدولة الوسطى (على مقربة من هرم سنوسرت الثالث فى دهشور ، إثنان منهم فى المتحف المصرى الآن) فربما لكى تكون تحت تصرف الملك فى رحلاته فى العالم الآخر لعبور الانهار والبحيرات ولزيارة الأماكن المقدسة كما هو واضح فى النصوص المصرية القديمة هذا بجانب الرأى السائد وهو القيام برحلتى النهار والليل الذى يقوم بهما الملك المتوفى مع الة الشمس رع الذى صعب قبوله لعدة أسباب أهمها أن الحفر التى وجدت حول الهرم سواء فى الجهة الشرقية أو الجنوبية هى حفر مختلفة فى الحجم مما يدل أنها تختلف فى الغرض كما أن مراكب الشمس كما صورتها النقوش المصرية لها رموز خاصة لم نجدها على المراكب المكتشفة رغم إكتمال أجزائها ويرى عبد المنعم أبو بكر أن هذا المركب ربما إستخدمت لنقل جثة الملك خوفو من قصره على الضفة الشرقية للنيل إلى قرب هرمه على الضفة الغربية للنيل ثم وضعت بعد ذلك فى حفرتها وغطيت بأحجارها . أما بخصوص الحفر الأخرى فيحتمل أنها كانت بها مراكب ربما إستخدمت فى المناسبات الرسمية والدينية فى دنيا الملك المتوفى . وقد أعتبرت بعد ذلك من الأثاث الجنزى إلا أن ضخماتها حالت دون وضعها ضمن الأثاث الجنزى داخل الهرم ولهذا وضعت حوله[1] .

---

(1) The Cheops Boats, I, Cairo, 1960.

- سيد توفيق ، المرجع السابق ، ص ٦٧ - ٦٨ .

خلفاء خوفو :

بعد هـذا الازدهار الذى رأيناه فـى عهد الملـك خوفو بدأ النـزاع يدب بين أفراد العائلة المالكة وذلك بعد وفاة ولى الـعهد الشرعى للبلاد إبن الملك خوفو الأمير كاوعـب وقد تمكن بعد ذلـك الأمير جدف رع وهو عـلى ما يبـدو من زوجة ثانويـة من الوصل إلى العرش وذلـك بزواجه من أرملة الأمـير كاوعب الأميرة حتب حرس الثانية وأغلب الظن أنـه لم يرزق منها بنسل ، وتذكر بردية تورين أن الملك جـدف رع حكم ٨ سنوات قام خلالهـا بتشيد هرمه فى مـنطقة أبى رواش على بـعد ٨ كم شمال الجيزة . كـما نعرف أيضا أنـه أول من إتخذ لقب سا - رع أى ابـن الشمس وهو اللقب الـذى أصبح سنة ثابتة بـعد عهده وإلتزم به الملوك بعد ذلك فى ألقابهم الخمسة .

الملك خعفرع :

ويأتى بعده أخ له يدعى خعفرع الذى تـزوج من الأميرة مراس عنخ الثالثة بنت الأمير كاوعب من زوجته حتب حرس الـثانية ويذكر مانيتون أنه حكم ٦٦ سنة وهى فترة طويلة يصعب قبولهـا وللأسف أن فترة حكمه مهمشة فى بردية تورين ومن المحتمل أنه حكم فترة قد تزيد عن فترة حكم أبيه الملك خوفو بسنة أو سنتين أى قد تصل فترة حكم الملك خعفرع إلى ٢٥ عاما ولم نجد له آثار فى وادى مغارة كما فـعل أسلافه ولم يشيد الملـك خعفرع مقبرته الهـرمية فى أبى رواش كما فعل أخوه جدف رع بل فضل مهندسة أن يشيد هرم ملكة على ربوة عالية خـلف هرم أبيه الملك خـوفو حتى يخيل للـناظر من بعيد بـأن هرم الملك

خعفرع أكـبر من هرم أبيه ومـن المعروف أنه فى حجـمه العام أصغر مـن الهرم الأكبر[1] .

هرم خعفرع :

وتعتبر المجموعة الهـرمية للملك خعفرع من أعظم النماذج لـلمقابر الملكية فى الدولة القديمة والسبب فى هذا أن عناصرها الأربعة المكونة من الهرم والمعبد الجنزى ومعبد الوادى والـطريق الصاعد الموصل بينهما لازلـت إلى حد ما باقية لتؤكد عظـمة الفن المعمارى فى هذه الـفترة وقد تم الكشف بالقـرب من المعبد الجنـزى عـن خمس حفرات خاصـــة بمراكب الشمس . أطلق على هذا الهرم «ورخعـفرع» أى عظـمة خفـرع وكان إرتفاع الـهرم ١٤٣,٥ متر وأصـبح الآن ١٣٦,٥ مترا وقد أقيم على مساحة مربعة طول الضلع فيها ٢١٥,٥ متر ولهرم خعفرع مدخلان فى واجهته الشماليـة كما يمتاز بأن جزءه الأعلى عند القمة لا تزال أحجار الكساء باقية فيه حتى الآن .

وقد عثـر ماريت فى مـعبد الوادى علـى تماثيل من الـديوريت تمثـل الملك خعفرع من بينها تمثاله الشهير الذى يمثله جالسا على العرش وخلفه الاله حورس على شكل الصقر لحمايته والتمثـال محفوظ الآن بالمتحف المصرى . وهو يعتبر من أحـسن الأمثلـة فى فن النـحت فى الدولـة القديمة ويـدل على أن الفـنان المصرى تمكـن من التحكم والـسيطرة على أقـصى انواع الحجر مثـل الديوريت والجرانيت .

(1) Edwards, op. cit, pp. 151 , 152.

- Gardiner, op. cit, p. 81 .

أبو الهول :

يربض أبو الهول على مقربة من معبد الوادى الخاص بالملك خعفرع فى قلب مكان منخفض على الحافة الشرقية لهضبة الجيزة متجها نحو الشرق وهو جزء من مجموعة الملك خعفرع الهرمية[1] .

وأبو الهول عبارة عن ربوة ضخمة من الصخر كانت فى حقيقة الأمر جزءاً من أحد المحاجر التى إستخدمها العمال لقطع الأحجار اللازمة لبناء المقابر والأهرامات وقد تركها العمال على ما يبدو لعدم صلاحيتها ولقد فكر مهندسوا الملك خعفرع في إستغلال هذه الكتلة الضخمة فشكلوها على شكل أسد رابض هائل الحجم له رأس أنسانية تمثل الملك خعفرع نفسه وفوق رأسه لباس الرأس الملكى المعروف باسم النمس وحيه الكوبرا على جبهته واللحية الطويلة المستعارة وهما شعاران للملكية . ويعرف أبو الهول عند الكتاب الكلاسيكيين باسم Sphinx سفنكس ويحتمل أنها إشتقت من الاصطلاح المصرى القديم « شسب عنخ » بمعنى « الصورة الحية » أما الاسم الحالى وهو أبو الهول فربما يرجع إلى اللفظ المصرى القديم « بر حول » بمعنى « بيت الأسد » .

وأبو الهول أصبح فى الدولة الحديثة يمثل الة الشمس الذى لقب بـ « حور ام آخت » أى الالة حورس فى الأفق وإعتبر حارسا للجبانة وأصبح له مكان يعبد فيه ويحج إليه الزائرون . ونعرف من الأساطير المصرية القديمة أن مهمة الأسد كانت حراسة الأماكن المقدسة وفى نص يرجع للاسرة ٢٦ نقرأ الآتى

(1) Hassan, The Great Sphinx and its Secrets, Cairo, 1953.

- Budge, Legends of the Gods. PP. 88 - 89 .

- P. M. III, PP. 8 - 9 .

على لسان أبى الهول « إنى أحافظ علــى مقبرتك وأحرس حجرة دفنك وأطرح عنها الغرباء . . . الخ » .

الملك منكاورع :

لم تستطع الآثار المصرية المعروفة لدينا الآن أن تعطينا الشئ الكثير عن حياة الملك منكاورع وإن تغلبت الذكرى الطيبــة عند الحديث عنه فى العصور المتأخرة ولقد إتصــف بالتقوى والورع بعكــس ما إتصف به والده خعفــرع وجده خوفو من قوة واستبداد ونعرف أن لقبه الحورى الذهبى هو « واج إيب » بمعنى القلب الأخضر أى الشاب[1] .

ويتحدث هــيرودوت عن عدالة هذا الملــك فيقول « . . . وإستنــكر الأمير منكاورع مسلك أبيه ففتح المعابد المـغلقة وسمح للشعب الذى وصل إلى أحط درجات التعاسة أن يعود كل إلى عملــه وأن يعودوا إلى تقديم القرابين . فسبق فى عدالته جــميع الملوك السابقين وإمــتدحه المصريون بسبــب ذلك أكثر من أى ملك آخر من ملوكهم الآخرين ، مجاهريــن بأنه لم ينصف فى أحكامه فحسب بل إنه عندما كان أحــد الناس غير راض بحكمه يعطيه تعــويضا من ماله الخاص لكى يهدأ من غضبه » .

والاحتمال كبير فــى صدق هذه الرواية لسبب بسيط هو أن بــناء مثل هذين الهرمين الكبيرين ومــا يتبعهما من معابد للملكين خــوفو وخعفرع لاشك حملا الدولة مالا تستطيع من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية .

---

(1) Reisner, Mycrinus, Cambridge, 1931.

- Edwards, op. cit, pp. 159 , 160 .

نعرف من بردية تورين أن الملك منكاورع حكم ١٨ سنة (أو ٢٨ سنة اذ أن البردية هنا مهشمة وليست واضحة) ويعطيه مانيتون ٦٣ سنة وان كانت بردية تورين تميل إلى الصدق أكثر مما نراه فى تاريخ مانيتون بخصوص هذا الملك . وفى هذه الفترة التى تزيد عن ١٨ سنة بدأ الملك منكاورع فى تشيد مجموعته الهرمية ويقع هرمه الذى صممه مهندسه فى الركن الجنوبى من الهضبة ويبلغ إرتفاعه ٦٢ مترا (وكان ٦٦,٥ مترا) وطول ضلع قاعدته ١٠٨,٥ مترا وان كان يمتاز هذا الهرم بوجود جزء كبير من كسائه الجرانيتى باقيا حتى الآن (١٦ مدماكا) بدلا من الحجر الجيرى الذى رأيناه فى الهرمين السابقين .

ويبدو أن النية كانت متجهة إلى كسائه كله بحجر الجرانيت الوردى ولكنهم لم يصلوا إلا لما يقرب من نصفه فقط . وفى حجرة الدفن الخاصة بالملك عثر الكولونيل فيربيرنج عام ١٨٣٩ على تابوت مستطيل من حجر البازلت الذى ربما حوى أصلا مومياء الملك منكاورع وقد زينت جوانب هذا التابوت بالمشكوات التى تمثل واجهات القصور وللأسف غرق هذا التابوت مع السفينة التى كانت تحمله إلى انجلترا .

كما عثر بيرنج وفيز أيضاً على مومياء لرجل وغطاء تابوت خشبى عليه اسم منكاورع وهما محفوظان الآن بالمتحف البريطانى .

وعلى الرغم من أن فترة حكم منكاورع قد تزيد عن ١٨ عاما فأنه لم يستطع أن يتم تشيد هرمه الصغير وما يتبعه من معابد فأكملها له ابنه شبسسكاف وقد شيد معبد الوادى بالطوب اللبن وقد عثر ريزنر أثناء حفائره فى

معبد الوادى وفى معبده الجنزى على مجموعة كبيرة من التماثيل منها الكبيرة ومنها الصغيرة ومنها ما يمثله بمفرده ومنها ما يمثله كفرد فى مجموعة بين الألهة حتحور من جانب ورمز لاقليم من أقاليم مصر الذى مثل على هيئة إمرأة من جانب آخر . هذه المجموعات من التماثيل محفوظة الآن بالمتحف المصرى .

الملك شبسسكاف :

تولى الحكم بعد أبيه الملك منكاورع وقد أكمل مجموعة أبيه الهرمية ولم يقم بتشييد هرم له فى الجيزة وإتخذ منطقة سقارة جبانة له وقام فى جنوبها بتشييد تابوت ضخم مستطيل (١٠٠ متر × ٧٥ متر وارتفاع ١٨ متر) بنى من الحجر المحلى ويبدو أنه كان مكسيا بأحجار طرة الجيرية وكان مائل الجوانب ولم يبق منه الآن إلا جزء من قلب البناء المبنى بالحجر المحلى وهو المعروف الآن بمصطبة فرعون .

ويبدو أن نفوذ كهنة الشمس إزداد وازداد معة قوة وسيطرة الأله رع فى هليوبوليس وكان هذا من أهم الأسباب التى أدت إلى سقوط الأسرة الرابعة فقد تدخلوا فى الحكم وبدأوا يسيطرون على البلاد وفى الشئون الداخلية ومن أهم الأسباب التى سمحت لهم بتحقيق هذه السياسة أن ملوك الأسرة الرابعة بعد الملك خعفرع كانوا ملوكا ضعافا فأستطاع هؤلاء الكهنة أن يفرضوا سيادتهم ويسقطوا الأسرة الرابعة وولوا من بينهم ملكا على مصر كما سنرى فى الأسرة الخامسة ، ملكا يدين بدينهم وينفذ أوامرهم وجعلوا بعد ذلك الأله رع إله الدولة وقللوا من أهمية الاله حورس الذى كان يهيمن على مصر قبل ذلك كإله للدولة . وفى الواقع نستطيع أن نتتبع ظهور رع وإزدياد قوته رويدا رويدا

إبتداء من الأسرة الثانية الفرعونية إذ نجد أن أحد ملوك هذه الأسرة سمى باسم « نب رع » أو « رع نـب » بمعنى رع هـو السيـد ، ثم بعـد ذلك نجد فى عـهد الملك جسر لقب تشريعى جديد هو « رع نوب » أى رع الذهبى ، ثم نجد إبتداء من جدف رع ثالث ملوك الأسرة الرابعـة أن إسم الاله رع أخذ يظهر فى أسماء الملوك أمـثال جدف رع وخعفرع ومـنكاورع ، بجانـب هذا الهزة الكبـرى التى أصابت الجـالس على عرش مـصر وهى تنازله عـن الصفة الأولى كـإله يوازى الاله ويعادله إلا أنـه فوق الأرض وإستعاض عن هذه الألقاب بلـقب جديد هو «سارع» أى ابن الشـمس أى أنه أنقص من مرتبـته فأصبح إبنا لـلاله رع وليس الاله نفسه .

وقد أراد شبسسكاف أن يحد من نفوذ الكهنة فلم يضف إسم رع إلى إسمه كما لم يقم بـتشيد قبر هرمى الشكل لـصلته بعبادة الشمس وأقـامة على شكل تابوت كبير .

ولكن فترة حكمـه القصيرة التى لم تزد عن أربع سنـوات لم تمكنه من أن يحد من نفـوذ الكهنة . وفى عام ١٨٥٨ إكتشف ماريت مقبرة شبسسكاف إلا أنه نسبـها خطأ للملـك ونيس آخر ملوك الأسرة الخـامسة ولكن جكيـية تعرف عليها ونـسبها اليه فى عام ١٩٣٤ . وفى الجهة الشرقية من المصـطبة شيد المعبد الجنزى ومعبد الوادى والممر الصاعد بينهما الذى أقيمت جوانبه من اللبن .

وهناك إحتـمال بأن شبسـسكاف قـد تزوج أخته **خنت كاوس** بنت الملك منكاورع وقد شيدت لها قبرا يشبه قبره فـى جبانة الجيزة فى المنطقة الواقعة بين الممرين الصـاعدين لهرمى خعفرع ومـنكاورع وقد إعتبر هذا القبر فى بادئ الأمر هرما لم يـتم ولكن الحفائر التـى قامت بها بعثـة جامعة القاهرة بإشـراف سليم

حسن عامى ١٩٣١/ ١٩٣٢ دلـت أن البناء العلوى كان على شـكل تابوت فوق قاعدة مـربعة عالية أمـا عن المعبد الجـنزى فقد نحـت فى قلب صخر الـقاعدة ويتكون من ثلاث حجرات فقط ومن ناحيتـه الشرقية بدأ الممر الصاعد الموصل إلى معبد الوادى . وكان من ألقابها « .. ملكة الصعيد والدلتا وأم ملك مصر العليا والسفلى وإبنة الآلة » .

وبهذا تنتهى الأسرة الرابعة بعد أن إنحصرت وراثة العرش فى الملكة **خنت كاوس** .

الأسرة الخامسة : من ٢٤٩٤ - ٢٣٤٥ق ٠م :

يرى إدواردز ، **أن** مـؤسس الأسرة الخامسة **وسركاف** الذى كان حفيدا للملك **جدف رع** والذى ربما وصل إلى مرتبة الكاهن الأعظم فى هليوبوليس قبل جلوسه على عرش مصر تمكن من الزواج من الملكة **خنت كاوس** التى تحمل فى دمها حق وراثة العرش فأصبح بذلك مؤسس أسرة جديدة هى الأسرة الخامسة . وكما نعرف من بردية وست كار التى أشرنا إليها عند حديثنا عن الملك سنفرو أن الملك خوفو جمع أولاده ليقص كل منهم قصة تدل على قوة السحرة وعما يأتونه من معجزات ويبدأ الابن الأول ويليه الابن الثانى والثالث الذى يقول هذه الأسطورة التى تهمنا عند الحديث عن هذه الأسرة فيبدأ موضحا لأبيه خوفو أنه يعيش فى عهده الآن رجل قدير فى شئون السحر يدعى «ديدى» إذ فى إستطاعته إعادة الحياة لبعض الحيوانات بعد فصل رأسها عنها ويطلب خوفو حضور هذا الرجل إلى القصر الملكى ويأتى ويقوم أمام خوفو ببعض معجزاته السحرية فيعيد الحياة إلى أوزة مذبوحة وكذلك إلى ثور فصل رأسه عن جسده ويثق خوفو فى الساحر «ديدى» ويطلب منه أن يوضح له أسرار معبد إله الحكمة جحوتى . فيجيب الساحر أنه لا يعرف هذا السر ولكنه يعرف أين هو ويوضح للملك أن الرسومات الخاصة بهذا السر موجودة فى صندوق بمعبد هليوبوليس ولا يستطيع أحد أحضارها غير أكبر أطفال ثلاثة الذين سوف تلدهم السيدة « رود ددت » زوجة أحد كهنة الألة رع فيحزن الملك لهذا النبأ ويطمئنه الساحر بأن ذلك لن يحدث فى عهده بل سيحكم إبنه ويليه إبن إبنه . . الخ وتستمر القصة وتوضح لنا كيف تمت معجزات ولادة السيدة « روت ددت » التى قامت بها الآلهات إيزيس ونفتيس بجانب الألة خنوم بأمر من الالة رع .

وفى الواقـع هذه الأسطورة لهـا قيمتهـا التاريخـية إذ أنها تظـهر الأوضاع السياسية التى ظهرت فى نهاية الأسرة الرابعة لأنهاء حكم ملوكها وإستيلاء أفراد على عـرش البلاد من كهنـة الشمس ليـس لهم صلة كـبيرة بالأسرة المالـكة مما دعاهم إلى خلق مثل هذه الأسطورة التى توضـح أنهم ليسو من بنى البشر مثل أسلافهـم بل خيرا منـها لأنهم أبنـاء الألة رع ومن صلـبه . . أما من النـاحية الدينية فقد لعبت ديانة الشمس دورا كبـيرا فى الأسرة الخامسة فقد إتبع ملوكها سنة جديدة وهى أن يشيد كل ملك منهم معبدا[1] خاصا لألة الشمس رع ومن الطريف أن نعلم أن عادة تشييد معابد الشمس هذه إستمرت طوال عصر الأسرة الخامسة ثم إختفت بعد ذلك . كما يؤكد حجر بلرمو بإن ملوك الأسرة الخامسة تميزوا بإقامـة المعابد الكثيرة أمـا هيرودوت فأوضح أن هذه الأسرة تميـزت بنزعة دينية خالصة .

ويفضل الترتيب الآتى لملوك هذه الأسرة : وسر كاف - ساحورع - نفراير كارع - شبسسكاف - نفـر اف رع - نى وسر رع - من كاو حـور - جد كارع اسسى - ونيس .

الملك وسركاف :

لقب الملك وسركـاف بلقب « ارى ماعت » اى منفذ الحق ويـرى مانيتون انه حكم ٢٨ سنة ويعطيه كاتب بردية تورين ٧ سنوات فقط ويشير حجر بلرمو أنه قد قام بتشييد معابد للآلهة والآلهات وخاصة ألة الشمس رع .

(1) Lauer, "Le Temple Haut de La Pyramide du Roi Ouser Kef a Saqqarah, ASAe, LIII, P. 116 FF.

وقد إختار وسركاف منطقة سقارة لتشييد هرمه الذى شيده على مقربة من الركن الشمالى الشرقى لسور هرم جسر المدرج ويرى إدواردز أنه ربما كان لهذه المنطقة فى الأسرة الخامسة تقديسا خاصا يفسر لنا إختيار وسركاف لهذه المنطقة على الرغم من ارتفاعها إرتفاعا ملحوظا وخاصة فى الجهة الشرقية من الهرم حيث يقام عادة المعبد الجنزى للهرم مما إضطر مهندسة إلى بناء المعبد فى الجهة الشرقية للهرم لكى لا يخالف القاعدة العامة، ويعتقد فيرث أن عدم وجود المكان الكافى فى الجهة الشرقية للهرم هو الذى إضطر المهندس لتشييد المعبد الجنزى فى الجهة الجنوبية والأكتفاء بهيكل صغير فقط فى الجهة الشرقية . وهرم وسركاف بسيط فى تخطيطه ويشبه فى تصميمه أهرامات الاسرة الرابعة وهو مشيد من الحجر الجيرى وكان له كساء من الحجر الجيرى الجيد وكان إرتفاعه ٤٤,٥ متر (الآن ٢٢,٨٠ متر) وطول ضلع قاعدته المربعة كان ٧٠,٣٧ متر وأصبح ٦٣,٨٤ متر .

ونعرف من المصادر التاريخية أن وسركاف هو أول ملك شيد معبد لاله الشمس رع فى منطقة أبو غراب (على بعد ميل شمال أبو صير جنوب الجيزة) وفى أوائل هذا القرن (١٨٩٨ - ١٩٠١) قام كل من المهندس لدفج بورخارت والأثرى هنرش شيفر بالبحث عن معابد الأسرة الخامسة فأكتشف معبدين أحدهما شيده الملك نى وسر رع والآخر ربما ينتمى للملك وسركاف . فى عام ١٩٢٨ عثر فيرث على هذا المعبد للمرة الثانية وكان متهدما وقد استخدم المصريون موقعة فى العصر الصاوى لبناء مقابرهم وقد عثر المنقبون على بعض أجزاء من تماثيل للملك وسركاف أهمها رأس لتمثال له (ثلاث أمثال الحجم الطبيعى) وهى من حجر الجرانيت الأحمر وموجودة الآن بالمتحف المصرى

وبعض أجزاء من مناظر منقوشة نقشا متقنا . ومما يؤسف له أن هذا المعبد مخرب تخريبا كاملا ولم يعثر فيه على أى دليل مكتوب يؤكد نسبه المعبد للملك وسركاف .

الملك ساحورع :

أتى ساحورع بعد الملك وسركاف وقد حكم طبقا لما جاء فى حجر بلرمو ١٤ سنة وإن كانت بردية تورين تعطيه ١٢ سنة فقط أما مانيتون فيذكر له ١٣ سنة . وقد إختار كل من ساحورع ونفر ايركارع ونى وسررع هضبة على حافة الصحراء بالقرب من قرية أبو صير (٤,٥ كم شمال سقارة) لبناء أهرامهم . على أن مجموعتا هرمى ساحورع ونى وسررع تمتاز بالفخامة الفنية على كل ما بنى قبلهما . ولم يهتم ساحورع ببناء هرم ضخم له بل هو هرم صغير فقير فى بناءه إذا قورن بضخامة أهرامات الأسرة الرابعة إلا أنه إهتم بتشيد المعابد سواء الجنزية أو الدينية[1] وتميز معبدة الجنزى بأبهيته الفخمة المحمولة على أعمدة من الطراز النخيلى بمعنى أن الفنان المصرى صمم تاج العمود على شكل حزمة جريد النخل وربطها من أسفل ثم نحتها على كتلة من حجر الجرانيت مكونا بذلك أعمدة ذات تيجان نخيلية كما إهتم بتزين المعابد بالمناظر والنقوش ، التى نعرف منها نشاط الملك ساحورع الحربى فنعرف أنه قام بحملات ضد الليبيين الذين حاولوا غزو الدلتا وصد البدو فى الشمال الشرقى ونعرف أيضا أنه أرسل إسطولا إلى شواطئ فينيقيا أما حجر بلرمو فيشير إلى أنه ارسل بعثة إلى بلاد

(1) Borchardt, Das Grabdenkmal des Konigs Sahire, Leipziq, 1910, PP. 7 - 12 .

بونت عند الشاطئ الصومالى بأفريقيا لإحضار البخـور والذهب والأبنوس كما كشفت لوحة له عـن إستغلاله محاجر الديوريت فى شمـال غرب أبو سمبل مما يدل معه أن نفوذه قد وصل إلى هناك .

نفرايركارع (كاكاى):

أتى بعـد ساحورع أخوة نفرايـركارع المعروف بكاكـاى ويشير حجر بـلرمو الذى تم نقشـه فى عهده أنه حكم فـترة عشر سنوات ويـعطيه مانيتـون عشرين عاما ويبدو أن فترة حكم كاكاى لم تكـن كافية إذ مات قبل أن يتم جميع أجزاء مجمـوعته الهرميـة التى أصبحت أنـقاضا ولكن ما أبـقاه لنا الزمن مـن نقوش ونصوص نعرف منه ما كـان يعطيه من هبات لمعابد الالهة فقـد كان محبا للآلهة والقائمين على خدمـتهم من الكهنة إذ سجل حجر بلرمـو الأوقاف الملكية التى منحها المـلك سواء لأرواح هليوبوليس ولـتاسوعها كما سجل مـذبحا للألة رع وآخر للآلـهة حتحـور وتمثال ذهبـى لابنها إحـى ونماذج لمراكب الـشمس منـها الصباحية ومنهـا المسائية كما أصدر مرسوما باعفاء رجـال الدين وفلاحى المعابد من القيام بأعمال أخرى تتصل بمـشاريع الاصلاح فى الدولة هذا المرسوم الذى ساعد على تقويـة الكهنة وزاد من نفوذهم وفى نفس الوقت بـدأ يتقلص نفوذ الملك وأخذت سلطتـه تضعف وبالتالى أخذت سلطة الحكومـة المركزية تضعف مما أدى فيما بعد إلى إنهيار الدولة القديمة .

ونعرف إسم الملك نفرايركارع من عدة مقابر لكبار موظفيه على سبيل المثال مقبرة « رع ور » التـى إكتشفـها سليم حـسن عام ١٩٢٩ هذا القبـر لا تقل حجراته وممـراته عن خمسين وعثـر فيه على أكثر مـن مائة تمثال أكثرهـا مهشم

وكان رع ور يحمل أكثر من ثلاثين لقبا من بينها لقب مدير القصر الملكي ونذكر هنا حادثة طريفة تدل على عطف الملك وإنسانيته وطيبة قلبه ذكرها رع ور في مقبرته « فقد حدث ذات مرة في إحتفال رسمي أن الملك وكز بعصاه ساق رع ور من غير قصد ولاحظ الملك هذا وإعتذر عما بدر منه وقال له « أنك أحب رجل لدى وأخص الناس بعطفي » ولم يكتف بذلك بل جعل هذه الحقيقة واضحة للناس فأمر بنقشها على حجر لكي تودع في قبر « رع ور » . وهناك حادث مشابه حدث للوزير والقاضي المعماري « **واش بتاح** » إذ حدث ذات مرة أنه كان الملك ومعه وشاح بتاح في زيارته لإحدى المنشآت الملكية التي يشرف واش بتاح عليها فأغمى عليه فأمر الملك بإستدعاء الأطباء والكهنة ولكن دون جدوى فأمر بصنع تابوت له من الأبنوس وأمر بتحنيطه أمامه وقام الابن بتشييد المقبرة بأمر من الملك وسجل هذه الواقعة فيها .

الملك نى وسررع :

بعد ذلك جاء إلى العرش الملك نى وسر رع الذى حكم فترة تقرب من ثلاثين سنة وقام ببناء هرمه ومعبده لأله الشمس رع فى منطقة أبوصير وقد أهتم بتزين جدران المعبد بمناظر مختلفة لعل أهمها المناظر التى وصلت إلينا والتى تمثل مراسم عيد « السد » أو الإحتفال الثلاثينى ونعرف من نقوش معبده أيضا ما قام به من بعثات حربية ضد الأسيويين .

الملك جد كارع اسسى :

كان ثامن ملوك هذه الأسرة هو جد كارع أسسى وقد حكم طبقا لما ورد فى بردية تورين ٢٨ سنة (وفى قراءة أخرى ٣٩ سنة) وقد إهتم بارسال بعثات إلى سيناء ووادى الحمامات وإستغل محاجر أبى سنبل ونعلم من تاريخ الرحالة

حرخوف الذى قام فى الأسرة السادسة برحلات إلى جنوب مصر أنه عاش فى عهد الملك جد كارع اسسى احد قادة السفن يدعى « **باوردد** » وقد أحضر معه من بلاد بونت قزما أهداه إلى ملكه جد كارع اسسى الذى فرح به كثيرا ، كما وجد إسم هذا الملك أيضا على بعض الآثار المكتشف فى بابل .

وقد شيد هرمه فى منطقة سقارة الجنوبية ويعرف بإسم الهرم الشواف وفى عام ١٩٤٦ كشفت مصلحةالاثار عن بقايا معبده الجنزى ويبدو أنه قد تهدم فى عهد الفراعنة أنفسهم وقد تمكنت مصلحة الآثار من العثور على تماثيل لأسود برؤوس انسانية (تماثيل ابو الهول) وثيران وتماثيل لبعض الأسرى الأجانب .

كما اشتهر جد كارع اسسى أيضا عن طريق تعاليم وزيره الحكيم بتاح حتب والذى كان مربيا له . والنص الرئيسى لهذه التعاليم كتب على بردية ترجع للأسرة الثانية عشرة وتعرف باسم بردية برس ولعل أهم ما ورد فيها إتباع الحق وإحترام الرئيس وطاعة الابن لأبيه والتحذير من الطمع ومن غرور العلم والاهتمام بشكوى المظلوم .

الملك ونيس (أوناس) :

آخر ملوك الأسرة الخامسة ، حكم فترة ثلاثين عاما وهو أول ملك نقش فى حجرة دفنه نصوص اصطلح على تسميتها **بنصوص الأهرام**[1] وهى التى كشف عنها ماسبيرو عام ١٨٨٠ فى هرمه المشيد فى الركن الجنوبى الغربى لسور الهرم المدرج بسقارة وهى عبارة عن مجموعة تعاويذ وصلوات وطقوس

(1) Mercer, The Pyramid Textes, 4 Vols., New York, Toronte, 1952 ..
- Verconter, in the Near East, The Early Civilization, London, 1967, p. 297 .
- Edwards, op. cit, p. 189.

دينية مختلفة تم إختيارها بواسطة الكهنة ومن الملاحظ أنها تختلف من هرم لآخر بدليل أن الكهنة كانوا يفضلون بعض النصوص على البعض الآخر أما الهدف منها فهو ضمان السعادة الأبدية فى الحياة الثانية بعد موت الملك أو الملكة وقد وصل مجموع هذه التعاويذ إلى ٧١٤ تعويذة نجد منها ٢٢٨ فقط فى هرم ونيس . بل إكتشف ما سبيرو أيضا فى نفس العام (١٨٨٠) نصوص أهرامات كل من الملوك تيتى الأول ومرنرع الأول وبيبى الثانى من الأسرة السادسة كما إكتشف جكييه بعد ذلك فى الفترة ما بين ١٩٢٠ - ١٩٣٥ نصوص أهرامات زوجات الملك بيبى الثانى الثلاث الملكة أوجتن والملكة نيت والملكة إبوت وأخيرا وجدت هذه النصوص منقوشة فى هرم ملك يدعى ابى أحد ملوك الأسرة الثامنة .

ويصل ارتفاع هرم ونيس الآن إلى ١٩ متر بعد أن كان فى الأصل ٤٤ متر وطول ضلع قاعدته المربعة ٦٧ متر وهو مهدم إلى حد كبير . ويميز الطريق الصاعد فى المجموعة الهرمية للملك ونيس أن جدران هذا الطريق منقوشة بمناظر مختلفة منها ما يمثل حاملى القرابين ومنها ما يمثل أسطولا من السفن تحضر أحجارا من محاجر أسوان ومنها ما يمثل صيدا طقسيا كما نجد به أيضا المنظر المشهور الذى يمثل جماعة أنهكهم الجوع وقد أتقن الفنان التعبير عنهم وهم أغلب الظن من غير المصريين .

إنتهت الأسرة الخامسة وان لم تترك لنا أهرامات ضخمة مثل أهرامات الأسرة الرابعة إلا أنها تركت لنا ثورة لغوية تمثلت فى نصوص الأهرام هذا بجانب مناظر الحياة اليومية الممثلة على جدران مقابر كبار رجال الدولة أمثال تى وبتاح حتب فى سقارة .

الأسرة السادسة : من ٢٣٤٥ - ٢١٨١ ق. م :

لا نعرف الأسباب التى دعت إلى انهاء الاسرة الخامسة فالملك جد - كارع - اسسى ثامن ملوك الأسرة الخامسة حكم فترة طويلة تصل إلى ٢٨ سنة . ثم تبعه آخر ملوك الأسرة الخامسة الملك ونيس وحكم أيضا فترة طويلة تصل إلى ٣٠ سنة . وقد شهدت مصر تطورا فى الأدب الدينى رأيناه فى نصوص الأهرام وفى الفن وشاهدناه فى مقابر الأشراف أمثال تى وبتاح حتب ولهذا يفضل بعض العلماء إعتبار الملك ونيس أول ملوك الأسرة السادسة لأنه أول من نقش فى حجرة دفنه نصوص أطلق عليها متون الأهرام التى لم تظهر قبل عهده إلا أن مانيتون ذكر أن الأسرة السادسة أصلها من منف وأن أول ملوكها يدعى **تتى** .

ويبدو أن الانتقال من الأسرة الخامسة إلى السادسة قد تم دون إضطراب ويبدو أن أحد زوجات تتى وهى أبوت كانت إبنة الملك ونيس الذى لم يكن له وريث من الذكور وعلى هذا نرى أن همزة الوصل للأنتقال من الأسرة الخامسة إلى الأسرة السادسة مرة أخرى إمرأة هى الأميرة ابوت التى كانت تحمل فى دمها حق وراثة العرش ولعل هذا من الأسباب الهامة التى دعت تتى للزواج منها وتأسيس الأسرة السادسة .

يختلف ملوك الأسرة السادسة سواء فى طول فترة حكمهم او فى أهميتهم وقد حكموا فترة تقترب من قرن ونصف قرن إلا أن فترة حكم بيبى الثانى تتحكم فى ثلثى هذه الفترة ويفضل الترتيب الآتى لملوك هذه الأسرة : تى - وسكارع - بيبى الأول - مرنرع الأول - بيبى الثانى - مرنرع الثانى - الملكة نيتوكريس .

ولقد بدأت الأسرة السادسة بحكم الملك **تتى الأول** الذى حكم ٣٠ عاما طبقا لما جاء فى تاريخ مانيتون أما فترة حكمه فى بردية تورين فهى مفقودة ويحتمل أنه حكم فترة تصل إلى ١٢ عاما ونعرف من تاريخ مانيتون أنه مات مقتولا بيد حارسه وقد شيد هرمه فى سقارة . على أية حال فمازالت معلوماتنا عنه قليلة ويحتمل أنه أرسل البعثات الحربية إلى النوبة كما وجد إسمه أيضا على إناء عثر عليه فى بابل . وقد خلفه الملك **وسركارع** الذى حكم فترة قصيرة قد تصل إلى أربع سنوات ولم يترك وراءة آثار تدل عليه أو بأسلوب أصح لم يعثر عليها حتى الآن وإنما نعرفه عن طريق قوائم أبيدوس وبردية تورين أما قائمة سقارة فقد تجاوزته كما اسقطة مانيتون من تاريخه أيضا .

الملك بيبى الأول :

حكم كما ورد فى تاريخ مانيتون ٥٣ سنة ويعطيه كاتب قائمة سقارة ٣٤ سنة أما بردية تورين فتذكر له ٢٠ عاما فقط وقد إتبع سياسة أسلافه فى إرسال البعثات إلى أسيا (فلسطين) وإلى النوبة . كما أن هناك ما يدل على إحتفاله بعيد السد ولقد إتبع سياسة التقارب فتزوج من إبنه أمير منطقة أبيدوس «خوى» وأنجب منها ولى عهده مرنرع وهناك إحتمال بأنه تزوج من أختها بعد وفاتها وأنجب منها إبنه نفر كارع المعروف باسم بيبى الثانى وهى لاشك خطوة جريئة إتخذها الملك بيبى الأول وتعتبر الأولى من نوعها فى التاريخ الفرعونى إذ يتزوج الملك من بنات رعاياه وليس من أميرات القصر .

شيد بيبى الأول هرمه فى سقارة وسماه بإسم « من نفر » أى « (بيبى) خالد وجميل » وهو الأسم الذى إشتق منه فيما بعد إسم منف الحالى وقد

إزدهـرت الفـنون فى عهده ولعـل نقوش معبده فى سـقارة (القبليـة) وتمثاله النحاسى بالمتحـف المصرى وتماثيله المرمرية فى متحف بروكـلين خير دليل على ذلك .

الملك مرنرع الأول :

اكبر أولاد بيبى الأول حكم فترة قصيرة وهناك إحتمال بانه شارك والده فى الحكم بضع سـنين وبعدها إستقل بالحـكم لفترة تقرب من خـمس سنوات وقد مات شابـا إذ عثر فى غرفة الـدفن بهرمه فى سـقارة على مومـيائه يتدلى مـنها خصلة من الشعر على جانب رأسه وهى دلـيل على صغر سنه ، كما نعرف من لوحة القائد « ونى » الأعمال التى كلفه المـلك بها ولعل من أهمها أشرافه على شق خـمس قنوات فـى صخور الـشلال عند أسـوان وذلك لتـسهيل الاتـصال النهرى بين مصر والسودان .

الملك بيبى الثانى :

إبن الملك بيبى الأول ، أتى بعد أخيه وإبن خالته مرنرع الأول ولقد حكم أطول فترة ممكنة فى التاريخ الفرعونى وربما فى تاريخ العالم إذ روى مانيتون أن بيبى الثانى كان فى السادسة من عمـره عند وفاة أخيه مرنرع وإستمر يحكم ٩٤ سنة وهى رواية ليس من سـبيل إلى تأكيدها أو نقضها أما برديـة تورين فتعطيه أكـثـر من ٩٠ عاما . على أية حال فـلقد إحتفل بالعـيد الثلاثينى مـرتين على الأقل ، كـما أرسل فى سـنوات حكمـه الأولى بعـض الحملات إلى الجـنوب بقيادة حكام الفنتين وقد كانت أمة وصيـة عليه منذ بداية حكمه أما خاله «زاو» فقد أصبح وزيرا له وصاحب الكلمة العليا فى الدولة .

ويبعد ما تبقى من مجموعــة بيبى الثانى الهرمية ما يقرب من ٢٥٠ متر من الركن الشمالى الغربى لمصطبة شبسسكاف بسقارة وقد إهتم بحفر هذه المجموعة جكييه فى الأعوام ١٩٢٦ - ١٩٣٦[1] .

وطال الحكم بالملك بـيبى الثانى الذى إستبدت به شيخوخـته ثم بدأ يتبدل حال الحكومة المـركزية فدب فيها الضعـف وقلت هيبتها وفـى نفس الوقت زاد سلطـان حكام الأقاليـم وزادت ثروتهم وقـل ولاؤهم لصاحب الـعرش فزادت الاعباء على كاهل الحكومة وتعطلت المصالح وإشتدت المظالم مما أدى إلى القيام بثورة . ثورة عـلى كل شئ ثورة على الظـلم وعلى الحكم وحتى عـلى الآلهة وقد صور نـتائج هذه الثـورة فى أواخر الأسرة السادسـة حكيم مصـرى يدعى «**إيبوور**» الذى يحتـمل أنه عاش فى اواخر عهـد بيبى الثانى أو فـى عهد أحد خلفائـه الضعاف ولقد وصلـت إلينا صورة متـأخرة من أراء هذا الحكيم كـتبها أديب من الـدولة الحديثة عـلى بردية تعـرف باسم برديـة ليدن ٣٤٤ نسـبة إلى متحف ليدن الموجودة به منذ عام ١٨٢٨ والتى سنتحدث عنها فيما بعد .

ولقد تولى الحكم بـعد بيبى الثانى ملك وملكة الأول يـدعى مرنرع الثانى وحكم سنة واحدة والثانية الملكة نيت إقرت التى حكمت فترة تقرب من سنتين وذكرها مانيتون باســم نيتوكريس ثم بعدها عم الضعف والـفوضى وإنتهت أيام الأسرة السادسة وبإنتهائها إنتهت الدولة القديمة .

(1) Jequier, Les Monuments Funeraire de Pepi II, 3 Vols, Cairo, 1936-1940.

- أحمد فخرى ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

أهم كبار رجال الدولة فى الأسرة السادسة :

ولكى تتضح لنا الأمور فى الأسرة السادسة يجب أن نتحدث ولو قليلا عن أهم كبار رجال الدولة فى هذه الفترة فنأخذ على سبيل المثال لوحة « ونى » التى كانت قائمة فى قبره بأبيدوس والموجودة الآن بالمتحف المصرى تحت رقم ١٤٣٥ .

فيذكر نص هذه اللوحة أن هذا القائد قد عاصر كل من الملوك تيتى وببى الأول ومرنرع الأول ، ثم نتحدث على الرحالة « حرخوف » الذى ترك لنا تاريخ حياته مفصلا فى مقبرته بأسوان والذى عاصر مرنرع الأول وببى الثانى وأخيرا نتحدث عن حاكم أسوان « ببى نخت » الذى عاصر الملك ببى الثانى وترك تاريخ حياته مفصلا على جدران مقبرته بأسوان .

القائد « ونى » :

كان للنص الذى تركه لنا « ونى » على لوحته التى كانت قائمة فى قبره بأبيدوس[1] فضل لكى نلم بشئون العامة فى الأسرة السادسة . فلقد بدأ موظفا صغيرا فى عهد الملك تيتى كما ذكر الوظائف التى تولاها فى شبابه ونراه يسقط الملك وسركارع لسبب لا نعلمه وينتقل إلى عهد ببى الأول الذى عاصره طوال فترة حكمه . وقد زاد شأن « ونى » فى عهد الملك ببى الأول الذى وهبه ثقة كبيرة بدليل تكليفه بالتحقيق فى مؤامرة عائلية إشتركت فيها زوجته ولم يذكر «ونى» أسباب هذه المؤامرة ونتائجها أو حتى نتائج تحقيقه لها . وبعد ذلك أمره

(١) أحمد بدوى ، فى موكب الشمس ، جـ٢ ، ص ٦٣٢ .

بتكوين جيش كبير وجعله قائدا عليه ليتمكن من القضاء على « السقبائل التى تعيش علـى الرمال » أى بدو الصحراء . هذه القبائل التى تهدد التجارة على حدود مصر الشمالية الشرقية . فقام « ونى » بخمس حملات على الأقل للقضاء عليها . ويفخر « ونى » بالنظام القائم فى جيشه موضحا « . . لم يغتصب جندى قطعة خبز من عابر سبيل أو إغتصب نعله أو سرق عنزة من عشيرة » وبعد ذلك « عاد الجيش سالما بعد أن دمر أرض أهل الشمال وأسقط حصونهم » .

ومات الملك ببيى الأول وخلفه مرنسرع الأول الذى منح « ونى » لقب حاكم الجنوب وأمره بالاشراف على شق خمس قنوات كما أوضحنا من قبل فى صخور الشلال الأول لتسهيل الاتصال النهرى بين مصر والسودان بجانب إحضاره حجر الجرانيت اللازم لبناء هرمه ومعابده من أسوان .

وإنتهى النص بالصيغة المعتادة بأن « ونى » كان محبوبا من والده ممدوحا من أمه .

حرخوف:

حاكم الفنتين ، عاصر كل من مرنرع الأول وببيى الثانى وقد قام بوصفه حاكم لجزيرة الفنتين بعدة رحلات استكشافية نحو الجنوب وقد تمت ثلاثة منها فى عهد الملك مرنرع الأول والرابعة فى عهد الملك ببيى الثانى .

قام حرخوف برحلته الأولى فى صحبة والده « ارى » واستمرت الرحلة سبع شهور ووصلا فيها إلى منطقة « إيام » عند الشلال الثانى وكان الهدف منها

أن « يفتح طريقا إلى تلك المناطق الصحراوية » أى أن نية الكشف موجودة وإن كان الهدف منها تجاريا قبل كل شئ .

ويذكر حرخوف أن الملك أرسله وحده للقيام بالرحلة الثانية التى إستمرت ٨ شهور ووصل فيها إلى ما بعد الشلال الثانى . وفى الرحلة الثالثة إتخذ طريقا آخر سمى « طريق الواحات » ويقصد بها أغلب الظن طريق درب الأربعين (وهو الطريق الموصل من أسيوط إلى الواحة الخارجة ومنها إلى مناطق غرب السودان) . أما رحلته الرابعة التى قام بها فى عهد بيبى الثانى فلم نعرف عنها الشئ الكثير سوى إحضاره قزما للملك الذى فرح به كثيرا ويحتمل أن حرخوف كان يتقن اللغة النوبية والسودانية ليسهل عليه التفاهم مع أهلها إذ كان من ألقابه « رئيس المترجمين » .

بيبى نخت :

عاصر الملك بيبى الثانى وأصبح حاكما لأسوان بعد حرخوف ولقد كان شديد البأس يستعين فى تنفيذ أغراضه باللين مرة وبالقوة مرة أخرى . ولقد قام لسبب من الأسباب بأمر الملك بحملة تأديبية لسكان شمال النوبة كما إضطر للقيام بحملة تأديبية أخرى لبدو الصحراء الشرقية الذين قاموا بقتل أحد ضباط الملك الذى كان مكلفا ببناء سفينة على ساحل البحر الأحمر فقام بيبى نخت بهذه الحملة لإحضار جثمانة وللثأر منهم .

كل هذا إن دل على شئ يدل على ضعف نفوذ الملك الذى إضطر أن يستعين بحكام الأقاليم الأقوياء لحمايته وتنفيذ أغراضه .

الفصل الخامس

الفترة الإنتقالية الأولى أو
عصر اللامركزية الأول
٢١٨١ إلى ٢٠٤٠ ق.م

الفصل الخامس

الفترة الانتقالية الأولى أو عصر اللامركزية الأول

٢١٨١ إلى ٢٠٤٠ ق.م

وهى تمثل الفترة التى تفصل بين نهاية الدولة القديمة وبداية الدولة الوسطى وهى لاشك أظلم فترة فى تاريخ مصر الفرعونية ولقد إستمرت ما يقرب من قرن ونصف وتشمل الاسرات من السابعة حتى نهاية العاشرة .

الثورة الاجتماعية :

لقد سقطت مصر فى هوة عميقة من الاضمحلال بعد موت الملك بيبى الثانى فإنهار صرح الملكية وتدهورت سلطة البلاد المركزية وبالتالى إزداد نفوذ حكام الاقاليم وبدأ الشعب يفكر فى الثورة ليتحرر من قيوده فكانت الثورة ، ثورة على قدسية الملوك وقدسية الآلهة وانتشر الخوف وساد البؤس وعم الاضطراب فى جميع أنحاء البلاد وإزدهر الأدب التهذيبى فى ظل هذه الثورة ويصف لنا الحاكم المصرى « **إيبوور** »[١] الذى يحتمل أنه عاش فى أواخر عصر الملك بيبى الثانى أو أحد خلفائه الضعاف ، البلاد وصفا ممتعا على الرغم

---

(١) توجد هذه البردية فى متحف ليدن بهولندا ، ونشرها :

- Gardiner, The Admonitions of an Egyptian Sage, Leipaiq, 1909 .
- Breasted, The Dawn of Conscience, 1933, PP. 193 - 200 .

مما فيه من قسوة فيعدد صور البؤس ويؤنب الملك الحاكم على إستهتاره وضعفه بقوله :

« ان أصدقاءك قد كذبوا عليك » .

« البلاد تعمل والناس على شفا الهلاك » .

هذه السنوات سنوات حرب وبلاء » .

واليكم بعض ما جاء فى نص إيوور من ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر.

« ما هذا الذى حدث فى مصر ... ؟

إن النيل لا يزال يأتى بفيضانه

وليس هناك من يقوم بحرث حقله

لماذا حقا أصبح الفقراء يمتلكون الكنوز ؟

إن من كان لا يملك نعلا أصبح الآن من الاثرياء

لماذا أصبح الموتى يدفنون فى النهر ؟

ان النهر أصبح جبانة وجعل الناس منه مكانا للتحنيط

لماذا حقا عم الحزن الاشراف ؟

بينما ساد الفرح والسرور الفقراء

لماذا حقا إنتشرت القذارة فى البلاد ؟

ولم يعد لمصرى ثوب أبيض اللون فى هذه الأيام

لماذا حقا قد إختفى الضحك من البلاد ؟

لقد حل محله العويل والبكاء

لماذا حقا ضرب بقوانين البلاد عرض الحائط ؟

وأخذ الناس يطأونها بأقدامهم .

إنظر كيف أصبح نساء الاشراف متسولات .

ومن لم يمتلك خرقة ينام عليها أصبح اليوم وهو صاحب

سرير . إنظروا : إن من كان يقضى الليل يلهث من العطش

أصبح الآن قادرا على تعاطى الجعة القوية

ومن كان يفتقد الرغيف

أصبح الآن يمتلك مخزنا للغلال

إنظروا : ان من كان لا يمتلك ثورا

أصبح الآن من أصحاب القطعان »

ثم يذكر ابوور أفراد الشعب بعهود السلام الماضية

فيقول :

« تذكر كيف كانت الأعلام ترفع

وكيف كانت اللوحات تنقش

وكيف كان الكاهن يطهر جنبات المعبد

وكيف كان عبق البخور يملأ الجو

وكيف كانت المذابح تعج بما يوضع فوقها من قرابين »

ويصل ابورور إلى توجيه اللوم إلى الملك الحاكم فيقول :

« لديك الحكمة والبصيرة والعدالة

ولكنك تترك الفساد ينهش البلاد

الحقيقة أنك أوصلت البلاد إلى هذا الدمار .

والحقيقة أنك تتفوه كذبا . . . » .

وهناك بردية اخرى تتحدث عن الثورة الاجتماعية أو الثورة الطبقية تعرف باسم بردية « نفرتى » ويحتمل انه كتبت فى أوائل الأسرة الثانية عشرة فى عهد الملك أمنمحات وهى موجودة الآن بمتحف لينينجراد فى الأتحاد السوفيتى أما هدفها فهى تعتبر كدعاية سياسية حاول الكاتب فيها أن يقنع الناس بان هناك نبوءة من عهد الملك سنفرو الذى طلب من « نفرتى » رئيس كهنة الألهة باستت أن يحيطه علما بما سيحدث فى المستقبل فيشرح له « نفرتى » الفوضى التى سوف تعم البلاد بعد ذلك وأخيرا يأتى ملك يدعى « أمينى » (إسم مختصر للملك أمنمحات الأول) مؤسس الأسرة الثانية عشرة المولود فى الصعيد من أم نوبية وينقذ البلاد من هذه المحنة .

الأسرتان السابعة والثامنة
من ٢١٨١ إلى ٢١٦٠ ق٠ م

تمثل الأسرتان السابعة والثامنة أظلم فترة فى عصر اللامركزية الأول وهى فترة لا يزال المؤرخون فى شك من تحديدها وقد إختلفت آراؤهم بخصوصها فالبعض يشير إلى أنها إستمرت ٤٠ عاما والبعض الآخر يرى أنها لم تزد عن ٥٠ عاما . إلا أن الأبحاث التى قام بها هيز أوضحت أن هذه الفترة لا تزيد عن ٢١ سنة وفى رأيه أن الأسرة السابعة إستمرت ٨ سنوات وأن الأسرة الثامنة إستمرت ١٣ سنة ونعرف الآن نتيجة لهذه الأبحاث أن أول ملوك هذه الأسرة هو الملك **نفركارع الثانى** . ونعرف من رواية مانيتون أنه تولى الحكم فى الأسرة السابعة سبعون ملكا منفيا أى من مدينة منف مدة سبعين يوما كانت فترة إضطراب وفوضى وقد خلا العرش فيها من ملك يحميه فأضطر كل من كبار الموظفين وحكام الأقاليم أن يرأس الحكم بنفسه ولو لفترة يوم واحد ، على أن اغلب الظن أن عدد السبعين ملكا ما هى إلا رواية تؤكد كثرة الحكام فى تلك الفترة وعدم إستمرارهم فى الحكم وإلتباس الناس فى تعدادهم[1] .

وإتخذ ملوك الأسرة الثامنة منف عاصمة لهم أيضا وإستمروا فى الحكم فترة تصل - فى رأى هيز - إلى ١٣ عاما إعتمدوا خلالها - أغلب الظن - على مناصرة بعض حكام الأقاليم الأقوياء . فقد عثر فى مدينة قفط على بعض

(1) Hayes, The Scepter of Egypt, I. New york, 1953, P. 136.
- Albright, BASOR, 110, 1950, P. 29. F.
- Gardiner, op. cit, P. 108.

اللوحات الحجرية المنقوشة فى خرائب معبد الألة مين والتى تضمنت مراسيم أصدرها الملكان « **واج كارع** » و « **نفرع كاوحور** » من الأسرة الثامنة لبعض أعضاء البيت الحاكم فى قفط وتقرر فيها إعفاءات خاصة لمعبد الألة مين وكهنته هناك . على أن أغلب هذه المراسيم تنفرد بذكر الحاكم « **شماى** » الذى تزوج الابنة الكبرى للملك « **نفركاوحور** » وأصبح من القابه لقب الوزير وحاكم الجنوب وإبنه « ايدى » أجزاء من هذه اللوحات موجودة الآن بمتحف المتروبوليتان بنيويورك أحدهما يسجل تعيين « أيدى » إبن الحاكم شماى فى وظيفة حاكم لمصر العليا على الأقاليم السبع الجنوبية وآخر بتعيين شماى نفسه وزيرا على جميع أقاليم الجنوب وثالث يمجد زوجته نبت ويعطيها لقب « الابنة الكبرى للملك » كل هذا يوضح لنا مدى ما وصل إليه نفوذ أسرة البيت الحاكم فى قفط فى الأسرة الثامنة .

الأسرتان التاسعة والعاشرة الأهناسيتان
من ٢١٦٠ إلى ٢٠٤٠ ق.م

الأسرة التاسعة : من ٢١٦٠ إلى ٢١٣٠ ق.م :

إستطاع **خيتى** حاكم الاقليم العشرين من أقاليم الصعيد فى ظل الإضطرابات التى سادت الفترة الانتقالية الأولى من أن يدعى الحكم لنفسه ويؤسس الأسرة التاسعة الفرعونية ويتخذ من عاصمة إقليمة وهى مدينة « إهناسيا المدينة » عند مدخل الفيوم عاصمة له ولقبه الأثريون باسم الملك **خيتى الأول** وقد إتخذ لنفسه الالقاب « حبيب قلب الأرضين » و « حبيب قلب رع » ويبدو أنه كان معروفا فى جميع أنحاء البلاد إذ وجد إسمه منقوشا على صخرة عند الشلال الأول ، كما عثر على إسمه منقوشا على إناء من البرونز وجد فى أسيوط وعلى عصا للتوكؤ من الأبنوس فى مدينة مير وللآن لا نعرف الأسباب التى دعت مانيتون أن يصف مؤسس الأسرة التاسعة بأنه كان مخبولا وقاسيا وأن نهايته كانت على يد تمساح إفترسه وهى رواية قد تبتعد عن الحقيقة . كما نعرف مما سرده أفريكانوس عن مانيتون بأن كلا من الأسرة التاسعة والعاشرة كانت تضم ١٩ ملكا من إهناسيا أما بردية تورين فتذكر أسرة واحدة فقط بها ١٨ ملك وقد حاول خلفاء خيتى الأول أمثال **نفركارع وخيتى الثانى** ما إستطاعوا إنهاض مصر ومقاومة حكام الأقاليم وعلى وجه الخصوص حكام طيبة الأقوياء دون جدوى على أية حال فيبدو أن الحالة فى الأسرة التاسعة لم تتغير كثيرا عما كانت عليه الأسرة الثامنة فهم ملوك ضعاف ليس لهم أى نفوذ فى الأقاليم وحكام أقوياء يحكمون شبه مستقلين .

الأسرة العاشرة : من ٢١٣٠ - ٢٠٤٠ ق٠م

لا نعرف الأسباب التى دعت مانيتون إلى إنهاء الأسرة التاسعة وأن يبدأ أسرة جديدة هى العاشرة على الرغم أن جميع ملوك الأسرتين ينتمون - أغلب الظن - إلى عائلة واحدة وهذا ما أكده كاتب بردية تورين إذ ذكر أن ملوك إهناسيا يمثلون أسرة واحدة تتكون من ١٨ ملكا أما عن الملوك الذين حكموا فى هذه الفترة فى الشمال واتخذوا من مدينة « إهناسيا المدينة » عاصمة لهم فنعرف منهم الملك **مرى حتحور** وقد ذكر إسمه على أحد الأحجار فى محاجر حتنوب والملك **نفركارع** الذى ذكر فى بردية تورين . ولعل أشهر ملوك هذه الأسرة هو الملك « **خيتى واح كارع** » ولعل سبب شهرته ما تركه اغلب الظن من - تعاليم - إلى ابنه الملك « مريكارع » وهى التعاليم الذى سنتكلم عنها فيما بعد . وقد إنحصر نفوذ هؤلاء الحكام فقط فى مناطق الدلتا وحمايتها من غزوات البدو .

أما فى الجنوب فقد بدأنا نرى إزدياد نفوذ حكام الاقاليم فبدأوا يستقلون بأنفسهم ويتولون كافة سلطات الملك فى أقاليمهم ، وبدأ البعض منهم يكون لنفسه جيشا وبيتا للخزانة بل وأخذوا يستغلون المناجم والمحاجر لحسابهم وبدأ البعض منهم يؤرخ الحوادث بسنوات حكمه هو فى إقليمه وليس وفقا للحوليات الملكية وبدأوا يتولون الأشراف على المعابد المحلية الدينية الموجودة فى أقاليمهم بأعتبارهم كبار رجال الدين وكانت نتيجة كل ذلك أن أصبح كل أقليم دولة داخل الدولة وقد ترتب على هذه اللامركزية أن تمكن حكام طيبة الأقوياء أمثال **أنتف الأول والثانى والثالث** على التوالى يرون أحقيتهم فى

العرش بدلا من حكام إهناسيا وأسسوا الأسرة الحادية عشرة فى الجنوب وإتخذوا من طيبة عاصمة لهم ، وإن كانوا فى بداية الأمر خضعوا إسما فقط لسلطان الملك في إهناسيا ولكن منذ عام ٢١٣٣ ق . م بدأوا ينفصلون عن حكام إهناسيا وإتخذ كل منهم لقب «ملك مصر العليا والسفلى» ومن الطريف أن ملوك الأسرة العاشرة أخذوا يحكمون من أهناسيا وفى نفس الوقت أسس أمراء الجنوب الأسرة الحادية عشرة فى الصعيد واتخذوا طيبة عاصمة لهم .

اسباب قيام الثورة الإجتماعية الأولى:

١- الأسباب الاقتصادية :

أ - تشييد مبان تهدد الأقتصاد القومى ، وتشييد أهرام ومبان دينية عده لكل ملك أرهقت الاقتصاد القومى ، وألقت عبئا ثقيلا على خزائن الدولة مما أرهق الشعب أيما إرهاق وجعل بوادر السخط تتجمع ضدهم .

ب- ذلك العبء الناتج من تخصيص هبات دائمة للصرف منها على مقابر الملوك والملكات والأمراء ، وكانت تلك الأوقاف تبلغ مقدارا كبيراً من المال .

جـ- إنقطاع الموارد التى كانت تأتى من التجارة الخارجية ، وكانت هناك فى نهاية الدولة القديمة إضرابا مع تلك البلاد الأجنبية التى كانت تتجر معها مصر .

٢- الأسباب الاجتماعية :

كانت هناك أسباب إجتماعية للثورة ، ربما نتيجة تسلط طبقة خاصة على كل الوظائف الهامة فى البلاد ، وربما نتيجة إستغلال هذه الوظائف الهامة

إستغلالا سيئا ، صحيح أن مصر نادت بـالمساواة النظرية ، ولكن ضعف الملوك أمام قوة حكام الأقاليم وإتجاههم نحو النزعة الفردية ، قد جعل المساواة النظرية هذه غير ذى موضوع ، ومن ثم فقد بقى نظام الطبقات المنفصلة معترفا به حتى قيام الثورة .

٣- الأسباب السياسية :

ترجع أسباب الثورة السياسية إلى ضعف الملكية وتخاذلها أمام حكام الأقاليم ، وقد إستمر الحكام فى فرض الضرائب الفادحة وإمتنعوا عن توريدها إلى بيت المال ، حتى أصبحت الحكومة فى منف شبه عاجزة عن تنفيذ أوامرها وممارسة حقوقها ، فتوقف إرسال البعثات إلى المناجم ، وتجدد خطر الهجرات الأسيوية ، مما أدى آخر الأمر إلى قيام الثورة .

٤- الأسباب النفسية :

فى أخريات الأسرة السادسة بدأ الشعب يفقد ثقته فى حاكميه ، فلقد أصبحت الملكية ضعيفة ، والكهانة مستغلة ، والأقطاع ينافس الجميع فى إستغلاله ، وهنا يحس الشعب أن عليه أن يتحرك ، هذا التحرك هو ما نسميه بالثورة ، فالثورات تقوم عادة حين يحس الناس بالظلم ، وهذا ما حدث فى ثورتنا هذه عندما أحس الشعب بالدور الذى يجب أن يقوم به ليخلع عن رقابه ظلم الملكية وفساد الكهنة وسوء إستغلال الحكام .

٥- الأسباب الخارجية :

أدى الانهيار الداخلى إلى التسلل الأجنبى للبلاد ، والذى سيطر على جزء

منهـا فترة من الزمـن ، إلا أن هذا الدافع مـن دوافع الثورة ، إنما كـان أقسى دوافعها .

لقد فتكت الثـورة الاجتماعية بمصر فدكت عرشها وفـككت عراها وقضت على الحكومة المركزية فيها وعرضت البلاد لخطر الغزو الأجنبى ، ولكن مصر خرجت من محنتهـا بعد أن تعلمت من تلك التجربة القـاسية أشياء جديدة عن قيمة الأنسان وحقوقه ومعنى الخلق الكريم .

لقد أثـمرت تلك الـثورة الإجتمـاعية إذا وغيـرت الشئ الكـثير من نـظره المصريين إلى حكامهم بوجه عام وجعلتـهم يدركون ما للفرد من قيمة ، وما له من حقوق[1] .

الادب فى الفترة الانتقالية الاولى :

وقبل أن نتهى من عصر اللامركزية الأول يجب أن نعرف أن من أهم آثاره البرديات الأدبية ولعل أهـمها بردية القروى الفصيح وبردية الوصـايا التى يعتقد أن الملـك واح كارع خيتـى كتبـها لابنه المـلك مرى كـارع . وقد أعطت تـلك البرديتان لنا صورة واضحة عن بلاغة هذا العصر وعن الحياة الاجتماعية فيه .

بردية القروى الفصيح :

كتب أديب مـن العصر الاهناسى حـوادث هذه القصة ، والقـصة فى حد ذاتها بسـيطة فى وقائعـها الا أنها تمتاز ببـلاغة الأسلوب ويبدو أن الـهدف ليس القصة نفـسها بل الشكاوى التـسعة التى ناقش فيـها القروى النظم الاجتـماعية

(١) محمد بيومى مهران ، مصر ، ج٢ ، ص ٢٥٥ - ٢٧٥ .

والفوارق بين الطبقات كما طالب بمحو الظلم وإعطاء كل ذى حق حقه وحماية الفقير من الحاكم الغنى الظالم .

وتتلخص وقائع القصة فى أن أحد القرويين واسمه « **خون انبو** » خرج من قريته بالقرب من وادى النطرون يحمل على حميرة بعض السلع من ملح ونطرون وأعشاب لبيعها فى العاصمة إهناسيا ، وعلى حافة النهر وجد الموظف « **جحوتى نخت** » التابع للضيعة الخاصة برئيس نظارة الخاصة الملكية المدعو « **رنسى** » . ففكر جحوتى نخت فى سرقة هذا القروى ، فلجأ إلى الحيلة وطلب من خادمة أن يبسط على الممر قماشا يغطيه بالعرض وطلب جحوتى نخت من القروى الأبتعاد عن قطعة القماش مما دعى القروى أن يسير بحميره داخل الحقل لعدم المرور عليها ولم يعجب هذا جحوتى نخت فقال له « كيف تعمل من الحقل طريقا لك ولحميرك ؟ » فأجابه القروى هادئا « إنى لا أقصد إلا سبيل الخير ، الجسر مرتفع والطريق الوحيد هو السير فى الحقل لانك سددت طريقنا بقماشك ، ألم تسمح لنا بالسير » . فى خلال هذه المناقشة مال أحد الحمير وقضم قضمة من الشعير وإستغل حجوتى نخت هذه الفرصة فاستولى على الحمار نظير أكلة للشعير . ولم يرض القروى بذلك وقال أنه يعرف أن صاحب هذه الضيعة هى « رنسى » القاضى العادل الذى يحارب السرقة فكيف يسرق هو فى أرضه ، إلا أن الضرب كان جزاءه . فأتجه القروى شاكيا إلى القاضى « رنسى » بعد أن ظل عشرة أيام كاملة يستعطف « جحوتى نخت » وهنا تبدأ الشكاوى التى اعجب بها « رنسى » وابلغها بدوره للملك الذى طلب بعدم الفصل فيها حتى يتسنى لهذا القروى بأن يكثر من هذه الشكاوى بعد أن أمر فى نفس الوقت بمراعاة زوجته وأولاده

وإعطائهم حاجتهـم مـن الطعام وفى نهاية هذه الشكاوى التسع يحقق القروى هدفه ويـرد له كل ما ســـرق منه بـل ويأخذ أيضا كـل أملاك جحوتـى نخت ويقيم فى العاصمة .

واليكم بعض نماذج مـن هذا الاسلوب من ترجمة للدكتور عـبد المنعم أبو بكر :

« أنظر ، إنك لرئيس وبيدك الميزان .

« فإذا إختل هذا الميزان فانك تختل أيضا .

لسانك هو ذلك اللسان الصغير للميزان . . .

فاذا سترت وجهك عن الظالم .

« فمنذا الذى يمكنه أن يدفع العار » .

- * -

« أنك كمن يصنع العدل »

« وكمن يصنع كل طيب ويبيد كل خبيث

« انت تجئ كالشبع وبمجيئك ينتهى الجوع

« أنت كالسماء الهادئة بعد عاصفة هوجاء

« تعطى الدفء لمن أصابه البرد ،

« أنت كالنار تنضج الطعام وأنت كالماء تروى الظمأ »

لقـد أجاد الأديب هنـا فى هذه الـقصة مـن أن يتخذ مـن هذه الشـكاوى مسرحا لعرض كل المبادئ الاجتماعية والقانونية التى يأمل فيها كل فرد من أفراد مجتمعة ، ويحفظ متحف برلين بثلاث نسخ بردية لهذه القصة .

وصايا الملك خيتي إلى مرى كارع :

البردية الثانية خاصة بالنصائح والتوجيهات الموجهة إلى الملك مريكارع أحد ملوك الأسرة العاشرة وقد ذكر إسمه على أكـثر من مقبرة فى أسيوط ترجع إلى هذه الفترة . والنص نفسه مكتوب عـلى أكثر من بردية ، الأولى محفوظة فى متحف الارميتاج بمديـنة لينتجراد والثانية معروضة بموسكـو والثالثة موجودة فى كوبنهاجن والجميع يرجعون إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة .

وللأسف فـان اسم الملك الوالـد الذى وجه هذه الـنصائح إلى إبـنة مرى كارع مفقـود فى البرديات الثلاثة إلا أن غالـبية الأثريين يعتقدون أن الملك الوالد هنا - أغلـب الظن - هو الملك واح كارع خيتى وهو المعروف بخيتى الثالث .

توضـح لنا هذه النـصائح الحالة الداخلية فى مصر فـى ذلك الوقت وتظهر الملك بـصـورة متواضعـة وليس بصورة الحـاكم المستـبد محاولا إعطـاء خلاصة تجاربة لابنه (**مريكارع**) موضـحا له الأخـطاء التى وقع فيها الأب لكـى يبتعد عنها الابن فى المستقبل كما يبـين مذهبه فى الدين وهو إرضاء الآلهة وتقديم ما يلزم من القـرابين فيقول « **اصلح مكانك فى العـالم الآخر بالاستقامة وأداء العدل فـإن قلوب الآلهة ترتـاح إليه** » ثـم يؤكـد « **أن أخلاق الرجل المستقيم الضمير أكثـر قبولا عند الرب من ثور يقدمه شرير**

كقربان واعمل لربك يعمل لك بالمثل ؛ ثم يوضح لأبنـه أن سعادة المرء تتوقف على عمله فى الدنيا فان أصلح فلنفسـه وإن أساء فعليها ثم ينصحه بإتباع الحـــق وإقـامة الـعدل واعـطاء كل ذى حـق حقـه وعدم ظـلم الأرامـل بل ورعايتها[1] .

هذه النصائح التى تمـثل على ما يبدو المثل العليا فى ذلـك المجتمع لم يكن من السهـل تنفيذها بأكـملها وكان شأنها شـأن المثل العليا فـى أى زمان ومكان ينادى بها المصلحون ويعمل بها كل فرد حسب فهمه لها ومنفعته منها .

✍ ✍ ✍

(١) سليم حسن ، الأدب المصرى القديم ، جـ١ ، ص ٥٤ - ٧٠ .

الفصل السادس

الدولة الوسطى

الأسرتان الحادية عشرة والثانية عشرة

من٢١٣٣-١٧٨٦ ق٠م٠

الفصل السادس
الدولى الوسطى
الأسرتان الحادية عشرة والثانية عشرة
من ٢١٣٣ - ١٧٨٦ ق. م.

الأسرة الحادية عشرة :

نشأت الأسرة الحادية عشرة أولاً كما نـعرف فى الجنوب ، فى نفس الوقت الذى كانت فيه الأسرة العاشرة تحكم فى إهـناسيا فى الشمال وإستمرت الأسرة الحادية عشرة تحـكم فى الجنوب فـى طيبة أكـثر من ٩٠ عـاماً وأخيراً إسـتطاع منتوحـتب نب حبت رع أن يسقـط حكم إهناسيا ويـبدأ مرحلة فتيـة من تاريخ مصر الفرعونية .

ويفضل الترتيب الآتى لملوك الأسرة الحادية عشر .

أنتف الأول - أنتف الثانى - أنتف الثالث .

منتوحتب الأول - منتوحتب الثانى - منتوحتب الثالث .

الملك منتوحتب الثانى نب حبت رع :

دام حكمه ٥١ عاماً إمتازت بالكفاح . وقـد غير الملك لقبه أكثر من مرة ، فعـند بداية حـكمه إتـخذ لقب سـعنخ أب تـاوى ، أى مسبـب الحياة لقـلب الأرضين وهو لقب تبدو فيه النوايا الطيبة لإعادة الحياة والطمأنينة لمصر وإضطر

فى هذه الفتــرة من حكمه أن يقضى علــى ثورة فى إقليم ثنى فــى العام الرابع عشر من حكـــمه وإنتشرت الطمأنيـنة فى البلاد . وبدأ فترة جديـدة من حكمه إتخذ فيها منتوحتب لقب نب حبت رع بمعنى سيد دفة رع أى موجه دولة رع - ويقصد بدولة رع هنا مصر .

وبدأت إنتصاراته تـزداد وسيطر على حكام الجنوب والشـمال وساد النظام البـلاد . وفى هذه الـفترة الـتى بدت عـلى وجـه التقـريب فى الـعام التـاسع والثلاثين من حكمه إتخذ فيها قلب ، سما تاوى ، أى موحد الأرضين بجانب إسمه الثابت نب حبت رع .

وقد اكتشف ونلوك قبراً كبيراً منحوتاً فـى الصخر على هيئة المغارة فى طيبة كان يحتوى على ما يقرب من ٦٠ مومياء لجنود جيشه الذين إستشهدوا على ما يبدو فى إحدى هذه المعارك من أجل تأمين البلاد ونشر النظام .

ولقد إختار منتوحتــب الثانى حضن جبل من جبال طيبة الغربـية ليشيد فيه ضريحاً[1] يليق به ولم يـبق لنا من هذا الضريح إلا أطلالـه وهى الموجودة إلى الجنوب من معبد حتشـبسوت بالدير البحرى وقد عثر بداخله علــى تمثاله الشهير المحفوظ الآن بالمتـحف المصرى كما عثر أثـناء الحفائر هناك أيضـاً على عدد من مقابـر نساء أسرته ومحـظياته وكان لكـل منهن مقـصورة خاصة تصل إلـى بئر يوصل بدوره إلى حـجرة الدفن . ومن أهم هذه المقابر مـقبرة الأميرة **كاويت** والأميرة **عاشيت** وكان لكل منـها تابوت خشبى موضوع فى تـابوت آخر صنع

(1) Naville, The xl th Dynasty Temple at Deir El-Bahari, 3 Vols London, 1907-1913

- Gardiner, Op. Cit., pp. 122,123.

من الحجر الجيرى الجيد والتوابيت محفوظة الآن بالمتحف المصرى وقد تميزت جوانبها بالمناظر الدنيوية الخلابة .

الملك منتوحتب الثالث سعنخ كارع :

حكم - طبقاً لما ورد فى بردية تورين - ١٢ سنة ، ويعتبره كاتب كل من قائمة أبيدوس وقائمة سقارة السلف الذى أتى بعده الملك أمنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة . وقد إهتم الملك منتوحتب الثالث بتشييد المعابد سواء فى الدلتا أو الصعيد وإهتم بتعمير البلاد . إذ نعرف من نص مقوش على صخرة فى وادى الحمامات ويرجع إلى العام الثامن من حكمه أنه أرسل حمله إلى هناك تحت قيادة أحد رجاله المسمى «حنو» لإحضار الأحجار اللازمة للتماثيل الخاصة بالمعبد ، وقد بلغ عدد رجالها ما يقرب من ٣٠٠٠ رجل ، ويقص علينا حنو كيف قامت الرحلة من ميناء قفط - بعد أن سبقتها بعثة عسكرية لتأمين الطريق أمامها من العصاة ووصلوا عن طريق وادى الحمامات إلى شاطئ البحر الأحمر وإضطروا فى هذا الطريق إلى حفر عدد غير قليل من الآبار لإمدادهم بالماء اللازم لهذا العدد الضخم كما خصص لكل جندى قدرين من الماء و ٢٠ رغيفاً صغيراً يومياً . وعند وصولهم إلى شاطىء البحر الأحمر أخذ هو وعدد من رجاله أسطولاً كان هناك وذهبوا به إلى بونت لإحضار البذور وفى نفس الوقت ترك بقية رجاله بوادى الحمامات لقطع الأحجار اللازمة لتماثيل المعبد . وفى طريق العودة إنضم حنو إلى رجاله وأحضروا معهم البخور وأحجار التماثيل أما قبر الملك منتوحتب سعنخ كارع فقد عثر عليه فى وادى بالجبل الغربى بطيبة إلى الجنوب الغربى من الدير البحرى ولكنه للأسف لم يكمل .

الملك منتوحتب الرابع نب تاوى رع :

يذكر كاتب بردية تورين أن بعد الملك منتوحتب سعنخ كارع أتت فترة تقرب من سبع سنوات بدون ملوك ويبدو أن من بين حكام هذه الفترة الملك منتوحتب الرابع نب تاوى رع الذى لم يعترف به كاتب بردية تورين كملك شرعى للبلاد فى ذلك الوقت وكل معلوماتنا عن هذا الملك أتت من مصدرين الأول هو النقوش الموجودة بمحجر بوادى الحمامات والثانى هو النقوش الموجودة بوادى الهودى (جنوب شرق أسوان بمسافة ٢٧ كم) . . فعلى الرغم من أنه حكم فترة لا تزيد عن عامين إلا أنه اهتم بإرسال البعثات إلى هذين المتجرين لقطع أحجارها الجرانيت من وادى الحمامات وأحجار الجمشت من وادى الهودى . ومن أهم الأحداث فى عهده أنه أرسل فى العام الثانى من حكمه وزيره المسمى أمنمحات ليقطع له الأحجار اللازمة لتابوت من محاجر وادى الحمامات ومعه ١٠٠٠٠ رجل وقد ترك لنا الوزير أمنمحات نقوشاً تقص علينا بأن هناك أكثر من معجزة قد حدثت فى ذلك العهد : فالمعجزة الأولى فى رأيه هى أن غزالاً عشاراً قد إتجهت إليه دون خوف ثم لجأت بعد ذلك إلى مكان معين ووضعت وليدها فيه فاعتبرها الرجال معجزة نبهتهم إلى المكان المناسب لقطع أحجار التابوت اللازمة للملك ، أما المعجزة الثانية فقد حدثت بعد مرور ثمانية أيام على المعجزة الأولى ، وتتمثل المعجزة الثانية فى نزول مطر غزير فى وقت كانوا فيه فى أشد الحاجة إلى الماء بعد أن عز عليهم العثور عليها فى مسالك الصحراء كما تكشف لهم عن بئر كبيرة عمقها ١٠ أذرع (الذراع ٥٢ سم) وقطرها ١٠ أذرع مليئة بالماء العذب حتى حافتها ويؤكد الوزير أمنمحات

بأن هذه معجزة بدليل أن هذا البئر . لم يتكشف لأحد من قبل على الرغم من مرور أعداد غفيرة من الرحالة قبله .

ويعتقد الكثير من علماء الآثار بأن الوزير أمنمحات هذا هو الذى ظهر لنا بعد ذلك كمؤسس للأسرة الثانية عشرة وإتخذ اللقب الملكى ، أمنمحات سحتب أب رع ، بمعنى المسبب الرضا لقلب رع ويعتقد جاردنر أنه ربما قام بمؤامرة لإنتزاع الحكم ومما يؤكد هذا الغرض هو ذلك العدد الضخم من الرجال الذى أخذه معه لإحضار الأحجار اللازمة لتابوت الملك الذى يكفى لإحضارها بضع مئات من الرجال وليس ١٠٠٠٠ كما ذكر ، جمعها غالباً للقيام بعمل آخر هو الإستيلاء على الحكم بعد وفاة منتوحتب الرابع وقام بتأسيس أسرة جديدة هى الأسرة الثانية عشرة .

الأسرة الثانية عشر :(من ١٩٩١ إلى ١٧٨٦ ق.م.) :

حكمت هذه الأسرة ما يقرب من قرنين ، وتتكون من مجموعة من الملوك إشتهروا باسم أمنمحات وسنوسرت على التوالى . وهذا هو الترتيب المفضل لملوك هذه الأسرة .

أمنمحات الأول - سنوسرت الأول - أمنمحات الثانى

سنوسرت الثانى - سنوسرت الثالث - أمنمحات الثالث - أمنمحات الرابع - الملكة سبك نفرو .

الملك امنمحات الأول

فى عام ١٩٩١ ق.م. إستولى الوزير أمنمحات على الحكم وإتخذ لنفسه لقب سحتب أب رع أى المسبب الرضا لقلب رع وفى نفس الوقت إحتفظ باسمه الأصلى المعروف لنا وأسس الأسرة الثانية عشرة وأصبح يعرف باسم الملك أمنمحات الأول وإن كانت ظروف إستيلائه على العرش لازالت حتى الآن أغامضة وإن كنا نعتقد أنه لا يمت للدم الملكى بصلة بل كان رجلاً عصامياً من الشعب قابل الكثير من المصاعب وقابلها بحدة ذكاؤه . كما نعرف من البردية المحفوظة فى متحف لينجراد والمعروفة لنا باسم **تنبوءات «نفرتى»** والتى ترجع إلى أوائل هذه الأسرة وإلى عصر هذا الملك بالذات والتى كتبت - أغلب الظن - كدعاية سياسية لحماية الملك أمنمحات الأول إذ أراد الكاتب أن يقنع أفراد الشعب بأن إستيلاء هذا الفرعون على الحكم هو تحقيق لنبوءة تمت فى عهد الملك سنفرو الذى طلب من رئيس كهنة الآلهة باستت الكاهن «نفرتى»

أن يحيطه علماً بما سيحدث فى المستقبل فيشرح الكان له بأن الفوضى سوف تعم البلاد ثم ينقذها الملك أمنمحات الأول .

وتلك فقرة من هذه البردية[1] :

«سوف يظهر ملك من أهل الجنوب يدعى أمينى ، ابن سيدة من تاستى ، يولد فى الصعيد ، ولسوف يتلقى التاج الأبيض ويتوج بالتاج الأحمر» .

« فإسعدوا إذن يا أهل عصره ، ولسوف يعمل ابن الإنسان على تخليد سمعته إلى الأبد . ولن يستطيع حينذاك أن يدخلوا مصر ، عنوة . وإنما سوف يستجدون الماء منها كمألوف عادتهم . ولسوف يستقر الحق فى نصابه ويزهق الباطل . سعيد من رآه وخدمه » .

بمعنى آخر أن إختيار الملك أمينى (وهو إسم مختصر لأمنمحات الأول) تم بإرادة الآلهة وبفضلهم لإنقاذ مصر مما كانت فيه من فوضى فى نهاية الأسرة الحادية عشرة .

إنتشل الملك أمنمحات مصر من الفوضى التى كانت تعيش فيها فى الأيام الأخيرة من حكم الملك منتوحتب الرابع وأمر بتنظيم الشئون الداخلية ووضع الحدود بين حكام الأقاليم وجيرانهم ونقل عاصمة الملك من الجنوب (طيبه) إلى الشمال إلى مدينة عرفت لنا باسم «إثت تاوى» أى القابضة على الأرضين

---

(1) Gardiner, "The Prophecy of NeFerty", JEA, I, 1914. pp. 100-106.

Erman, The Literature of the Ancient Egyptians, London, 1927, pp. 101-110.

وإن كنا لا نعلم تماماً موقع هذه العاصمة ولكن أغلب الظن أنها تقع بالقرب من منطقة اللشت وهى المنطقة التى إختارها الملك أمنمحات مكاناً لبناء هرمه وذلك لوقوعها فى قلب الأرضين وقد إهتم الملك فى العشرين عاماً التى حكمها بمفرده بالأهتمام بمعابد الآلهة سواء فى طيبة أو فى تل بسطة أو فى مدينة الفيوم وإن كان قد اهتم أكثر بمدينة اللشت إذ إختارها ليشيد مجموعته الهرمية . كما إهتم بالنواحى السياسية والاجتماعية والإدارية فى الدولة .

أشرك الملك أمنمحات الأول إبنه سنوسرت الأول فى الحكم بعد أن ظل يحكم منفرداً ما يقرب من عشرين عاماً وهنا بدأ الوضع يتغير فقد قام سنوسرت الأول فى العام الرابع والعشرين من حكم أبيه أى فى العام الرابع من إشتراكه فى الحكم بحملة حربية إلى فلسطين وفى العام التاسع والعشرين قام بحملة أخرى إلى النوبة لتوطيد نفوذ مصر هناك وفى العام الثلاثين قام بحملة حربية إلى منطقة «تمحو» (ليبيا) وفى طريق عودته منتصراً وصل رسول من القصر يحمل نبأ مقتل الملك أمنمحات الأول . والقصة نعرفها كاملة من **بردية سنوهى** الذى يحتمل أنه كان على صلة قرابة بالملك والذى فر عندما سمع هذا الخبر إلى فلسطين ومنها إلى لبنان وعاش هناك إلى أن أصبح شيخ قبيلة ولكنه حن فى أواخر أيامه إلى العودة لمصر فحقق له الملك سنوسرت الأول هذه الرغبة . ونعرف من بردية سنوهى «أن الملك مات فى اليوم السابع من الشهر الثالث من شهور الفيضان فى العام الثلاثين» ويرى هيز أن هذا التاريخ يوافق الخامس عشر من فبراير سنة ١٩٦٢ ق.م. أى أن سنوسرت ظل يحكم تسع سنوات مع أبيه فى الحكم . هذه النهاية المؤلمة للملك أمنمحات الأول نعرفها أيضاً من بردية عرفت لنا اصطلاحاً باسم **نصائح الملك أمنمحات**

الأول لابنه[1] . والذى يشرح له فيها أمور الحكم ويوضح له كيف قام الأعداء بقتله ، ولا شك أن البردية قد كتبت بعد موت الملك وقد ظهرت وكأنها على لسانه من العالم الآخر وعلى الرغم من أن موت أمنمحات الأول كان فى عام ١٩٦٢ ق.م. إلا أن البرديات المختلفة التى بها نص هذه النصائح ترجع للدولة الحديثة ويبدو أن هذا النص كان محبباً إلى قلوب المصريين لدرجة أنه أصبح يدرس للتلاميذ فى الدولة الحديثة . وفى هذه البردية يقص الملك أمنمحات لابنه سنوسرت كيف قام الأعداء بقتله فيقول - من ترجمة للدكتور أحمد فخرى - .

«بعد تناول العشاء وحلول الليل ذهبت للنوم لأنى كنت متعباً وفجأة سمعت قعقعة الأسلحة ولقد كنت وحيداً ورأيت إشتباك الحراس مع الأعداء ولو أنى أسرعت وبيدى سلاحى لقاتلت هؤلاء الجبناء . ولكن لا شجاع فى الليل ولا قتال من كان وحده ، فلقد حدث ما حدث وأنا وحيد بدونك » . ويتابع الملك فينصحه ألا يظهر بين رعاياه وحيداً ويوضح له **«أن الذى أكل طعامى هو الذى حرض الجنود على والذى أطعمته هو نفسه الذى شجع الثورة»** ، وأخيرا يوصيه بالخير ويتمنى له التوفيق .

الملك سنوسرت الأول :

ولا نعرف تماماً ما الذى إتخذه سنوسرت الأول مع المتآمرين الذين إغتالوا

(1) De Buck, The Instructions of Amenemhat, pp. 847-852.
Erman, op. cit., pp. 72-74 .

والده ، ويبدو أنه إتخذ معهم حلاً جذرياً لأنه أصبح بعد ذلك فرعون مصر وحكم ٤٢ سنة وقد أشرك معه إبنه امنمحات الثانى فى الحكم قبل وفاته بعامين بالتقريب . ولم يهتم سنوسرت الأول بالحالة الداخلية فقط بل وجه إهتمامه إلى البلاد التى على حدود مصر سواء جنوباً أو شمالاً . وكان قد بدأ غزواته جنوباً عندما كان شريكاً مع والده فى الحكم . وفى العام الثامن عشر من حكمه إمتد نفوذه إلى كوش جنوب الشلال الثانى . وكان إهتمام ملوك الدولة الوسطى بالنوبة أولاً لتثبيت نفوذ مصر هناك وثانياً الحصول على منتجات هذه البلاد وكان أهمها البحث عن الذهب ، فقد أرسل سنوسرت البعثات لاستغلال المناجم هناك .

كما إهتم بشبه جزيرة سيناء لإحضار الفيروز والنحاس ، ويبدو أن الصلات بين المصريين والاسيويين كانت صلات ودية فى ذلك الوقت إذ لم يحدثنا سنوهى الذى عاش هناك فترة من الزمن عن حدوث أى حرب بين مصر والآسيويين . وقد عثر أثناء الحفائر سواء فى فلسطين أو فى سوريا على أشياء كثيرة مصرية ترجع للدولة الوسطى فقد عثر على سبيل المثال على عقد به خرطوش الملك سنوسرت الأول فى مدينة رأس شمرة . وعلى أعداد كبيرة من الجعارين عليها نقش لإسمه فى فلسطين .

وفى نهاية حكم سنوسرت الأول نرى أن شمال النوبة من الشلال الأول حتى الثانى أصبح تحت النفوذ المصرى . أما أسيا فقد وصلت إلى حل سلمى للتعايش مع مصر ، أما سيناء فقد إمتد فيها النفوذ المصرى شرقاً وغرباً للبحث عن مناجم الصحراء . ولا شك أن الحالة الاقتصادية كانت على أحسن ما يرام

فى عهد الملك سنوسرت الأول بدليل كثرة ما أبقاه لنا الزمن من عهده من آثار. إذ عثر علـى بقايا أثرية من عهده فيـما لا يقل عن ٣٥ منطقة أثرية مـنتشرة بين الأسكندرية والـنوبة ولعل من أهم المعابـد التى شيدها معبـداً لإله الشمس رع أتوم فى مدينة عين شمس الذى بدأ تشييده فى العام الثالث بعد إنفراه بالحكم . هذا المعبد لم يبق منه الآن غير مسلة واحـدة من الاثنين اللذين أقامهما إحتفالاً بالعيد الثلاثيـنى . وفى الكرنك شيد مقصورة جميلـة صغيرة وجدت أحجارها كاملة داخل الصرح الثالث الذى شيده الملك أمنحوتب الثالث من ملوك الأسرة الثامنة عـشرة وقد أعادت هيئة الآثار تشـيـيدها هناك ويبدو أنها كانـت مخصصة لإحتفـالات عيد «السد» أو لإسـتراحة سفينـة الإله آمون رع أثناء الاحـتفالات الخاصة به .

وقد شيد سـنوسرت الأول هرمه فى منـطقة اللشت إلى الجـنوب من هرم أبيه أمنمحات الأول .

الملك امنمحات الثانى :

إشترك مع أبيه فى الحكم فترة تزيد عن سنتين وظل يحكم منفرداً بعد ذلك ٣٢ سنة ، ولـقد كانت حـالة البلاد آمـنة فى عهـده سواء فى الداخـل أو فى الخارج وذلك بفضل مـا قام به أبوه وجده من نشاط حربى ومـعمارى . ويبدو أن مركز مصر فى الخارج كان قوياً إذ لم يـقع فى أيدينا حتى الآن أى نص يدل على حدوث أى حرب فى عهده .

وقد ظلت النوبة مفـتوحة فى عهده للبعثات الملكيـة لإستغلال مصادرها كذلك كانت هناك صلات ودية بين فرعون مصر وأمراء سوريا إذ عثر هناك على

أشياء عديـدة تحمل إسم الملك وبـعض أفراد عائلته ولـعل أهمها ذلك الـتمثال الذى وجد فى رأس شمرة كما إهتم الملك باستغلال مناجم شبه جزيرة سيناء . كما عثر فـى أرضية معبد الإله منتـو فى بلدة الطود جنوب الأقصـر على أربعة صناديق صغـيرة للحلى من البرونز يـحمل كل منها إسم الملك وأدواتـه مطعمة بالذهب بجانب قطـع فضية وأختام بابلية وأوانى ذهبية . ولـيس هناك ما يثبت أن هذه الأشيـاء غنائم حـرب بل ربما كانـت هدية أحد أمـراء سوريا للـفرعون المصرى إذ أن أغلب هذه الأشياء يغلب عليها الطابع الأسيوى .

وقد شيد أمنمحات الثانى مجموعتـه الهرمية فى مدينة دهشور . وقد نالت هذه المدينـة شهرة خاصة فى القـرن الماضى إذ عثر العالـم الأثرى دى مورجان فيها على مجـموعة رائعة من المجوهرات التى تشهد علـى دقة الصناعة والذوق الفنى وبراعة الصانع المصرى فـى ذلك الوقت ، جزء من هذه المجوهرات كان ينتمى للأميرتين خنومت وايتا ومجموعة المجوهرات هذه معروضة الآن بالمتحف المصرى .

الملك سنوسرت الثاني :

ابن أمنمحات الثانى ، ولقد إشترك مـع أبيه فى الحكم عامين ثم بعد ذلك حكم ١٩ سنة منفرداً . ولقد إتبع سياسة أبيه سواء الداخلية أو الخارجية ويبدو أنه فضـل كأبيه حيـاة السلام فلم تـصل إلى أيدينـا نصوص تدل علـى أنه قام بحروب سواء فى أفريقـيا أو أسيا وقد إكتفى باستغلال المـناجم والمحاجر سواء فى سيناء أو وادى الحمامات وقد إهتم بمنطـقة الفيوم وأقام فيها مشروعات رى وقد شيـد هرمه عند اللاهـون عند مدخل الفـيوم ويبدو أنه لم يـهتم بالتقـاليد

الثابتة التى إعترف بها من قبله فى الدولة القديمة والوسطى فى تشييد الهرم إذ جعل مدخله فى الواجهة الجنوبية (وهو غالباً فى الواجهة الشمالية) مما سبب للعالم الأثرى بترى التى قام بإكتشافه فى عام ١٨٨٨ بعض المتاعب للوصول إلى الطريق الموصل للمدخل . وفى الناحية الجنوبية من الهرم وجدت أربع مقابر خصصت لدفن أفراد من أهل بيته وقد كشف بترى ومساعده جى برنتون عام ١٩١٢ فى إحدى هذه المقابر مجموعة من الجواهر وأشياء شخصية للأميرة «سات حتحور إيونت» صاحبة هذه المقبرة وهى مجموعة لها قيمتها مثل مثيلاتها التى سبق العثور عليها فى دهشور . هذه المجموعة محفوظة الآن - ما عدا القليل منها المعروض فى المتحف المصرى - فى متحف المتروبوليتان بنيويورك .

وبموت سنوسرت الثانى عام ١٨٧٨ ق.م. إنتهت فترة مشرقة من التاريخ الفرعونى قام بها الملوك الأربعة لهذه الأسرة بتوحيد مصر إقتصادياً وسياسياً وإجتماعياً وحاولوا ما إستطاعوا تجنب الحروب مع جيرانهم وكان للفرعون فى ذلك الوقت هيبته فى كل مكان .

الملك سنوسرت الثالث :

ابن سنوسرت الثانى ، لم تتح له الفرصة لمشاركة والده فى الحكم وقد حكم مصر فترة تصل إلى ٣٥ عاماً إستطاع فيها أن يقضى نهائياً على نفوذ حكام الأقاليم بعد أن زادت ثروتهم ونفوذهم ، فجردهم من ألقابهم التى كانت أرثا لهم من بعدهم . وعراهم من مزاياهم فأصبحوا موظفين لا أكثر ولا أقل وبهذا عادت لمصر هيبة الملك الحاكم وقدسيته .

بذل سنوسرت الثالث جهداً كبيراً ليؤكد سلطانه فى النوبة فقام - بعد أن مهد بشق قناة فى صخور الجندل الأول هناك - بأربع حملات تأديبية لسحق بلاد كوش وقد إنتهت هذه الحملات بضم النوبة نهائياً لمصر وأصبحت بلدة سمنة جنوبى الجندل الثانى تمثل حدود مصر الجنوبية وأطلق على قلعة سمنة الموجودة هناك اسم «قوى (الملك) خع كاو رع» وهو إسم العرش للملك سنوسرت الثالث وأصبحت هى وقلعة قمة المقابلة لها على الضفة الشرقية تتحكمان فى الممرات النهرية والبرية على حدود مصر الجنوبية .

وعلى لوحة تعرف إصطلاحاً بلوحة الحدود أصدر مرسوماً فى العام الثامن من حكمه يمنع أهالى النوبة جنوبى منطقة سمنة أن يتخطوها شمالاً إلا إذا أتوا للتجارة أو بسبب عمل مشروع ، وكان على الدوريات المقيمة هناك بالإبلاغ عن أى تحركات مشبوهة للقبائل فى هذه المنطقة .

وختم مرسومة بقوله «أن أياً من أبنائى يحافظ على هذه الحدود التى أقرها جلالتى فإنه إبنى وولد منى . وأما من يدمرها ويفشل فى الحفاظ عليها فليس ابنا لى ولم يولد منى» .

ونعلم أن الملك تحتمس الثالث أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة إعتبر الملك سنوسرت الثالث إلهاً حامياً لمنطقة النوبة وذلك بعد أن شاهد كل ما قام به من أعمال هناك . أما فى الشمال الشرقى فقد قام سنوسرت أيضاً بحملات لتعزيز سلطان مصر سواء فى فلسطين أو سوريا .

ومات سنوسرت الثالث بعد أن شيد هرمه في دهشور[1] ومصر في أوج مجدها وأصبحت بفضله في مأمن من الغزوات الجنوبية والشرقية . كما كان لقضائه على سطوة حكام الأقاليم أكبر الأثر في عودة المركزية للدولة ولقدسية الملك .

الملك (امنمحات الثالث :

كان لكل ما قام به والده سنوسرت الثالث سواء في الداخل من إصلاحات أو في الخارج من حروب الأثر في حياة الرخاء والسلام التي عاشها إبنه أمنمحات الثالث كملك لمصر وإستمرت ٤٥ عاماً وهبها كلها للنواحي الاقتصادية لمنفعة البلاد .

فقد إهتم بإرسال البعثات إلى مناجم سيناء لاستغلال النحاس والفيروز إذ عثر هناك على أكثر من ٥٩ نقشاً سجلها رؤساء العمال هناك باسمه وترجع لعهده . كذلك أرسل البعثات إلى محاجر وادي الحمامات لأستخراج حجر البازلت وإلى محاجر طرة لأستخراج الحجر الجيري الأبيض وإلى النوبة لأستخراج الذهب .

وإهتم أيضاً بمشروعات الري فأكمل ما بدأه جده سنوسرت الثاني من إستصلاح للأراضي التي تغمرها بحيرة ميريس Moeris (قارون حالياً) فأقام الجسور لتحديد البحيرة وأمر بتجفيف مساحات كبيرة من الأراضي (٢٧ ألف فدان بالتقريب) لاستخدامها في الزراعة كما فكر في الأستفادة من المياه الزائدة

(1) Gardiner, Op. Cit., p. 144 .

- Vandier, "Reflexions Sur L'Histoire de La XII Dynastie", Revue Historique, 1958, p. 18 FF.

وذلك بتخزينها فى البحيرة وتوجيهها فى أيام التحاريق إلى مجرى النيل وذلك بواسطة فتحات فى سدود تفتح عند الحاجة إليها .

شيد الملك أمنمحات هرمين له - كما فعل سنفرو من قبل - الأول فى دهشور والثانى فى هوارة بالقرب من الفيوم . وكان للمعبد الجنزى لهذا الهرم شهرة واسعة فى العصرين البطلمى والرومانى وذلك لعظمته وتعدد حجراته فأطلقوا عليه اسم اللابيرانت[1] نسبة إلى قصر اللابرنت الذى أقامه الملك مينوس فى كنوسوس بجزيرة كريت . إلا أن تدمير المعبد الجنزى الكامل كان العقبة الكبرى فى سبيل الحصول على تفاصيل وتخطيط هذا المعبد .

وبموت أمنمحات الثالث إنتهت فترة مشرقة من تاريخ مصر وتولى الحكم بعده ابنه الملك **أمنمحات الرابع** الذى حكم طبقاً لبردية تورين ٩ سنوات وثلاثة شهور و ٢٧ يوم ولا نعرف بالضبط الفترة التى قضاها مع والده شريكاً فى الحكم ثم أتت بعده أخته الملكة **سبك نفرو** وحكمت ثلاث سنوات وقد وجد إسمها على العديد من الآثار التى ترجع إلى هذه الفترة . وهكذا نرى أن الملكة سبك نفرو هى المرأة الثانية التى إستطاعت بعد نيتوكريس - أن تجعل من نفسها، ملكة مصر العليا والسفلى ، وبعدها إنهارت الأسرة الثانية عشرة وبالتالى الدولة الوسطى[2] .

✍ ✍ ✍

(1) Gardiner-Bell, "The Name of Lake Moris", JEA, 29, 1913, pp. 37-50.

- Vercouter, Op. Cit., 370 F.
- Petrie, Kahun, Gurob and Hawara, London, 1890, Pls. 25,27, Pls, 4-11.

(٢) أحمد فخرى ، المرجع السابق ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

الفصل السابع
الفترة الإنتقالية الثانية
او عصر اللامركزية الثانى
الأسرات من الثالثة عشرة
حتى السابعة عشرة
من١٧٨٦-١٥٦٧ ق٠م٠

الفصل السابع

الفترة الإنتقالية الثانية أو عصر اللامركزية الثانى

الأسرات من الثالثة عشرة حتى السابعة عشرة

من ١٧٨٦ إلى ١٥٦٧ ق. م.

تعرضت مصر منذ الأسرة الثالثة عشرة وطوال قرنين أى حتى الأسرة السابعة عشرة للضعف وللإنحلال وإجتازت فترة أخرى مظلمة أشد من التى إجتازتها أعقاب الدولة القديمة فتحكم فيها ملوك ضعاف أسسوا الأسرة الثالثة عشرة وهى أسرة تكونت فى رأى مانيتون من ٦٠ ملكاً حكموا فى طيبة فترة ٤٥٣ سنة تلتها الأسرة الرابعة عشرة وتكونت فى رأى مانيتون من ٧٦ ملكاً وإتخذوا من مدينة سخا فى غرب الدلتا عاصمة لهم وحكموا ١٨٤ سنة أما الأسرة الخامسة عشرة فيرى أفريكانوس نقلاً عن مانيتون أنها تكونت من ستة ملوك فقط أطلق عليهم إسم الهكسوس وحكموا فترة ٥١٨ سنة أما الأسرة السابعة عشرة فقد حكم كل من ملوك الهكسوس شمالاً وملوك طيبة جنوباً وعددهم ٤٢ ملكاً مدة ١٥١ سنة . وقد أغفلت كل من قائمة سقارة وقائمة أبيدوس هذه الفترة أما بردية تورين فقد ذكرت بعض ملوكها وأسقطت البعض الآخر[١] .

1 - Hayes, Egypt. From the Death of Ammnenes III to Seqenenre I, CAH, PAR 2, CAMBRIDGE, 1937 .

- Gardiner, Op, Cit., pp. 141-149.

من الملاحظ أن فترة الحكم التى أعطاها مانيتون لـلفترة الإنتقالـية والتى وصلت فى رأيه إلى ١٥٩٠ عاماً والتى قام بـالحكم فيها عدد من الحكام وصل عددهم إلى ٢١٧ حـاكماً تؤكد لنا المـصاعب التى واجهـت مانيتون عند كـتابته تاريخ هذه الفـترة وهى المصاعب التى واجهـت فريق من العلماء والمتخصصين لمعرفة فترة حكـم كل أسرة وعدد ملوكها على أنه أصبـح فى حكم المؤكد الآن أن الملكة سوبك نفرو آخر ملكات الأسرة الثانية عشرة قد ماتت فى عام ١٧٨٦ كما أن الأبحـاث الحديث أكدت أن الملك أحمـس مؤسس الأسرة الثامـنة عشر تولى الحكم فى عام ١٥٦٧ أى أن الفترة الإنتقالية الثانية إستمرت ما يقرب من ٢٢٠ وهى مقسمة - فى راي هيز - على الوجه التالى :

الأسرة الثالثة عشرة من ١٧٨٦ إلى ١٦٣٣ ق.م. .

الأسرة الرابعة عشرة من ١٧٨٦ بالتقريب إلى ١٦٠٣ ق.م. .

الأسرتـان الخامسة والسادسـة عشرة (الهكـسوس) من ١٦٧٤ إلى ١٥٦٧ ق.م. .

الأسرة السابعة عشرة الطونية من ١٦٥٠ إلى ١٥٦٧ ق.م. .

ومن هنا نـرى أن هناك أكثر من أسرة كـانت تحكم فى جزء مـن مصر فى وقت واحد عندما كانت مـصر مفككة العرى وليس كما كان يعـتقد مانيتون أن كل أسرة من هذه الأسرات كانت تحكم وتتحكم فـى جميع أنحاء مصر ثم تليها أسرة أخرى جديدة وهكذا .

على أية حـال فإنه من الصعب الحـديث هنا فى هذه الفـترة عن الأسرات

بمعناها التاريخى المفهوم بل فى الواقع كان هناك أكثر من مجموعة من الحكام تسابقت - بسبب ضعف مصر - للوصول إلى العرش وأسسوا الأسرة الثالثة عشرة وإتخذ أغلبهم اسم **سبك حتب** كما اشتهر من بينهم ملك عرف باسم **نفر حتب** وقد عثر على آثار تحمل إسمه فى بابل ولعل وجه الأهمية فى العثور على إسمه خارج مصر قد يدل أنه حتى تاريخ حكمه لم يدخل الهكسوس فلسطين وسوريا .

الهكسوس :

وحكم الهكسوس مصر فى الأسرة الخامسة عشرة وأطلق عليها العالم الألمانى أوتو إصطلاح «الهكسوس الكبار» فقد أعطوا لأنفسهم الحق بالإحتفاظ بالألقاب الملكية المصرية ويبدو أنهم استطاعوا فى البداية السيطرة على جميع أنحاء مصر وإنتشرت أسمائهم ونخص بالذكر هنا الملك خيان والملك أبو فيس - من النوبة إلى فلسطين .

ثم بعد ذلك أتت مجموعة أخرى من حكام الهكسوس أطلق عليهم نفس العالم إصطلاح «الهكسوس الصغار» أو الضعاف وهم الذين ينتمون للأسرة السادسة عشرة ولم يستطع هؤلاء السيطرة على جميع أنحاء مصر إذ قام فى هذه الفترة بيت حاكم قوى فى الصعيد إتخذ من طيبة مقرا له وأسس الأسرة السابعة عشرة وأخذ على عاتقه تحرير مصر من الهكسوس .

قلنا أن الفوضى بدأت تسود مصر فى الفترة التى بدأت تظهر فى غرب أسيا حركة هجرة قبائل واسعة تنتمى إلى العنصر الهندو أوروبى وقد وصل أثرها إلى

مصر وبدأت تشعر بها فى أوائل الأسرة الرابعة عشرة وذلك بعد أن إستقرت هذه القبائل فى سوريا وفلسطين وأخذوا بمظاهر الحضارة السامية الموجودة هناك وعروفا فى التاريخ باسم الكهسوس .

فمن هم الهكسوس:

يقول المؤرخ اليهودى جسيفوس فى كتابه «ضد أبيون» ناقلاً عن مانيتون : **« أنه فى عهد ملك يدعى توتيمايوس لسبب لا أعلمه حلت بنا ضربة من الله وفجأة تقدم فى ثقة بالنصر غزاة من الشرق من جنس غامض لإحتلال أراضينا وإستطاعوا بسهولة الإستيلاء عليها بقوتهم دون ضربة واحدة ولما تغلبوا على حكام البلاد أحرقوا مدننا بغير رأفة وهدموا معابد الآلهة وعاملوا الأهالى بقسوة. فذبحوا البعض وإتخذوا نساء وأطفال البعض الآخر عبيداً لهم وأخيراً عينوا واحداً من بينهم ملكاً يدعى ساليتس إتخذ منف عاصمة له وفرض الضرائب على الصعيد والدلتا وكان يترك دائماً الحاميات فى الأماكن الهامة . .** » أما أجناسهم فقد أطلق عليها الهكسوس بمعنى ملوك الرعاة فإن كلمة هيك تعنى فى اللغة المقدسة ملك أما كلمة سوس فتعنى فى اللغة العامية راعى» .

والحق يقال أن جزءاً من هذا الإشتقاق سليم ونقصد به إشتقاق مانيتون . فنحن الآن على يقين من أن كلمة هكسوس قد أتت من الإصطلاح المصرى «حقا خاسوت» بمعنى حكام البلاد الأجنبية وليس ملوك كما قصد مانيتون أما كلمة سوس فربما إختصاراً لكلمة «خاست» بمعنى «بلد أجنبى» .

وقد أتى الهكسوس من الشرق . من أسيا وهم خليط من عدة شعوب وقبائل مهاجرة منها العنصر السامى بجانب عناصر أخرى أهمها الكاسى والحورى وكلا الجنسين من أصل هندو - أوروبى وصل إلى أواسط أسيا ، أما المصرى القديم فقد أطلق عليهم مرة **«عامو»** ومرة أخرى **«سنيو»** أى الأسيويين . هذا يعنى بأن المصريين أنفسهم قد أطلقوا عليهم الأسماء المعروفة لديهم منذ الدولة القديمة والوسطى التى كانوا يطلقونها على جيرانهم من الأسيويين ، بمعنى آخر لم يعتبرهم جنس آخر كما إدعى مانيتون.

حكم الهكسوس :

هناك مصدران يمكن الاعتماد عليهما لدراسة هذه الفترة . الأول ما نعرفه عن مانيتون والثانى ما أخرجته الحفائر سواء فى مصر أو خارجها من آثار تنتمى لهذه الفترة .

فمثلاً نعرف من معبد منحوت فى الصخر للملكة حتشبسوت من الأسرة الثامنة عشرة فى بنى حسن جنوب المينا ويعرف باسم إسطبل عنتر أنها أقامت ما تهدم فى الوقت الذى يحكم فيه الأسيويون فى مدينة «حت وعرت» (وهى المدينة التى أطلق عليها الإغريق إسم **أفاريس** وتقع إلى الجنوب من تانيس (صان الحجر) بما يقرب من ١٢ ميل فى الشمال «**وكانوا يعيشون فى الأرض فساداً . محطمين ما كان قائماً . إنهم كانوا يحكمون دون الإعتراف بسلطان الآلة رع ، ولم تنفذ لرع رغبته الإلهية حتى عهدى العظيم**» .

(1) Gradiner, JEA, 32, 1947, pp. 41 FF.

من هنا نرى أن النصوص المصرية قد بالغت فى تصوير قسوة الهكسوس ومقدرتهم على التخريب وعدم الإعتراف بالأله رع علماً بأن إسم رع وجد فى الكثير من أسمائهم مثل عاوسر - رع ، نب خبش رع وعاقنن رع ، هذا بجانب إسمهم الأول أبوفيس .

وقد إنصبت عبادتهم على الآلة سوتخ أحد مظاهر الأله ست المصرى المعروف لنا منذ الأسرة الأولى الفرعونية . ونحن نعرف من اللوحة المعروفة اصطلاحاً باسم «**لوحة عام ٤٠٠**» والتى وجدها مونتيه فى حفائره فى صان الحجر أن عليها نص يذكر الاحتفال بمرور ٤٠٠ عاماً على بناء معبد الأله ست فى مدينة حت وعرت . ولا شك أنه حدث تطور لعبادة الأله ست فى عهد الهكسوس أن رأوا فيه صورة أخرى للأله الأسيوى بعل أو رشب . وقد حدث هذا الاحتفال بمرور ٤٠٠ عام على بناء معبد الأله ست فى عام ١٣٢٠ ق.م. بالتقريب فى عهد الملك حور محب من الأسرة الثامنة عشرة كما هو واضح على اللوحة نفسها . وبعملية حسابية بسيطة أى بإضافة ٤٠٠ عام إلى ١٢٢٠ نصل إلى عام ١٧٢٠ ق.م. وهو أغلب الظن بداية سيطرة الهكسوس على مصر . وقد أمر الملك رمسيس الثانى من ملوك الأسرة التاسعة عشرة بإقامة هذه اللوحة هناك . تخليداً لهذه الذكرى .

وكان من أسباب تفوق الهكسوس على المصريين إستخدامهم للحصان والعربة وأنواع مميزة من السيوف والخناجر ، هذا بجانب الدروع التى يلبسونها فوق أجسامهم ، كما أحضر الهكسوس معهم نوعاً جديداً من الأقواس وهو ما يعرف فى - رأى ولسن - بالقوس المركب وهو مصنوع من طبقات من الخشب

فيمكن به الرمى إلى مسافات بعيدة وبقوة أشد من القوس المصرى المعروف فى ذلك الوقت ، كما كان لتجمعهم فى معسكرات محصنة أكبر الأثر فى حمايتهم ضد المصريين الذين كانوا أقل منهم تسلحاً .

وقد وصل عدد ملوك الهكسوس - فى رأى مانيتون - فى هذه الفترة ٨١ ملكاً أغلبها وجد منقوشاً على جعارين ومن أشهر ملوك الهكسوس الملك **خيان** ويبدو أنه حكم فترة طويلة وإن كانت فترة حكمه فى بردية تورين يصعب قراءتها لعدم وضوحها . وقد حكم طبقاً لما ورد فى تاريخ مانيتون ٥٠ عاماً وقد عثر له على آثار كبيرة نقش عليها إسمه سواء فى مصر أو خارجها إذ وجد مثلاً فى كنوسوس غطاء إناء عليه خرطوشة بالكامل «الإله الطيب ، ابن رع ، خيان» كما عثر على تمثال صغير لأسد من الجرانيت يحمل إسمه فى بغداد ، وعلى ختم إسطوانى فى أثينا . على أن هذه الآثار رغم إنتشارها فى أماكن عديدة قد لا تدل على إنتشار حكم الهكسوس فى هذه الأماكن لأن أغلبها سلع صغيرة يمكن حملها من مكان إلى مكان وقد تدل فى نفس الوقت على حركة تجارية واسعة إنتشرت فى العصر المتأخر من حكم الهكسوس[1] .

تحرير مصر من الهكسوس :

إستمر المصريون يدفعون الضريبة إلى ملوك الهكسوس وفى نفس الوقت بدأت تستولى عليهم روح وطنية خالصة لتحرير مصر من وباء الهكسوس وذلك بعد أن تعلموا إستعمال المعدات والأسلحة الجديدة ومقاومتها وبدأت حرب التحرير تحت قيادة حكام طيبة الذين أحسوا بقوتهم وبقوة من معهم من أفراد

(1) Save - Soderbergh, The Hyksos Rule in Egypt", JEA, 17,1951, p. 59 FF.

الشعب ويبدو أنهم عقدوا تحالفاً مع زعـماء مدينة الأشمونين فى مصر الوسطى وذلك للقضاء على الهكسوس .

ونعرف من **بردية ساليه رقم ١** من عصر الرعامسة أن الملك **سقننرع الثانى** أحد ملوك الأسرة السابعة عشرة كان حاكماً قوياً فى طيبة بينما **أبوفيس** كان يحكـم فى أفاريس ويحصـل على الضريبـة من أجزاء مصر المختـلفة وقد أرسل أبوفيس للمـلك سقننرع الثانى رسولاً يوضح لـه أن صوت أفراس النهر فى طيبة تقلق نومه وهو فى قصره فى أفاريـس ويطلب منه إسكاتها كما يطلب منه أيضاً ضرورة عبادة الأله الأسيوى سوتخ بدلاً من تعبده للأله المصرى آمون رع ، وقد فكر سقننرع الثانى فعامل الرسـول معاملة حسنة ثم جمع كبار رجاله وإستشارهم[1] . وللأسف لا نسـتطيع تكملة الـنص إذ أن البردية مهشـمة بعد ذلك وإن كانت مومياء سقننرع الثانى المـوجودة بالمتحف المصرى خير دليل على أن صاحبها - أغـلب الظن - قد مات متأثراً بـجراح فى جمجمته نـتيجة لحرب التحرير التى خاضـها ضد الهكسوس وتابع الجهاد بعد الملك سقـننرع الثانى إبنه **كامس** كما هو واضح من النصوص المصرية الـقديمة . نذكر منها هنا نصين أو بالأصح نص واحد كتب بخطين أحدهما على لوحة حجرية والآخر على لوحة خشبية ، الأول وهو منقوش بالخط الهيروغليـفى على لوحة حجرية عثر عليها فى حفائـر الصرح الثالث بمعابد الكرنك فى عام ١٩٢٥ وترجع للسنة الثالثة من حكم الملك كـامس . الثانى عبارة عن الـنص السابق قام بنسخه أحـد التلاميذ بالخط الهيراطيقى على لوحة خشبية تعرف باسم **كارنرفون رقم ١** ويبدو أن هذا التلميذ لم يكن مجتهداً فالنص به أخطاء لغوية عديدة .

(1) Gardiner, Late Egyptian Srories, Parag, 5 FF.

ويبدأ نص لوحة كارنوفون بالتاريخ الذى يذكر السنة الثالثة من حكم الملك كامس ثم بعد ذلك يتساءل الملك فى حديث له مع كبار رجال الدولة : **«أريد ان اعرف ما هى فائدة قوتى فهناك ملك فى أفاريس وآخر فى كوش وها أنا ذا أحكم بين أسيوى ونوبى وكل منا يحكم جزء من مصر وأنا لا أستطيع الوصول إلى منف لأنه (أى ملك الهكسوس) يحتل مدينة الأشمونين ، والتعب أحل بالناس بسبب خدمتهم للأسيويين ، سأحاربه حتى أبقر بطنه ، إن رغبتى هى أن أنقذ مصر وأسحق الأسيويين»** .

وكان رد كبار رجال الدولة مفاجأة للملك إذ دل على التراخى والحرص المبالغ فيه إذ قالوا **«أن احتلال الأسيويين إمتد حتى مدينة القوصية ولكننا مطمئنون هنا فى مصر .. أما إذا جاء أحد وحاربنا فإننا سوف نقاومه»** ، فحزن الملك من مستشاريه وتأثر من ردهم الذى يدل على جبنهم وتهاونهم فى حق مصر وأعلن تصميمه على إنقاذ مصر وإستعادتها كلها ، وعندئذ يبدأ الحديث بضمير المتكلم على لسان الملك كامس فيقول **«أبحرت شمالاً فى عزم وقوة للقضاء على الهكسوس منفذاً لامر الإله آمون»** ويبدو أنه بدأ بمصر الوسطى ليطهرها من أذناب الهكسوس فهجم على احد الحكام التابعين لهم فى إقليم الأشمونين ويستمر النص على لسان كامس فيقول لقد **«هزمته ودمرت جدرانه وذبحت رجاله .. وكان جنودى كالأسود مع فريستهم فاقتسموا فيما بينهم ممتلكاتهم فأصبح لهم عبيداً وماشياة ولبناً ودهناً وعسلاً وإمتلأت قلوبهم بالفرحة»** .

وينتهى نص اللوحتين الحجرية والخشبية فجأة ولكنه أعطانا صورة واضحة للبداية الفعلية للحرب ضد الهكسوس غير أن تكملة قصة الجهاد ضد الهكسوس ظهرت على لوحة حجرية أخرى تعرف باسم لوحة كامس عثر عليها رجال الآثار عام ١٩٥٤ بالقرب من الصرح الثانى بمعابد الكرنك وذلك أثناء القيام بإجمالي الترميم هناك وكانت هذه اللوحة ضمن أحجار الأساس الموجودة تحت التمثال الضخم للملك بانجم أحد فراعنة الأسرة الحادية والعشرين . ويذكر النص المنقوش على هذه اللوحة الهزيمة التى لحقت بالأسيويين على يد جيش مصر **«لقد دمرت مدنهم وحرقت ديارهم حتى أصبحت تلالاً حمراء بسبب التخريب الذى ألحقوه بمصر»** .. ثم يستمر كامس فى الحديث ويلقى الضوء على نقطة هامة فى تاريخ الحياة السياسية فى مصر ، « لقد قبضت على أحد رسله متجهاً - عبر الواحات - إلى الجنوب إلى كوش حاملاً رسالة مكتوبة قال فيها **«حاكم أفاريس عا وسر رع ابن رع أبو فيس تحية لك يا إبنى حاكم كوش . ألم ترى ماذا فعلت مصر ضدى أن حاكمها القوى كامس قضى على فى أرضى ، أحضر فوراً إنه هنا عند ى ولن أتركه يعود حتى تأتى ونقسم مصر بيننا ونحتفل بالنصر»** .

وبعد أن علم كامس ما كان يدبره له ملك الهكسوس أرسل حملة عسكرية إلى الواحات البحرية فقطعت الطرق الموصلة إلى مصر الوسطى وعاد هو إلى طيبة فاستقبلوه استقبال القائد المنتصر .

على أن تحرير أفاريس عاصمة الهكسوس لم يتم على يديه ، فقد مات

كامس وان كنا لا نعرف تماماً ما الذى حدث له فحمل رأيه الجهاد أخوه أحمس وإستطاع أن يطرد الهكسوس من جميع أنحاء مصر .

إذ نعرف من نص منقوش على جدار أحد مقابر منطقة الكاب بالقرب من أدفو وهى مقبرة أحد قواده المعروف باسم أحمس ابن السيد إبانا الغزوات التي قامت بها مصر ضد الهكسوس للقضاء التام عليهم تحت قيادة أحمس وبعد أن سقطت العاصمة أفاريس طاردهم أيضاً حتى فلسطين[1] .

وإنتهت الفترة الإنتقالية الثانية التى إستمرت أكثر من قرنين ، ذاقت فيهما مصر مرارة الأحتلال وحلاوة النصر .

✍ ✍ ✍

(1) Gardiner, JEA, 3, 95 FF, 5, 45 FF .

- Lacau, ASAE, 39, 245 FF .

الفصل الثامن

الدولة الحديثة

أو عصر الأمبراطورية

من ١٥٦٧ إلى ١٠٨٥ ق.م

الفصل الثامن
الدولة الحديثة
او عصـــر الامبراطــوريـة
مــن ١٥٦٧ إلى ١٠٨٥ ق.م

تشمـل الدولة الحديـثة الأسرات من الشـامنة عشـرة إلى العشـرين . وقد إستمرت ما يـقرب من خمسة قرون ، ويطـلق عليها أيضًا عصـر الامبراطورية المصرية .

الاسرة الثامنة عشرة من ١٥٦٧ إلى ١٣٢٠ ق.م

لانعرف الأسبـاب التى دعت مانيتون أن يـبدأ أسرة جديدة مؤسسـها الملك أحمس طارد الهكســوس على الرغم من كونه أخا للملـك كامس ، آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة وأحد أبطال الجهاد ضد هؤلاء الغزاة . ولعل السبب الذى دعى مانيتون أن يبدأ بالملك أحمس أسرة جديدة ، هو أنه أنهى عصرًا قاتمًا وبدأ عصرًا جديـدًا مزدهرًا ، بعد أن طهر الـبلاد من وباء الهكسـوس . وقد نشأت الأسرة الثامنة عشرة فى طيبة وإستمرت أكثر من قرنين . ويفضل الترتيب الآتى لملوك هذه الأسرة .

أحمـس الأول - أمنحـوتب الأول - تحتـمس الأول - تحتـمس الثـانى - الملكـة حتشبسـوت - تحتمس الثالـث - أمنحوتب الـثانى - تحتمـس الرابع -

أمنحوتب الثالث - أمنحوتب الرابع (أخناتون) - سمنخكارع - توت عنخ آمون - آى - حور محب .

الملك احمس الاول من ١٥٧٠ إلى ١٥٤٦ ق . م

بعد أن قضى أحمس على الهكسوس وتتبعهم حتى فلسطين وحرر البلاد منهم فكر فى القضاء على نفوذ حكام الأقاليم وعلى قوتهم التى أصبحت خطراً يهدد وحدة مصر ، وذلك بعد أن عاصر حكام مملكة كوش فى النوبة الذين كانوا فى طريقهم للتحالف مع الهكسوس للقضاء على القوة الوطنية فى مصر . ولهذا إتجه أحمس على رأس جيشه إلى الجنوب للقضاء على الثوار فى النوبة . فعادت النوبة إلى مصر بما فيها من خيرات تمثل مناجم الذهب ومحاجر الديوريت ، كما أعاد تشييد الحصون هناك ونخص بالذكر هنا حصن بوهين عند الجندل الثانى ، وبهذا نجح أحمس فى إعادة الأمن والطمأنينة هناك .

وقد ظهر فى عهده - للمرة الأولى فى التاريخ الفرعونى - لقب « نائب الملك فى كوش » الذى تبلور بعد ذلك وأصبح « ابن الملك فى كوش » وهى وظيفة أمر الملك أحمس بإنشاءها ليكون له ممثل هناك مسئول عن هذا الإقليم وحمايته وإبلاغ الملك بكل ما يدور هناك من أحداث هامة .

وأقام أحمس حكمه على النظم العسكرية وشجع أفراد الشعب على الدخول فى سلك الجندية فأحبوها بل ووجدوا فيها مجالا للترقى بالجهد الشخصى وليس بالحسب والنسب ، وبهذا وضع أحمس الأسس الأساسية لأول جيش مصرى منظم ، وكرس فترة حكمه لإزالة الرواسب التى تركها الغزاة الأجانب وإهتم بالنواحى السياسية والزراعية والإدارية والدينية فى

الداخل ، فأعادة النظام والأمن والطمأنينة فى البلاد وفى نفوس المواطنين .

إهتم أحمس بالوراثة الشرعية للسلالة الملكية ، فظهر فى عهده أيضًا للمرة الأولى - لقب « الزوجة الألهية لآمون » وكان يطلق على زوجة الملك وأم أولاده التى تقوم بدور دينى مقدس فى المعبد . وعلى هذا أصبح من المفروض أن يكون ولى العهد ابن أميرة ، هى فى نفس الوقت بنت ملك وزوجة ملك وإبنة الزوجة الالهية لآمون وأول من إتخذت هذا اللقب هى الملكة أحمس نفرتارى أخت وزوجة الملك أحمس وأم الملك أمنحوتب الأول .

وقد إستغل أحمس محجرا جديدًا من محاجر طرة لاستخراج الحجر الجيرى لتشييد المعابد والمقاصير المختلفة للآلهة فى كل من هليوبوليس وأبيدوس والأقصر ، إذ عثر هناك على نص يذكر العام الثانى من حكمه ، ومن هنا نرى إهتمام أحمس بتشييد المعابد لإرضاء الآلهة والقائمين على خدمتها .

لم يعثر للآن على قبره ، على أن الاعتقاد السائد أنه شيد مقبرته فى منطقة ذراع أبو النجا فى البر الغربى بطيبة بالقرب من أجداده ملوك الأسرة السابعة عشرة ، وقد ظلت ذكراه طيبة بعد موته ، بل ألهه المصريون وكان لعبادته شأن كبير فى أبيدوس [1] .

وقبل أن نترك عهد الملك أحمس الأول يجب الإشارة إلى ثلاثة من سيدات هذه الأسرة ، لعبن دورًا هامًا فى حروب التحرير وبعث روح المقاومة فى أفراد الشعب وهن :

(1) Otto, Beittrage Zur Geschichte der Stierkult in Aegypten, 1938, PP. 30, 31.

١ - الملكة تتى شرى:

هى زوجة الملك سقننرع تاعا الأول ، وأم الملك سقننرع تاعا الثانى وأم زوجته « إعح حوتب » . والملكة تتى شرى ليست من أصل ملكى ، فوالديها من عامة الشعب ، وقد عاشت فترة الجهاد فى نهاية الأسرة السابعة عشرة ، فعاصرت زوجها وإبنها وحفيدها الملك كامس وماتت فى عهد حفيدها الثانى الملك أحمس الأول . وقد عثر لها على تمثالين فى طيبة ، كما أقام لها حفيدها أحمس - الذى ظل وفيا طوال حياته لذكراها - مقصورة فى أبيدوس ليخلد إسمها عليها ، عثر فيها على لوحة تذكر أن الملك أحمس أراد تكريم جدته وتخليد ذكراها ، فأمر بتشييد هرما فى الأرض المقدسة بأبيدوس ، وذلك على الرغم من أن لها قبرا ومعبدا جنزيا فى طيبة ، كما أمر ببناء مقصورة لها . . **« ستحفر بحيرتها وتزرع أشجارها وتثبت قرابينها ويؤدى الكهنة فيها الطقوس الدينية لم يحدث من قبل أن فعل الملوك السابقون شيئًا من هذا النوع لأمهاتهم »** .

٢ - الملكة إعح حوتب

زوجة الملك سقننرع تاعا الثانى وأم الملك أحمس الأول، قامت بعد وفاة الملكة تتى شرى بالدور النسائى الأول فى الأسرة وذلك قبل أن يتزوج أحمس الملكة أحمس نفرتارى .

وتذكر لوحة أحمس الأول التى عثر عليها أمام الصرح الثامن بالكرنك والتى ترجع إلى بداية حكمه ، فقرة كبيرة يمجد فيها الملك أمه ويعظمها بل ويأمر الجميع بتقديسها ، فقد كانت « **سيدة المصريين وسيدة جزر**

البحر المتوسط .. وزوجة ملك وأخت ملك وأم ملك .. العظيمة التى تهتم بشئون المصريين .. هى التى جمعت شمل الجيش وحمت الناس وأعادت الهاربين وجمعت المهاجرين ، هى التى هدأت ثورة المصريين فى الصعيد وهى التى قضت على العصاة فى مصر .. الزوجة الملكية إعح حوتب لها الحياة » .

من النص السابق يتضح لنا الدور الهام التى قامت به الملكة إعح حوتب لحماية مصر وذلك - أغلب الظن - عندما فلت الزمام من أيدى الحكام بعد موت الملك سقننرع الثانى أو بعد موت إبنه الملك كامس . وهناك احتمال بأن إعح حوتب كانت موجهة لابنها الملك أحمس فى بداية حكمه على جميع أنحاء مصر ، بدليل أننا وجدنا نقشا يحمل إسمها بجانب إسمه فى بوهين عند الجندل الثانى .

٣ - الملكة احمس نفرتارى

السيدة الثالثة وهى زوجة الملك أحمس الملكة أحمس نفرتارى التى ذكر إسمها ورسمت ونقشت صورتها فى أكثر من مكان : فى سيناء ، فى طرة وفى النوبة ، وعلى أكثر من لوحة ، منها ما وجد فى أبيدوس ومنها ما وجد فى الكرنك .

ولانعلم الأسباب التى جعلتها تصل إلى مصاف الآلهات هى وإبنها الملك أمنحوتب الأول . إذ بدأ المصريون منذ أواخر الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الدولة الحديثة ينظرون إليها نظرة تعبد وتقديس . وقد أشاد الملك أمنحوتب الأول بها وعظمها وذكرها فى نقوشه وأقيم لها معبداً فى البر الغربى فى طيبة

وأعتبرت هى وإبنها امنحوتب الأول إلهين حاميين للجبانة . كما أعتبرت حامية للفنانين فى العصور المتأخرة وأقيمت لها طقوس خاصة بمدينتهم دير المدينة فى البر الغربى بطيبة .

الملك امنحوتب الأول من ١٥٤٦ إلى ١٥٢٦ ق٠م

تولى الملك أمنحوتب الحكم بعد وفاة أبيه الملك أحمس ، وقد حكم عشرين عاما وسبعة شهور طبقا لما ورد فى تاريخ مانيتون قضاها فى توطيد أركان مملكته . إذ نعرف من تاريخ حياة القائد المصرى أحمس ابن إبانا الذى نقشه على جدران مقبرته بمنطقة الكاب ، أنه عاصر وأشترك فى الحروب تحت قيادة كل من أحمس وأمنحوتب الأول وتحتمس الأول ، كما نعرف من هذه النقوش أن الملك أمنحوتب قد قام بحملة عسكرية للقضاء على الثوار فى النوبة ، فنعمت البلاد بالهدوء والطمأنينة فى عهده .

إتجه بعد ذلك أمنحوتب الأول إلى إقامة المبانى الدينية فى طيبة من صالات للأعمدة ومقاصير للآلهة ، نذكر منها هنا المقصورة التى أبقى عليها الزمن وهى مصنوعة من الألاباستر ، وقد عثر المهندس الفرنسى شفرييه على أحجارها كاملة داخل الصرح الثالث بالكرنك . وقد أعاد شفرييه بناءها فى المنطقة التى يطلق عليها إصطلاحا « المتحف » وتقع شمالا بعد الفناء الأول بمعابد الكرنك . والمقصورة مخصصة لاستراحة المركب المقدس للأله آمون وتتميز المقصورة بنقوشها ومناظرها الجميلة . التى منها ما يمثل موكب المركب المقدس للأله آمون رع طيبة .

لانعرف الأسباب التى دعت المصريين إلى إعتبار الملك أمنحوتب الأول

مؤسسا لطيبة ، بل أن الفنانين والصناع فى دير المدينة إعتبروه حاميا لهم ورفعوه هو وأمه إلى مصاف الآلهة والآلهات ، وكانت تقدم لهما الدعوات والقرابين فى المواسم والأعياد .

وقد فضل أمنحوتب الأول منطقة ذراع أبو النجا فى البر الغربى بطيبة لتكون مقرا أبديا له وكان أول من نفذ أسلوبا جديدا يفصل بين المقبرة الصخرية حيث توجد المومياء والمعبد الجنزى حيث تقام الطقوس الجنزية .

ولم ينجب الملك أمنحوتب الأول ذرية من الذكور من زوجته الشرعية الملكية إعح حوتب ، ولكنه أنجب من زوجته الثانوية الغير شرعية إبنه تحتمس الذى إستطاع أن يتولى الحكم بعد وفاة أبيه وذلك بزواجه من الوارثة الشرعية للبلاد الأميرة أحمس التى كانت تنتمى أغلب الظن للعائلة المالكة .

الملك تحتمس الأول من ١٥٢٥ إلى ١٥١٢ ق٠م

إستولى تحتمس الأول على عرش مصر بعد وفاة الملك أمنحوتب الأول ، على الرغم من أن والدته « سنى سنب » لايجرى فى عروقها الدم الملكى ، فلم تكن زوجة شرعية لملك أو إبنة ملك ، ولكنه إستطاع أن يستولى على العرش وذلك بزواجه من الأميرة أحمس التى كانت - كما أوضحنا من قبل - سيدة من أصل عريق وتنتمى - أغلب الظن - إلى العائلة المالكة . وقد حكم طبقا لما ورد فى تاريخ مانيتون اثنى عشرة سنة وتسعة شهور .

ونعرف من نقش يرجع للعام الثانى من حكمه وجد على صخرة أمام جزيرة تومبوس عند الجندل الثالث ، أنه قام بحملة عسكرية لتأمين الحدود

الجنوبية وصلت فى عهده إلى جنوبى نباتا بمسافة ٢٠٠ كم عند الجندل الرابع وذلك بعد العثور على بقايا قلعة مصرية فى كنيسة كورجوس هناك .

بعد ذلك وجه الملك نشاطه إلى أسيا الصغرى فتوجه إلى نهرينا وهو الاسم المصرى القديم لبلاد النهرين وقاتل الأعداء وأسر العديد منهم ، وعاد بعد أن ترك هناك لوحة حجرية تسجل باسمه هذا النصر ، وقد ورد ذكرها فى حوليات الملك تحتمس الثالث عند حديثه عن حملته العسكرية الثامنة أنه أقام لوحة حجرية بجانب الملك تحتمس الأول هناك .

وإن كانت حدود مصر الجنوبية وصلت فى عهد تحتمس الأول إلى الجندل الرابع ، فقد وصلت حدودها الشمالية ، لأول مرة فى التاريخ الفرعونى ، إلى « المياه التى تجرى بالعكس ، منحدرة ناحية الجنوب » وذلك إشارة إلى نهر الفرات الذى يجرى من الشمال إلى الجنوب بعكس نهر النيل .

وأهتم تحتمس الأول بتشييد المبانى الدينية ، فأقام الصرح الخامس بمعابد الكرنك ثم شيد أمامه شرقا صالة ذات أعمدة أوزيرية ثم بعد ذلك شيد الصرح الرابع غربا ثم أقام مسلتين ، مازالت أحدهما قائمة فى مكانها حتى الآن .

وكان الملك تحتمس الأول هو أول من إتخذ وادى الملوك مقرا لمقبرته الملكية ، وكان فى ذلك الوقت منطقة لايطرقهاإنسان أو حيوان ، جدباء ليس بها ماء ولا نبات ، بمعنى آخر تعتبر أحسن مكان لإخفاء المقبرة . وقد تكتم تحتمس الأول سر بناء هذه المقبرة تكتما شديداً يدلنا عليه النص الموجود على لوحة فى مقبرة المهندس « **إنينى** » بمنطقة شيخ عبد القرنة بالبر الغربى بطيبة ، يقول النص : « **لقد أشرفت على حفرة مقبرة جلالته الصخرية**

وحدى ، **لا من شاف ولا مـن سمع** » . ولعل الأهمية التـاريخية لهذه المقبرة تتلخص فى أنها تعتبر بداية لطراز جديد من المقابر الملكية التى شيدت فى وادى الملوك ويطلق عليها إصطلاحا المقابر ذات المحور الواحد وهى تبدأ بمدخل على هيئة سـلم منحدر ومنه إلى ممر غيـر مستقيم يوصل إلى حجـرة مربعة بها سلم آخر يوصل بدوره إلى حجرة الدفن البيضـاوية الشكل التى نجد فى نهايتها التابوت المصنوع مـن الحجر الرملى الأحمر ومـزين بصـورة للألهة إيزيس عند القدم والألهـة نفتيس عند الرأس وكانت به موميـاء تحتمس الأول . (وقد نقلت بـعد ذلك إلى مقبرة إبنـته حتشبسوت ثـم بعد ذلك إلى خبيئـة المومياوات بالديـر البحرى) . أما المـعبد الجنزى للـملك فقد أمـر تحتمس الأول بإقـامته بالقرب من الأرض المزروعة على البر الغربى لطيبة .

الملك تحتمس الثانى من ١٥١٢ إلى ١٥٠٤ ق.م

تولى العرش الملك تحتمس الثانى بعد وفاة أبيه الملك تحتمس الأول ، وهو ابن من زوجة ثـانوية هى **موت نفرت** ، على أن شرعـيته للحكـم أتت من زواجه من أختـه غير الشقيـقة حتشبسوت بـنت كل من تحتمـس الأول والملكة أحمس .

ونعلم من لوحة أقامها الملك تحتمس الثانى فى العام الأول من حكمه وهو فى طريقه من أسوان إلى فيلة أنه قام علـى رأس جيشه للقضاء على الثوار فى النوبـة وتمكن من القضـاء عليهم جمـيعا ولم يـبقى سوى أحد أطفال الـزعيم النوبى الذى أحضره معه إلى طيبة كأسير .

ونعلم أيضًا من تاريخ حياة القائد أحمـس بن نخبت الذى أمر بنقشه على

جدران مقبرته بمنطقة الكاب والذى عاش وخدم فى عهود الملوك إبتداء من أحمس حتى تحتمس الثالث ، أن الملك تحتمس الثانى توجه بشخصه لإخضاع قبائل الشاسو وهم البدو سكان شمال شرق وجنوب فلسطين وأسر العديد منهم .

وقد شيد مقبرته في وادى الملوك وهى غير منقوشة ويبدو أنها لم تكمل وتحوى تابوتا خاليا من النصوص . وقد عثر على موميات الملوك تحتمس الأول والثاني والثالث كلها محفوظة في خبيئة الدير البحرى ، كما عثر أيضًا على معبدة الجنزى وهو معبد صغير ، فقير فى بناءه .

مات تحتمس الثانى بعد فترة حكم قصيرة وكان لايزال فى الثلاثين من عمره ، وقد ترك إبنا من زوجة ثانوية هو تحتمس (الثالث فيما بعد) من زوجته إيزيس وبنت هى نفرو رع من أخته وزوجته حتشبسوت .

الملكة حتشبسوت من ١٥٠٣ إلى ١٤٨٢ ق٠م

تولى تحتمس الثالث عرش مصر بعد وفاة والده تحتمس الثانى ، على أن شرعيته للحكم أتت تحقيقا لنبوءة للاله آمون الذى إختاره ليجلس على عرش البلاد بعد وفاة أبيه . ويحتمل أن تحتمس الثالث قد تزوج أيضًا من إبنة حتشبسوت نفرو رع ليؤكد حقه فى وراثة العرش . وكان تحتمس الثالث عند تتويجه صغير السن ، وكانت حتشبسوت زوجة أبيه ، وأم زوجته - فى حالة زواجه من إبنتها نفرو رع - وعمته فى آن واحد إمرأة قوية ناضجة طموحة وتحمل الألقاب « إبنة ملك ، وأخت ملك والزوجة الملكية والزوجة الالهية لآمون » ، فاستطاعت بقوتها وشخصيتها منذ البداية أن تتولى شئون البلاد وأن

تدير دفة الأمور [1] ، ولم تكن حتشبسوت المرأة التى تكتفى بهذا ، فتمكنت فى العام الثانى من حكم تحتمس الثالث من أن تنحيه عن العرش نهائيا بل وأرغمته على الأعتكاف ، وأمرت بتتويجها بموافقة الأله آمون ورغبته كما هو منقوش على جدران معبدها الجنزى بالدير البحرى بطيبة . وأصبحت حتشبسوت ملكة على مصر وقامت بدور الأله حورس ومثلته على الأرض وإتخذت لقب ابن الشمس بل وتشبهت بمظهر الرجال وإرتدت زيهم كما إستعملت الذقن الملكية المستعارة الخاصة بالملوك .

حكمت حتشبسوت عشرين عاما ، كرست كل جهودها فيهم للإنشاءات المعمارية وذلك غير حملة عسكرية واحدة أرسلتها إلى النوبة للقضاء على الثوار هناك .

أمرت حتشبسوت فى العام السادس أو السابع من حكمها بابحار خمس سفن ضخمة إلى بلاد بونت ، أرض البخور قرب الصومال ، لإحضار منتجات هذه البلاد إلى مصر تحت قيادة القائد **نحسى** وبدأت الرحلة الطويلة من أحد موانى البحر الأحمر بالقرب من وادى الجاسوس . وقد صورت هذه الرحلة البحرية التى تعتبر من أهم النقوش لدراسة بلاد بونت ومنتجاتها على جدران معبدها الجنزى بالدير البحرى [2] . كما أرسلت حتشبسوت بعثة إلى محاجر أسوان لإحضار الزوج الأول من مسلاتها ، فقد ترك لنا المهندس **سننموت** هناك فى أسوان نقشا يوضح أنه هو الذى كان مسئولا عن قطع المسلتين « للزوجة الألهية والزوجة الملكية العظمى حتشبسوت » . وفى العام الخامس

(1) Sethe, Das Hatshepsut - Problem, Berlin, 1932.

(2) Naville, The Temple of Deir El-Bahri, 1896.

عشر من حكم تحتمس الثالث أى الثالث عشر من حكم حتشبسوت ، أمرت الملكة أحد كبار موظفيها المدعو « أمنحوتب » بالذهاب على رأس بعثة إلى أسوان للإشراف على قطع زوج آخر من المسلات . وقد ترك لنا الموظف « أمنحوتب » نقشين يؤكد بهما قيامه بهذا العمل ، أحدهما بمقبرته بطيبة والآخر فى جزيرة سهيل ، (أربعة كيلو مترات جنوبى أسوان) . إحدى هاتين المسلتين ما زالت مقامة للآن فى معابد الكرنك ويصل إرتفاعها إلى ٢٩,٢٥ متر وهى من الجرانيت الوردى ويصل وزنها ٣٢٣ طنا وقد أقيمت على قاعدة مربعة ، يصل طول الضلع فيها إلى ٢,٦٥ متراً ، وقد سجل على قاعدة المسلة قصة هاتين المسلتين ، اللتين أمرت بتشييدهما والوقت الذى تم فيه قطعهما والسبب الذى أقيمتا من أجله . وتؤكد لنا النقوش التى وجدت على جدران معبد سرابيط الخادم ، وهى أهم مناطق مناجم الفيروز بسيناء أن الملكة حتشبسوت قد إستغلت هذه المناجم خير إستغلال .

يعتبر **سننموت** المهندس والمربى الذى أشرف على تربية إبنتها نفرو رع هو أشهر الموظفين فى عهد حتشبسوت ، ويبدو أنها إصطفته بدليل أنه قد سمح لنفسه بنقش صورته على جدران أكثر من مشكاة بمعبدها الجنزى خلف الباب مباشرة حتى لاترى عند فتح الباب الخشبى للمشكاة أو للمقصورة ، وإن كنا لانعلم للآن الأسباب التى دعته إلى نقش صورته فى هذه الأماكن المقدسة ، فهو لاينتمى للسلالة الملكية ويشغل فقط وظيفته كمهندس ومربى ، وقد يكون هذا من الأسباب التى دعت حتشبسوت عند إكتشافها لهذه الصور أن تأمر بكشطها وتشويهها . أو أن أنصار الملك تحتمس الثالث قاموا بهذا التشويه بعد وفاتها .

لانعرف للآن كيف إنتهت حياة حتشبسوت ، هل ماتت موته طبيعية ؟ أم كانت نهايتها محزنة ، إذ لم يعثر على جثمانها فى مقبرة من مقبرتيها فى طيبة ، سواء الموجودة فى سكة طاقة زايد أو المحفورة فى وادى الملوك ، كما لم يعثر عليها أيضًا فى خبيئة المومياوات بالدير البحرى . أما معبدها الجنزى فهو المعبد المشهور الآن باسم معبد الدير البحرى بالبر الغربى بطيبة .

الملك تحتمس الثالث من ١٥٠٤ إلى ١٤٥٠ ق.م

تولى الحكم منفردا بعد وفاة حتشبسوت أو بعد إبعادها عن العرش والقضاء عليها وعلى كل من يواليها وكان غضبة تحتمس الثالث الإنتقامية واضحة فى ما تبقى من عهد حتشبسوت من آثار ، فقد حطم أتباع تحتمس الثالث تماثيلها وكشطوا أسماءها وشوهوا صورها . وقد إعتبر تحتمس الثالث بداية حكمه منذ توليته العرش بعد وفاة أبيه تحتمس الثانى ، بل نعرف أيضًا أن بعض قوائم الملوك مثل قائمة الكرنك وقائمة أبيدوس قد أسقطا عن عمد فترة حكم حتشبسوت لاعتبارها خارجة عن التقاليد المصرية وإغتصابها عرش مصر .

وبدأ تحتمس الثالث يهتم بالسياسة الخارجية بالبلاد بعد أن أهملتها حتشبسوت عشرين عاما كاملة ، خاصة أن الأوضاع السياسية فى أسيا الصغرى بدأت تتغير ، إذ أن هجرات الحوريين بدأت منذ القرن الثامن عشر ق.م من أواسط أسيا ، وهم شعب غير معروف للآن إلى أى جنس ينتمى ، والبعض الآخر يعتقد أنهم ينتمون للجنس الآرى . هذه الهجرات المتتابعة ، إستقر البعض منها فى مناطق الهلال الخصيب وكونوا بعض الدويلات فى بعض المدن السورية وإستوطن البعض الآخر أطراف العراق وكون دولة الميتانيين كما إستقر قبائل منهم فى الأناضول وكونوا دولة الحيثيين ، وكان يجاور دولة الميتانيين من

الجنوب دولة أشـور ، أما مملكة بابـل فكانت مسـتقرة فى الجزء الجنوبـى على مقربـة من الخليـج الفارسى كل هـذا إستغرق ثلاثـة قرون إلى أن وصلـنا إلى القرن الخـامس عشر ق.م ، وكـانت خطورة دولة الميتانيين فى شـمال شرق الشام ، وقرب نهرى الخـابور والفرات هو تحكمها فى مـداخل الهجرات سواء فى شمال سوريا وأطراف العراق .

وإستطاع أمراء دولة الميتانيين من التحالف مع أمراء فلـسطين وسوريا تحت أمير مدينة قادش الواقـعة على نهر العاصى ، وعندما علم تحـتمس الثالث بهذا إضطر الملـك للقيام بحمـلته الأولى لتوطيد مـلكه فى أسيا الصـغرى ، بعد أن لاحظ أن النفوذ المصرى بدأ يتدهور فـى سوريا وأن الأمراء هناك بدأ كل منهم يسـتقل بولاية « فلم يـتأخر جلالته مـن التقدم إلى بلاد الـشام ليقتل الخـائنين الذين فيها وليكافئ الموالين له » فقام على رأس جيشه من القنطرة وقطع مسافة ١٥٠ ميلا فى عشرة أيام وصـل بعدها إلى غزة حيث إحتفل هنـاك ببداية السنة الثالثة والعشرين من حكمه ، ثم قطع ثمانين ميلا أخرى فى إحدى عشرة يوما بين غزة وإحدى المـدن عند سفح جبال الكـرمل ، وهناك عقد تحتمـس الثالث مجلس الحرب مع ضـباطه بعد أن علم أن أمير قادش قد جاء إلـى مدينة مجدو فى فلسطـين وجمع حوله ٣٣٠ أميرًا بجيـوشهم وعسكروا فى المديـنة المحصنة هناك ليوقـفوا تقدم تحتمس الثـالث وجيشه من الدخول إلـى ممر مجدو . وقد إستـقر رأى تحتـمس الثـالث من أن الجيـش يسلـك أقصر الـطرق أو أخطـرها وأبعدها عن تفـكير العدو . فقد كان هناك ثلاث طرق لـلوصول إلى مجدو ،

إثنان منــها يدوران حول سفح جـبال الكرمل والثـالث ممر ضيق ولكــنه يوصل مباشرة إلى مجدو [1] .

وفى فجر الـيوم التالى قام تحـتمس الثالث عـلى رأس قواته بالهـجوم على شكــل نصف دائـرة - منفـذا حرب المفاجـأة - على مـدينة مـجدو ، فتـفرق الأسيـويون المدافـعون عنهـا وفروا هاربـين وتركوا وراءهـم عرباتهـم الكبـيرة ومعسكرهم المـلئ بالغنائم ، ليدخلـوا المدينة المحصنة لينجـوا بأرواحهم ولكن الجنود زملاءهم من الأسيويين أغلقوا أبواب المدينة على أنفسهم ، وقد أوضح النص المصرى أنه « إذا لم يتجه جنود جلالته بـقلوبهم للاستيلاء على ما خلفه العدو لاستولوا علـى مجدو فى تلك اللحظة » وقد كلفت هـذه الغلطة الجيش المصرى سـبعة شهـور أخرى ، حاصر فـيها مديـنة مجدو حـتى إستسـلمت ، وأرسل الأمراء الموجودون بداخلها أولادهم حاملين الأسلـحة لتسليمها للملك تحتمس الثالث ولكن أمير قادش إستطاع الهرب بعد المعركة .

وإختلـف تحتمس الـثالث عن حتـشبسوت فـى إدارة شئون الدولـة ، فقد كانت حتشبسوت مهـتمة بالشئون الداخلية فى البلاد وتفخـر بما تبذله من جهد فى إصلاح الأمور الـداخلية بمصر أمـا تحتمس الثالـث فقد كان قائدًا ومـحاربا لايضارع ، يهتـم بحملاته الحربية وإنتصـاراته بل وتسجيلها عـلى جدران صالة الحوليـات بمعابد الـكرنك . وكان تحتـمس الثالث أول مـن أصطحب معه فى حملاته الحربية كتبة وعلماء لتسـجيل كل ما يدور فى هذه الحروب على ملفات البردى ويؤرخون كل ما يحدث .

(1) Edgerton, The Tutmosid Succession, Chicago, 1993.

- Petrie, History of Egypt, II, P. 99 FF.

وقد قام تحتمس الثالث بعدد من الحملات العسكرية وصل عددها إلى ستة عشرة حملة ، ذكرنا منها حملته الأولى المشهورة على مدينة مجدو التى قام بها فى العام الثانى والعشرين من بداية حكمه . وفى العام الثلاثين من حكمه قام بحملته السادسة التى إستطاع أن يدمر فيها مدينة قادش ويستولى عليها ، كما قام فى حملته الثامنة فى العام الثالث والثلاثين من حكمه للقضاء « على ذلك العدو الخاسئ فى النهرين » ويقصد هنا الملك الميتانى الذى فكر أن يبسط سلطانه على البلاد الواقعة غرب نهر الفرات . فأعد له تحتمس الثالث ما إستطاع من قوة وعبر على رأس جيشه نهر الفرات وطارد ملك الميتانى الذى فر من أمامه مذعورا . وقد ترك تحتمس الثالث هناك لوحة على الضفة الشرقية لنهر الفرات لتسجل نصره وتخلده .

ونعلم من نقش لوحة جبل برقل أن الجيش المصرى وصل فى العام السادس والأربعين من حكمه إلى جبل برقل عند الجندل الرابع عند مدينة نباتا التى كانت تمثل الحدود الجنوبية فى عهده حيث أقام هناك بعض المعابد والقلاع .

ومن أشهر الموظفين فى عهده وزيره المعروف باسم « **رخميرع** » (1) الذى ترك لنا فى مقبرته بجبانة شيخ عبد القرنة سجلا حافلا بكل ما كان يقوم به ويشرف عليه من أعمال بل وترك لنا نصا يذكر الوصايا التى أعلنها الملك تحتمس الثالث عند تنصيبه وزيرا له وهى تعتبر بحق الدستور الذى يحدد الصلة بين الحاكم والمحكوم .

(1) Davies, The Tomb of Rekh - mire at Thebes, 2 vols. NY, 1933.

وقد ترك تحتمس الثالث العديد من الآثار التى تخلد إسمه . فقد شيد فى الكرنك مجموعة من المبانى نذكر منها صالة الحوليات ، الصرحين السادس والسابع والمبانى التى أقامها حول مسلة حتشبسوت لإخفائها والصالة المعروفة باسم (آخ منو) أو صالة الاحتفالات . كما أقام زوجين من المسلات وقد نقلوا جميعا الآن من أماكنهم وأصبحوا سفراء لنا فى لندن وفى نيويورك وفى روما وفى إسطنبول . هذا بجانب العديد من المعابد الصغيرة المشيدة فى أماكن مختلفة من أنحاء مصر ، نذكر منها معبده فى كل من أبيدوس ، قفط ، أرمنت ، الكاب ، الفنتين ، سمنة وأخيراً فى جبل برقل[1] .

وقد أمر تحتمس الثالث بحفر مقبرته فى وادى الملوك بالبر الغربى بطيبة وقد زينت جدران حجرة الدفن بنصوص ومناظر - للمرة الأولى - من كتاب ما هو موجود فى العالم الآخر ، وقد كتبت هذه النصوص بالخط المختصر وهو الخط الوسط بين الهيروغليفى والهيراطيقى حتى لتبدو حجرة الدفن كبردية ضخمة مفتوحة مليئة بالنصوص والمناظر من كتاب الموتى .

الملك امنحوتب الثانى من ١٤٥٠ إلى ١٤٢٥ ق.م

تولى الحكم الملك أمنحوتب الثانى بعد وفاة أبيه الملك تحتمس الثالث ، فقد سجل نقش على جدار فى مقبرة القائد « **آمون - ام حب** » فى طيبة أن الملك تحتمس الثالث « **صعد إلى السماء واتحد مع الأله رع واندمجت أعضاؤه الطاهرة مع الذى خلقها . فلما جاء اليوم الثانى وأشرقت**

(١) سيد توفيق ، المرجع السابق ، ص ١٦٠ - ١٦٥ .

الشمس جلس على عرش أبيه الملك أمنحوتب (الثانى) واتخذ لنفسه الألقاب الملكية » .

وتربى الملك أمنحوتب الثانى تربية رياضية عسكرية - كما هو مسجل على أكثر من لوحة وأثر سواء بالنص أو بالصورة - إذ نرى صورته على أحد جدران مقبرة الضابط مين بطيبة وهو الذى كان يشرف على تربية أمنحوتب العسكرية ويعلمه الرماية ، وهو يوجه الحديث لأمنحوتب قائلاً : « **شد القوس حتى أذنك مستعملا كل ما فى ذراعيك من قوة وثبت السهم . . يا أمير أمنحوتب** » . ونعرف أيضًا من لوحة حجرية للملك أمنحوتب الثانى والتى عثر عليها سليم حسن بجوار تمثال أبو الهول عام ١٩٣٦ أنه كان مولعا بممارسة أنواع مختلفة من الرياضة البدنية ، وشغوفا بالفروسية ، مفتونا بشبابه وقوة عضلاته ، فلما بلغ الثامنة عشرة كان قد أتقن كل فنون اله الحرب مونتو .

اضطر أمنحوتب الثانى فى العام الثالث من حكمه للقيام على رأس جيشه بحملة حربية إلى سوريا وذلك بعد أن ثارت بعض الولايات هناك بعد توليته عرش مصر وهى ثورات غالبا ما تحدث لجس نبض الملك الجديد ، فإن أخفق فى القضاء على العصاة ، إستطاعت هذه الولايات من أن تتخلص من سيطرة الحكم المصرى وإن قضى عليهم فلم يخسروا شيئًا . إذ تسجل لوحة من الجرانيت عثر عليها فى معابد الكرنك أن الملك قضى على الثوار ونكل بهم أشد تنكيل كما نعرف من لوحتا عمدا والفتين بالنوبة « **أن جلالته عاد سعيدًا إلى أبيه آمون بعد أن قتل بيديه بدبوس قتاله الرؤساء السبعة**

الذين كانوا فى منطقة نحسى وعلقهم مقلوبين على سفينة جلالته .. وقد علق منهم على واجهة سور طيبة وأرسل السابع ليعلق على جدار سور نباتا ليكون عبرة تريهم قوة جلالته » وكان نتيجة ذلك - كما هو مذكور على لوحة الكرنك - أن « **أتى إليه رؤساء دولة الميتانى وجزيتهم فوق ظهرهم عسى أن يمنحهم جلالته نسمة الحياة »** . كما ذكرت النصوص أيضًا بأن الملك أمنحوتب قام بحملة ثانية إلى سوريا فى العام السابع من حكمه وحملة ثالثة للقضاء على الفتنة فى فلسطين فى العام التاسع من حكمه .

ومن أشهر الموظفين فى عهدة قن آمون الذى شيد مقبرته فى جبانة شيخ عبد القرنة والتى تميزت جدرانها بالمناظر المختلفة ولعل أهمها الهدايا التى يقدمها قن آمون لملكه أمنحوتب الثانى بمناسبة العام الجديد .

وقد أمر أمنحوتب الثانى بحفر مقبرته فى وادى الملوك بطيبة على نفس نظام مقبرة والده تحتمس الثالث ويعتبر قبره من أجمل ما خلفه فراعنة الأسرة الثامنة عشرة من المقابر فى طيبة .

الملك تحتمس الرابع من ١٤٢٥ إلى ١٤١٧ ق٠م

توفى الملك أمنحوتب الثانى فى العام السادس والعشرين من حكمه ، وتبعه إبنه الملك تحتمس الرابع الذى حكم فترة تسع سنوات ، عاشها فى سلام ، وإن كان قد قام بعد توليته العرش مباشرة بحملة للقضاء على الثورة التقليدية فى سوريا ثم بعد ذلك قام فى العام الثامن من حكمه بحملة إلى النوبة للقضاء على الثوار هناك .

ومن أشهر الآثار الباقية من عهده ، اللوحة الجرانيتية التى ترجع للعام الأول من حكمه وهى المقامة للآن بين مخالب تمثال أبو الهول بالجيزة . ويقص علينا تحتمس الرابع من خلال نص منقوش عليها ، أنه ذهب عندما كان شابا ليحتمى بظل أبو الهول وذلك بعد رحلة صيد مرهقة فغلبه النعاس فرأى فيما يرى النائم الآله حور - ام - آخت (المجسد فى تمثال أبو الهول) يبشره بتاج مصر عندما يحرره من الرمال التى عليه . ويبدو أن الملك تحتمس الرابع قد نفذ للأله حور - ام - آخت رغبته بعد توليته العرش مباشرة . هذه القصة تؤكد أن تحتمس الرابع لم يكن الوريث الشرعى ولهذا اختلق هذه النبوءة لكى يفسر لنا أن إختياره قد تم بواسطة الأله حور أم - أخت .

وقد خطى تحتمس الرابع خطوة جريئة فى السياسة الخارجية وهى أنه تزوج من إبنة الملك الميتانى « أرتاتاما » وهى خطوة لها أكثر من مدلول ، إذ أن هذا الزواج الدبلوماسى يؤكد إعتراف فرعون مصر بدولة الميتانى ، وفى نفس الوقت يعلن إنهاء حالة الحرب بين مصر ودولة الميتانى وأصبحت من الآن مملكة الحيثيين هى العدو المشترك لمصر والميتانيين وقد أطلق المصريون على هذه الأميرة الميتانية إسما مصريا هو « موت ام أويا » وهى التى أصبحت فيما بعد أم الفرعون المصرى أمنحوتب الثالث الذى خلف والده تحتمس الرابع على عرش مصر .

وقد بدأ فى عهد الملك تحتمس الرابع الأهتمام بتزيين مقدمة العربة الحربية للملك بمناظر تمثل ساحة القتال وهى المناظر التى زينت بها بعد ذلك واجهات صروح المعابد فى الدولة الحديثة وما بعدها . وقد عثر على عربة تحتمس الرابع فى مقبرته بطيبة وهى معروضة الآن بالمتحف المصرى .

وقد أمر الملك بتشييد مقبرته فى وادى الملوك أما معبده الجنزى فهو مخرب تخريبا كاملا وقد وجد على أحد جدران مقبرة تحتمس الرابع نص بالخط الهيراطيقى يرجع لعهد الملك حور محب الذى أصدر التعليمات إلى المشرف على أعمال الجبانة فى ذلك الوقت المدعو « معيا » وإلى مساعده « جحوتى مس » بإعادة « دفن الملك تحتمس الرابع فى المسكن المقدس بالبر الغربى » مما دعا إلى نقل مومياء تحتمس الرابع مع مومياوات أخرى إلى قبر امنحوتب الثانى حتى عثر عليهم فى عام ١٨٩٨ وقد يدل هذا أن مقبرة تحتمس الرابع قد نهبت بعد وفاته مما دعى الملك حور محب بأن يأمر بإعادة دفنها .

الملك امنحوتب الثالث من ١٤١٧ إلى ١٣٧٩ ق٠م

خلف تحتمس الرابع على عرش مصر إبنه الملك أمنحوتب الثالث . وقد إدعى - كما إدعت حتشبسوت من قبل على جدران معبدها فى الدير البحرى - أنه ابن الاله آمون رع وقد سجل هذه الأسطورة على جدران حجرة الولادة بمعبد الأقصر فنرى هناك صورة الأله آمون رع وقد تجسد فى شخصية تحتمس الرابع الذى يجتمع بزوجته الملكة « موت - ام - أويا » لإنجاب ولى العهد الأمير أمنحوتب .

وقد تزوج الملك أمنحوتب الثالث فى السنة الثانية من حكمه من سيدة من عامة الشعب ، ليست من السلالة الملكية وكان لها أثرها الكبير فى تاريخ الامبراطورية سواء فى حياة زوجها أو حياة إبنها أخناتون . لقد كانت زوجته «**تى**» سيدة لها طموحها وقوة شخصيتها فاستطاعت أن تتحكم فى سير الأمور والأحداث فى الدولة . وقد أستن أمنحوتب الثالث سنة جديدة وهى الأهتمام

بتسجيل الأحداث الهامة على ظهور جعارين كبيرة نسبيا ، فهناك مثلا الجعول التى يطلق عليها إصطلاحا جعول الزواج وهى تسجيل زواج أمنحوتب الثالث من « تى » وقد نقش عليها « . . **الملك أمنحوتب المعطى له الحياة والزوجة الملكية العظيمة « تى » لها الحياة « يويا » هو إسم والدتها ، وهى زوجة ملك عظيم تمتد حدوده الجنوبية إلى كارى (بالقرب من نباتا) والشمالية إلى (بلاد) نهرين** » ونعرف الآن بعد إكتشاف مقبرة والديها أن الأب كان يعمل كاهنا فى معبد الأله مين فى مدينة أخميم وأن الأم كانت تحمل لقب كبيرة حريم آمون .

ويبدو أن الملكة « تى » كان لها نفوذ كبير وتأثير قوى على الملك أمنحوتب الثالث فقد مثلت بجانبه بنفس حجمه إذ نشاهد فى المتحف المصرى تمثال ضخم يمثل الملك وزوجته تى جالسين جنبا إلى جنب وهو تقليد لم يتبع من قبل عهده بل وذكرت معه على الجعارين التذكارية . إذ أنه من الطريف أن نرى إسم الملكة « تى » وإسم والديها مسجلا على جعارين زواجه من كيلوخيبا إبنة الملك الميتانى « شوتارنا » والذى تم فى العام العاشر من حكمه « فى العام العاشر من حكم جلالة الملك أمنحوتب . . والزوجة الملكية الكبرى تى لها الحياة «يويا» هو اسم ابيها و « تويا » هو اسم أمها . . لقد احضرت لجلالته « كيلوخيبا » إبنة سيد نهرين شوتارنا و ٣١٧ من سيدات حريمها » .

وكان أمنحوتب الثالث يلبى - أغلب الظن - كل طلبات زوجته الملكة تى إذ نعرف من نقش على جعران آخر أنه أمر أن تحفر لها بركة كبيرة مساحتها ٣٧٠٠ × ٧٠٠ ذراع مصرى (الذراع المصرى ٥٢ سم) لكى تتنزة فيها

بزورقها هى ووصيفاتها . وقد تم حفر البركة فى أسبوعين . وهو أمر قد يصعب تصديقه وخاصة إذا أخذنا فى الاعتبار أن البركة المشار إليها هى بركة هابو الواقعة فى البر الغربى بطيبة [1] .

ونعرف أيضًا من نقش على جعران رابع أن الملك كان فى بداية حكمه مولعا بصيد الأسود إذ يذكر النقش أن الملك أمنحوتب إستطاع فى العشر سنوات الأولى من حكمه من صيد ١٠٢ من الأسود المتوحشة ، وهى رواية أيضًا ليس من سبيل إلى تصديقها أو تكذيبها .

كل هذا يوضح لنا حياة الترف والدعة والأستغراق فى الملذات والميل إلى حياة النعومة التى عاشها الملك وأتباعه . فقد فاضت خزائن الدولة بعد أن إستتب الأمن فى الامبراطورية وتجمعت فى مصر ثروات العالم القديم لإرضاء فرعونها وبدأت مصر تجنى ثمار حروبها التى خاضها سواء فى أسيا الصغرى أو فى النوبة . كل هذا نراه واضحا فى الفن وفى العمارة ، ففى العمارة الدينية عندما نشاهد معبد الأقصر سواء فى تخطيطه أو فى جمال نقوشه ومناظره . وفى مقابر الأفراد عندما نشاهد بعض المقابر التى ترجع لعصره مثل مقبرة الوزير « رعمس » ومقبرة « خرو - اف » وهو أحد كبار رجال الدولة فى عهد أمنحوتب الثالث وكلها تشهد بجمال المناظر ورقتها وتدل على براعة الفنان المصرى الذى إستطاع أن يسجل هذه الروائع من رسوم ونقوش ملونة أو غير ملونة على جدران مقابر هذا العصر .

---

(1) Gardiner, op, cit, PP. 37 FF

Gayet, Le Temple de Louxor, Cairo, 1894 .

تمثالا ممنون :

أما فى العمائر الجنزية فلم يبقى من المعبد الجنزى للملك - الذى إستعمل فى عصر الأسرة التاسعة عشرة كمحجر - إلا تمثالى ممنون ، وقد أشرف على إقامتهما المهندس **أمنحوتب بن حابو** ، ويصل إرتفاع الواحدة منهما إلى ٢٠ متر بالتقريب . . ويمثل كل منهما الملك أمنحوتب الثالث جالسا على كرسى العرش وقد أدى الزلزال الذى حدث عام ٢٧ ق.م إلى سقوط الجزء الأعلى من التمثال الشمالى ، وقد أعيد ترميمه بطريقة غير علمية فى عهد الامبراطور سبتيميوس سفيروس حوالى عام ٢٠٠ ق.م واصبح لهذا التمثال الشمالى شهرته الأسطورية بعد حدوث هذا الزلزال ، إذ كان يصدر منه - نتيجة للتصدع الذى حدث به - صوتا غريبا لمرور الرياح من خلاله ، يزداد فى هدوء الفجر ، ولهذا أطلق الأغريق عليه اسم ممنون وهو ذلك الملك الأثيوبى الأسطورى الذى قاد الأثيوبيين لمساعدة أهل طروادة عند حصارها . فقتله أخيلوس فطلبت أمه إلهة الفجر الألهة إيوس من الأله ريوس باكية أن يميز إبنها عن بقية البشر ، فكان يظهر لها فى الفجر (عن طريق الصوت) فكانت تبكى عند سماعه وكانت دموعها الندى . وقد إختفى هذا الصوت بعد ترميم التمثال .

ومن أشهر مهندسى الملك أمنحوتب الثالث المهندس **أمنحوتب بن حابو** وكان من عائلة بسيطة مقرها مدينة بنها وقد بدأ حياته كاتبا فى الجيش ثم مستشاراً للملك وكان مسئولا عن الإعداد لاحتفالات عيد « السد » ومات وهو فى سن الثمانين وقد عثر على العديد من تماثيله وكان الوحيد من أفراد الشعب

الذى شيد له معبدا فى طيبة الغربية وقد عبد فى العصور المتأخرة كمثل طيب للوزير وللطبيب .

فى عام ١٨٨٧ عثر فى تل العمارنة على ألواح طينية يطلق عليها اصطلاحا **رسائل تل العمارنة** وهى عبارة عن مجموعة رسائل من ديوان أمنحوتب الثالث وإبنة أخناتون ، وهى تتضمن الرسائل المتبادلة بين كل من الفرعونين وبين ملوك وولاة عهديهما فى الشام . وهناك إحتمال بأن هذه الألواح ما هى إلا صورة طبق الأصل للخطابات التى أرسلت للأحتفاظ بها فى أرشيف الدولة . هذه الألواح مكتوبة - عدا خطابين فقط باللغة الحيثية - باللغة البابلية التى كتبت بالخط المسمارى على ألواح من الطمى غير المحروق .

ويبدو أن اللغة البابلية كانت فى ذلك الوقت هى اللغة الدبلوماسية . ومن أهم الموضوعات التى تتناولها هذه الرسائل هى الهدايا والهبات المتبادلة بين مصر والحكام الأجانب والزواج الدبلوماسى بين ملك مصر وإبنة أحد حكام الميتانى . ومن الطريف أن الملك أمنحوتب الثالث كان يرحب بالأميرات من غير المصريات للإنضمام إلى حريمه ولكنه إعتذر عندما طلب منه ملك بابل المعاصر له إبنته ورد عليه قائلا : « لم يسبق من قديم الأزل أن أعطيت أميرة مصرية إلى أى إنسان » .

حكم أمنحوتب الثالث ٢٨ سنة ، لم يرسل خلالها حملة واحدة عسكرية إلى أسيا الصغرى لتوطيد حكم مصر هناك ، وإن كان قد أرسل فى العام الخامس من حكمه أحد قواده المدعو « مرى مس » لإخماد الثورة فى النوبة . وقد إحتفل الملك أمنحوتب الثالث ثلاث مرات بعيد السد ، فى السنوات ٣٠

و٣٤ و ٣٧ من حكمه وقد أشرف على الإعداد لها مهندسه ومستشاره أمنحوتب بن حابو .

مات أمنحوتب الثالث فى السنة الثامنة والثلاثين من حكمه ودفن فى قبره بوادى الملوك الغربى .

الملك امنحوتب الرابع - اخناتون من ١٣٧٩ إلى ١٣٦٢ ق.م

أثبتت الحفائر والأبحاث الحديثة أن الملك أمنحوتب الرابع لم يشترك مع أبيه أمنحوتب الثالث فى الحكم ، بل إستولى على العرش بعد وفاته مباشرة . وتوضح لنا مراسلات تل العمارنة السابقة الذكر أن الملكة تى - أم أمنحوتب الرابع قد أرسلت للملك الميتانى توشراتا خطاب تبلغه فيه بموت زوجها أمنحوتب الثالث وترجوه أن يستمر فى صداقته وعلاقته الودية مع إبنها فرعون مصر الجديد أمنحوتب الرابع وقد أجاب توشراتا على خطاب « تى » بأن عليها أن تقنع إبنها بالمحافظة على هذه العلاقات الودية بين مصر ودولة الميتانى وقد يستدل من هذه الخطابات أن أمنحوتب الرابع لم يعتل عرش مصر إلا بعد وفاة والده أمنحوتب الثالث وفى نفس الوقت برهان على قوة نفوذ الملكة تى سواء فى السياسة الداخلية أو الخارجية . كما أثبتت النتائج الحديثة لمشروع معبد أخناتون أن الملك أمنحوتب الرابع لم يكن شريكا لوالده فى الحكم أيضًا ، إذ لم يذكر إسم والده أمنحوتب الثالث على أحجار المعبد المكتشفة حتى الآن (٣٥٠٠٠ حجر) والذى شيده الملك أمنحوتب الرابع فى بداية حكمه فى طيبة . فلو كان أمنحوتب الرابع شريكا مع والده فى الحكم لوجد إسم والده فى الحكم مكتوبا أو صورته منقوشة على أحجار هذا المعبد ، كذلك أكدت

الأبحاث التى قام بها دونالد ردفورد أيضًا عدم إشتراك أمنحوتب الرابع مع والده فى الحكم .

بدأ أمنحوتب الرابع الحكم فى طيبة [1] وكان عمره لايزيد عن ستة عشرة عاما فعاونته أمه تى فى السنوات الأولى من حكمه . وقد بدأ حياته مثل أسلافه من الملوك فى ذلك الوقت بتقديم الولاء لأله الدولة آمون بل وإتخذ لنفسه الألقاب الخمسة التقليدية المتوارثة . ثم تزوج من **نفرتيتى** وهى إمرأة معروفة بجمالها وجاذبيتها وإن كانت جنسيتها لـلآن موضع نقاش بين الآثريين فمنهم من يعتقد أنها مصرية ومنهم من يرى أنها ميتانية وإن كان الرأى المقبول الآن أن نفرتيتى هى إبنة الضابط « آى » الذى ترك لنا مقبرة تحمل اسمه منحوتة فى الصخر فى جبانة تل العمارنة ولم يدفن فيها وهو نفس الشخص الذى تولى الحكم بعد ذلك باسم الملك آى وحفر لنفسه مقبرة ملكية فى وادى الملوك الغربى . إذ نرى على جدران مقبرته فى تل العمارنة أن زوجته تفخر بأنها مرضعة نفرتيتى ويعتقد أنها ربما تكون زوجة « آى » الثانية التى تزوجها بعد وفاة والدة نفرتيتى ، زوجته الأولى التى ماتت ونفرتيتى طفلة صغيرة فقامت الزوجة الثانية بإرضاعها وخاصة أننا نجد على جدران نفس هذه المقبرة إسم أخت نفرتيتى المدعوة « موت نجمت » .

(1) Aldred, Akhenaten, 1972

- Weigal , The Life and Times of Akhenaton, London, 1934 .
- Peet, Akhenaten, Ty, Nefertete, in Brunton, Kings and Queens of Ancient Egypt, 1925.
- سيد توفيق ، إخناتون – الملك الاله ، مجلة كلية الآثار ، العدد الاول ، يناير ١٩٧٦ .

وما كادت الأمور تستتب لاخناتون حتى بدأ يفكر فى دينه الجديد والدعوة له ، إلى إله واحد يكمن فى قرص الشمس أطلق عليه آتون ، ولم يكن آتون هذا سوى صورة جديدة لأخد ظواهر الشمس المختلفة المعروفة من قبل إتخذت إسما جديداً ظهر أول ما ظهر فى الدولة الوسطى وعلى وجه التحديد فى الأسرة الثانية عشرة بمفهومين الأول كوكب الشمس والثانى الأله المقيم فى هذا الكوكب واستمر آتون بهذين المعنيين حتى جاء أخناتون وحرره من المعنى الأول وإختار له المعنى الثانى بل وحلت كلمة آتون محل إله (نتر) فى اللغة المصرية القديمة . ويبدو أن كهنة الأله آمون فى بداية الأمر قد إضطروا إلى أن يسمحوا للملك ببناء معبد لالهه آتون بعد أن لاحظوا أن آتون لم يكن سوى صورة أخرى لأله مدينة عين شمس القديم رع . ودخل آتون الكرنك معقل الأله آمون . وشيد أخناتون له معبدا ضخما شرق معبد آمون فى الكرنك ، وفسر كهنة آمون هذا الرضى على أساس أن إلههم هو الأله الأكبر آمون - رع أله الدولة المحبوب فى جميع أنحاء مصر بل وخارجها وأن أتون لم يكن فى هذه الفترة فى رأيهم إلا إلها جديداً يبحث عن أتباع له ومتعبدين وهكذا دخل آتون حرم الكرنك واعترف به بين آلهة المصريين .

أولى أخناتون كل إهتمامه إلى الدعوة لعبادة آتون وإختاره كأله لنفسه وعكف على عبادته وإتخذ لنفسه لقب « الخادم الأول للاله رع حور آختى الذى يهنأ فى الأفق باسمه النور (شو) الموجود فى آتون » ، ليكون الوحيد الذى يقوم بخدمة الأله آتون . فقد كان أخناتون وعائلته فقط هم الذين يتعبدون للأله آتون أما رعيته فكانوا يتعبدون لأخناتون نفسه كأله حاكم . فقد ذكرت النصوص أن هناك كاهنا يقوم على خدمة الملك فى حياته يحمل نفس

اللقب الذى حمله أخناتون بالنسبة لآتون وهو « الخادم الأول للأله نفر - خبرو رع - وع - ان - رع » وهو إسم العرش للملك اخناتون .

بدأ كهنة أمون يعرفون أن الأله الجديد يختلف - سواء فى شكله أو تعاليمه - عن الآلهة المصرية فهو لم يجسد فى صورة بشرية إلا فى بداية الأمر وفى حالات نادرة ولا هو متجسد فى صورة حيوانية كأغلب آلهتهم بل هو الحرارة الكامنة فى قرص الشمس التى تهب الناس الحياة وتغمرهم بالسعادة وقد فضل أخناتون له الصورة التى أقرتها الماعت (إلهة الحق والصدق والعدل) وشاهدتها عيناه مع بعض الإضافات الفنية ذات الصبغة الدينية فنجده صوره كقرص للشمس يتوسطه الصل الملكى ويخرج من القرص الأشعة على شكل خطوط تنتهى كل منها بيد إنسانية يمسك البعض منها أحد رمزين إحداهما للحياة والآخر للسعادة ، متوجهين بهما إلى أنف الملك وأنف الملكة فقط . وقد يعنى هذا أن الأله آتون يصبغ نعمته عليهما وهما بدورهما يهبانها إلى أفراد الشعب المتعبدين . وقد ذكر إسم آتون أولاً ككل الآلهة المصرية بدون الخرطوش ، ثم ظهرت مرحلة ثانية هى الأولى من نوعها فى التاريخ الفرعونى وهى وضع الأسم الكامل لآتون داخل خرطوشين تمامًا مثل أسماء الملوك المصريين أى عومل آتون كملك مصرى ، بل وتأكيدًا لهذا المعنى ظهرت مرحلة جديدة هى إضافة الأدعية التى غالبا ما تضاف إلى أسماء فراعنة مصر الى إسم آتون مثل « فليعطى الحياة إلى الأبد » .

أصبحت نوايا أخناتون الآن واضحة أمام الكهنة فأخذوا يحيكون له المؤامرات والدسائس للقضاء عليه وعلى دينه الجديد ، ولم يمنعه هذا من الأستمرار فيه وأعلنها حربا لا هوادة فيها على آمون وكهنته وغير إسمه من

أمنحوتب بمعنى (الأله آمون راضى) إلـى أخناتون أى (المفيد للأله آتون) . ثم تتبع إسـم آمون على جميع المعابـد والأماكن المقدسة ومحاه ليـس فى طيبة فقط بل فى أغلب أنحاء مصر حتى فى إسمه نفسه الذى غيره - كما ذكرت فى العام السادس من حكمـه . ثم أعلن دينه الجديد دينا للدولة ولكـنه لم يستطيع البقاء فى طيـبة بعد ذلك فتركها وذهب إلـى مكان جديد شيده لنفسـه ولعائلته ومن تبعه وأطلق عليه « أفق آتون » وهى المدينة المعروفة بتل العمارنة على البر الشرقى للنيل بالقرب من ملوى .

وفى تل الـعمارنة أقـام أخناتون أربـعة عشرة لـوحة منقـوشة منقـورة فى الصخر لتـحدد غربا وشرقا حدود عاصمـته الجديدة كما أقام هناك المـعابد للأله أتون ، كما أمـر بتشييد مـقبرة ملكيـة جماعية له ولأفـراد عائلته . أما مـقابر الأشراف فى عهده فهى منقورة فى صخر الجبل الشرقى فى تل العمارنة . وهى مميزة عن مقـابر النبلاء فى طيبة . فـجدران مقابر الأشراف فى العمـارنة مزينة بالمنـاظر العديدة لـلملك وأفراد عـائلته بأحـجام كبيرة أمـا أصحاب المقابـر فقد صوروا بأحجام صغيرة ، أما فى طيبة فقد زينت جدران مقابر الأشراف بالمناظر الدنيوية والدينية والجنزية وقد أتخذ المتوفى صاحب المقبرة فى جميع هذه المناظر مكانته بحجم كبير واضح .

يعتقد الـبعض أن الفن الآتونى فى عهـد أخناتون يمثل الحقيـقة التى عاش فيها الملك ، فتماثيله الضخمة الموجودة حاليا بالمتحف المصرى تظهر « الماعت » (أى الحقيقة) بطريقـة مبالغ فيها ، فهى تظهر الملك بجـسدة الضعيف ووجهه النحيل ذى التـقاطيع الرقيقة وعينيـه المتأملتين وفخذيه المتكـورتين ، بمعنى آخر

تظهر الملـك فى شكله الذى يمثلـه - أغلب الظن - فى الواقع ولـيس فى ذلك الإطار الذى يظـهر الفرد فى أحسن صورة وهـو الفن الذى كان متبعـا من قبل عهده ثم إتبع أيضًا بعد عهده على أن هناك مناظر تؤكد أن فنانى عصر أخناتون قد بدأوا أيضًا فى بدايـة حكمه بتصويره داخل ذلك الإطـار المثالى وهى صورة قد لاتنطبق على ما يمثله فى الواقع .

لم يكـن أخناتون مـلكا محاربـا فأهمل الـسياسة الخارجـية للإمبـراطورية وبدأت مصر فى عـهده تفقد سيطرتها عـلى الجزء الشمالى من إمبـراطوريتها ، فقد إهـتم أخناتون بديـنه وعقيدته وأهـمل رسائل الحكام الـذين يستغيـثون به ويطلـبون منه العـون ولم يهتم بمـقابلة الـرسل الذين أتوا مـن أسيا لمقابـلته . فاستغل الملك الحيثى سوبيلوليومـاس الموقف وأحتل سوريا كلها وبسط سيطرته على دولة الميتانى . كل هذا ولم يتحرك فرعون مصر للدفاع عن إمبراطوريته ، فسقطت المدن الفـينيقية الواحدة تلو الأخرى حتـى أن أهالى إحدى المدن وهم أهالى بلـدة تونيب أرسـلوا أكثر من عشـرين رسالة لفرعون مصر يستنجدون به « والآن فإن مدينتـك تونيب تبكى ودموعهـا تسيل ولا ناصر لها . لـقد أرسلنا عشرين رسالة إلى مولانا فرعون مصر ولا من مجيب » .

مات أخناتون وهو لايزال شابا فى الثانـية والثلاثين من عمره ، مات الملك الأله ولهذا لـم يستطيع أتـباعه من الاستمرار فـى دينهم . فقد مـات أخناتون ومات معه دينـه وعقيدته إذ بموته فقدت الـرعية الرمز الحى الذى يتـعبدون إليه وبالتالى فقدوا وسيلة الأتصال بالأله آتون .

نشيد آتون :

وإليكم نشيد أتون وهو منقوش على جدران مقبرة آى فى تل العمارنة [1] .

« أنك تشرق جميلا فى آفق السماء
يا آتون الحى يا بدء الحياة
أنك إذا أشرقت من جبل النور الشرقى
ملأت كل بلد بجمالك ومحبتك
أنك جميل . أنك عظيم
أنك تتلألأ عاليا فوق كل بلد
ان أشعتك تحيط بالأراضى كلها وبكل شىء خلقته
لأنك رع ، وتستطيع الوصول إلى نهايتها
وتستطيع أن تجعل كل بلد أسيرا لك
أنك الأله الذى دان الجميع بحبك
أنك ناء ولكن أشعتك على الأرض

(1) White, "Ikhnaton, The Great Man and the Culture Process" JAOS, LXIII, 1948, 91 FF.

- أحمد فخرى ، مصر الفرعونية ، ص ٣٠٦ - ٣٠٩ ، ٣٢٦ - ٣٢٩ .

- Erman, The Literature of the Ancient Egyptians, PP. 288 - 291.

أنك تشرق على وجوه الناس

ولايستطيع أحد منهم أن يتكهن بسر قدومك

* * * *

حينما تغيب فى أفق السماء الغربى

أظلمت الأرض وأصبحت تبدو كأنها ميتة

فيستقر الناس فى حجراتهم وقد غطوا رؤوسهم

وإنخفض صوت زفيرهم

ولاترى عين عينا أخرى

ويتسلل اللصوص إلى المنازل

ويولون الفرار دون أن ينتبه أحد إليهم

أما السباع فهى تخرج من عرينها

والثعابين تنساب وتلدغ

ويخيم الظلام ويعم الأرض السكون

عندما يذهب خالقها ليستريح فى أفقه الغربى

* * * *

وإذا أصبح الصباح تشرق متألقا فى الأفق

وعندما تضئ كأتون أثناء النهار

يتبدد الظلام ويستيقظ كل من القطرين مهللا

ويصحو الناس ويقفون على أقدامهم

ثم ينتشرون فى الأرض يباشر كل منهم عمله

وترتفع أذرعتهم متعبدين لشروقك

فيغتسلون ويلبسون ملابسهم

أما الماشية فهى فرحة فى مروجها

والأشجار والنباتات فهى تزدهر

لأنك أنت الذى توقظهم

والطيور فهى ترفرف تاركة أوكارها

وتسبح أجنحتها بحمدك

وتقفز الحملان على أقدامها

وكل ما يطير أو يحط

أنهم يعيشون لأنك أشرقت من أجلهم

* * * *

وتبحر السفن شمالا وجنوبا

وتعج الطرق بالناس
أما الأسماك فى النهر فهى تقفز أمامك
أن أشعتك تنفذ إلى أعماق البحر
أنك تعطى الحياة للجنين فى أحشاء النساء
وأنك تصنع من النطفة الرجال
وأنك أنت الذى يعنى بالطفل فى بطن أمه
وتسكن روعه فلا يبكى
أنك بمثابة المربية للجنين وهو لايزال فى بطن أمه
أنك تهب نسيم الحياة لكل إنسان خلقته
عندما ينزل (الطفل) من بطن أمه ليتنفس
فى اليوم الذى يولد فيه ،
تفتح فمه ، وتمده بكل ما يحتاج إليه
وإذا صاح الفرخ فى بيضته
فإنك تهبه الهواء ليبقيه حيا
ثم تمده بالقوة حتى يثقب بيضته
ويخرج منها وهو يوصوص إذا ما حان موعده

ويسعى على قدميه إذا خرج منها

* * * *

ما أكثر مخلوقاتك
وما أكثر ما خفى علينا منها
أيها الأله الأوحد الذى لاشبيه له
لقد خلقت حسبما تهوى أنت وحدك
خلقتها ولاشريك لك
خلقتها مع الإنسان والحيوان كبيرة وصغيرة
خلقتها وكل ما يسعى على قدميه فوق الأرض
وكل ما يحلق بجناحيه فى السماء
خلقت بلاد سوريا والنوبة ومصر
وأقمت كل إنسان فى مكانه
ودبرت لكل إنسان ما يحتاج إليه
وجعلت لكل منهم أيامه المعدودة
لقد تفرقت ألسنتهم باختلاف لغاتهم
كما إختلفت أشكالهم وألوان أجسادهم
لأنك أنت الذى يميز أهل الأمم الأجنبية

* * * *

لقد خلقت النيل فى العالم السفلى
ودفعت به إلى أعلى حسب مشيئتك
ليحفظ أهل مصر أحياء
وذلك لأنك أنت الذى خلقتهم لأجل نفسك
وأنت سيدهم جميعا ، الذى يشغل نفسه من أجلهم
أنت يا شمس النهار
يا عظيما فى جلالك

* * * *

انت الذى يعطى الحياة لكل البلاد الأجنبية البعيدة
لقد جعلت نيلا يهبط إليهم من السماء
وجعلت له أمواجا تتدافع على الجبال كالبحر
لتروى حقولهم التى فى قراهم
ما أعظم تدبيرك يا سيد الأبدية
وهبت نيل السماء لشعوب الجبال
أنت الذى صنعت الدنيا بيديك
فأحييت حيوانها وكل من يسعى فوق أقدامه
أما النيل فهو يخرج لمصر وحدها من العالم السفلى

* * * *

تغذى أشعتك كل حديقة

ويحيا وينمو كل نبات إذ ما أشرقت عليه

لقد خلقت الفصول لكى تحيى كل مخلوقاتك

وجعلت لهم الشتاء ليتعرفوا على بردك

ثم جعلت لهم الصيف ليتذوقوا حرارتك

لقد خلقت السماء البعيدة لتشرق فيها

وحتى ترى كل ما صنعت

ذلك عندما كنت وحيدا

أنت الوحيد الذى يشرق فى صورته كآتون الحى

ساطعا متلألئا رائحا وغاديا

لقد خلقت من نفسك تلك الأشكال التى تعد بالملايين

مدنا وقرى وقبائل وجبالا وأنهارا

كل العيون ترنو إليك

لأنك أنت آتون الذى يشرق فى النهار على الأرض

* * * *

أنك فى قلبى
وليس هناك من يعرفك
غير إبنك « نفر - خبرو - رع - وع - ان رع » (أخناتون)
أنك أنت الذى ثقفته بتدبيراتك وقوتك
أنك أنت الذى أمددته بالحكمة

* * * *

انت الذى صنعت الدنيا بيديك
وخلقت الناس كما شئت أن تصورهم
إذا ما أشرقت عاش الناس
وإذا ما غربت ماتوا
أنك أنت الحياة
ولايحيا الناس إلا بك
تستمع العيون بجمالك حتى تغرب
فإذا غربت فى الأفق الغربى
ترك الناس اعمالهم كلها
ولكن عندما تشرق ثانية

يزدهر كل شىء لأجل الملك
لأنك أنت الذى خلقت الأرض
وأنت الذى خلقت الناس لأجل إبنك
الذى ولد من صلبك
ملك مصر العليا ومصر السفلى
الذى يحيا على الحق
سيد الأرضين « أخناتون »
الذى يحيا إلى الأبد
وكذلك من أجل كبرى الزوجات الملكية محبوبته
سيدة الأرضين « نفر - نفرو - آتون - نفرتيتى »
التى تحيا وتزدهر دائمًا وإلى الأبد » .

* * * *

ديانة آتون :

بالرغم من أن أخناتون فشل فى حركته وبالغ أعداؤه - وفى مقدمتهم كهنة أمون - فى القضاء على آثاره وعلى ذكراه وإعتبروه ملحدا خارجا على الدين وأسقطوا إسمه وإسم عائلته من قوائم الملوك ، فإن ما وصل إلى أيدينا كاف لإعطائنا صورة عن هذه الحركة الدينية وما فيها من آراء . . وللإحاطة بأهم مبادئها نذكر النقاط الآتية :

أولاً : كانت « ماعت » (ويمكن ترجمتها الحقيقة أو العدل أو الأصول أى القواعد التى يجب أن تتبع) هى الأساس الذى إرتكزت عليه ديانة آتون ، وقد طلبت من الناس أن يجعلوها نصب أعينهم وأن يسموا الأشياء بأسمائها ولايلتجئوا إلى النفاق والمداهنة .

وكان أثر هذا المبدأ كبيرًا على الفن فتحرر الفنانون من القواعد القديمة وأخذوا يرسمون الملك وزوجته وأولاده فى مواقف لم يحلم برؤيتها أحد من قبل ، نراها مرسومة على جدران المعابد أو المقابر مثل مداعبة فرعون لزوجته أمام الناس فى الطريق وتقبيل أولاده ، أو تصويره وهو يأكل بشراهه على إحدى موائد الطعام .

ثانيًا : كره أخناتون تصوير إلهه على صوره من الصور سواء أكانت إنسانية أو حيوانية وجعله فقط قرص الشمس التى تعطى أشعته الحياة للناس أجمعين .

ثالثًا : كان أتون هو الأله الواحد الأحد الذى لاشريك له ، ولكن مثل هذا التعبير كان يطلق على عدد غير قليل من الآلهة منذ أقدم العصور ومنها

امون ولهذا لـم يكن جديداً على الديـانة المصرية ولكن الجـديد هو تحريم عباده آلهة أخرى فى الوقت نفسه .

رابعًا : ومن أهم النقاط في هذه الديانة أن أخناتون كان وحده إبن آتون وهو الذى كان مكلف بعـبادته . أما الناس فكانوا يعرفون آتون بـعبادتهم لإبنه ورسوله أخناتون ، وهذه النقطة بالـذات هى التى وقفت حائلاً بين الناس وبين الاستمرار فى هذه الديانة بعد موت أخناتون .

خامسًا : لم تكن ديـانة أتون لمصر وحدهـا بل كانت للعـالم كله فبـسبب هذا الأله عاشـت الأسماك فى البحـار والوحوش فى الأدغال والـزواحف فى جحورها والنبات فى الحقول .

سادسًا : لم يكن هـناك معنى لبـناء معابد مغلـقة ذات حجرات وأبهاء تـنتهى بهيـكل قليل الضـوء وإنما كان المعبد مـكونا من بهو كـبير يتوسطـه مذبح ليتمكن كل شخص من الاستمتاع بضوء الشمس والتطلع إليها .

سابعًا : كان أخناتون هـو الرسول والوساطة بين أتون والناس ولـكن لم يمنع ذلك من وجود كهنة لأتون .

ثامنًا : إذا دققنا فـى فحص ديانة أتون لوجـدنا أنها أول محاولة لـلاتجاه نحو التوحيد ونحو التخلص من عبادة آلهة متعددة فى وقت واحد .

تاسعًا : ليس هناك شك فـى أناشيد أخناتون لإلهه كانت ذات أثـر مباشر على المزامير وأن المزمور ١٠٤ يكـاد يكون منقولا عن النشيد الكـبير وليس من قبيل توارد الخواطر . أمـا كيفية وصول هذا النشيد إلى الـعبرانيين ؟ فمن

المحتمل أن يكون قد حفظ فى أسيا وبقى فى آدابها تتناقله الأجيال حتى جاء الوقت الذى بدأ فيه العبرانيون بتدوين التوراة فى القرن ٨ ق.م وما تلاه من قرون .

عاشراً : لم يتخذ أتون زوجة ولم يكن للنساء شأن أو حتى فى كهنوته ، كما أن « **نفرتيتى** » لم يقرن إسمها بأى وظيفة فى معبد أتون ، ولم يكن لها فى هذا الدين أى شأن خاص أكثر من أنها زوجة « أخناتون » العظيم .

الملك توت عنخ آمون من ١٣٦١ إلى ١٣٥٢ ق.م

أشرك أخناتون زوج إبنته الكبرى مريت أتون المعروف باسم **سمنخ كارع** معه فى الحكم فى السنوات الأخيرة من حياته ، وإن كنا لانعلم للآن صلة القرابة بين أخناتون وسمنخ كارع . على أنه من المؤكد أن سمنخ كارع عاد إلى طيبة فى السنة الثالثة من حكمه بعد وفاة أخناتون إذ نعرف من نص بالخط الهيراطيقى فى مقبرة با ارى (رقم ١٣٩ فى طيبة) مؤرخ من تلك السنة أن أحد الكهنة وكاتب القرابين المقدسة للأله آمون فى معبد سمنخ كارع فى طيبة يرفع صلواته إلى الأله أمون . ويبدو أن سمنخ كارع قد إنفرد بالحكم سنة واحدة بعد وفاة أخناتون ومات وتولى بعده عرش مصر طفل صغير فى الثامنة من عمره هو الملك **توت عنخ آمون** ولانعرف للآن مدى قرابته للبيت المالك وإن كان هناك إحتمال بأنه أخ للملك سمنخ كارع ، وأنه استطاع الوصول إلى عرش مصر بزواجه من الابنة الثالثة لاخناتون وهى « **عنخ - اس - ان - با اتون** » وهو اسم قد يعنى أنها تعيش للأله آتون . وقد عاونه « الأب

الالهى آى » فى تصريف شئون الدولة . وقد إضطر توت عنخ آمون بعد سنتين من إعتلائه عرش مصر إلى أن يتجه لعبادة الأله آمون رب طيبة ، كما إضطر إلى تغيير إسمه من « توت عنخ أتون » أى الصورة الحية لأتون إلى « توت عنخ آمون أى الصورة الحية لامون ، كما غير إسم زوجته إلى « عنخ - اس - ان - أمون » أى هى تعيش للأله امون وهناك إحتمال أنه ترك تل العمارنة وأتى إلى طيبة . كل ذلك لإرضاء تلك القوة المتركزة فى كهنة أمون الذين أسكرتهم خمرة النصر وبدأوا بدورهم يمحون ما تصل إليه أيديهم من آثار عهد اخناتون .

وكان على توت عنخ أمون - كما ذكرت - أن يرضى الكهنة وإلهتهم فاضطر - كما هو منقوش على لوحة عثر عليها فى معابد الكرنك - من إصلاح ما خرب من معابد الألهة ، بل وأن يضاعف أملاك المعابد من الذهب والفضة وأن يزيد عدد الكهنة القائمين على خدمتها على أن تحسب أجورهم من ثروة سيد الأرضين .

وأمر توت عنخ آمون بتسجيل إحتفالات عيد الأوبت على جدران صالة الأربعة عشر أسطونا فى معبد الأقصر وهى تمثل الأحتفال الذى كان يقيمه المصريون مرة كل عام عندما يخرج الأله أمون رع فى موكبه لزيارة حريمه فى معبد الأقصر .

ومات توت عنخ آمون وهو فى ريعان الشباب ، إذ أن الأبحاث التى تمت على مومياءه تؤكد أنه مات فى العام الثامن عشر من عمره أى أنه حكم عشرة سنوات كاملة . ولعل شهرة توت عنخ آمون ترجع إلى إكتشاف مقبرته

كاملة [1] دون أن تمسها أيدى لصوص المقابر فى ٤ نوفمبر عام ١٩٢٢ ، بكل ما فيها من ثروة تدل على البذخ والإسـراف الذى عاش فيه ملوك الأمبراطورية . ويجب أن يـؤخذ فى الاعتـبار بأن توت عـنخ آمون لم يـكن ملكـا له مكانـته التاريخية وكان له كل هذه الثروة من الأثـاث الجنزى ، فماذا لو قيس بغيره من الملوك وفى هذه الحـالة قد يستطيع الإنسـان أن يتخيل ما يجب أن يـكون عليه الأثاث الجنزى بالنـسبة للملوك العظام أمـثال تحتمس الثالث وأمنحـوتب الثالث وسـيتى الأول ورمسيس الثانـى . وقـد دفن توت عنخ آمون فى مقبرة صغيرة - أغلب الـظن - لم تكن مـعدة له وقد أشرف علـى إعداد الجنازة وطقـوسها الملك الذى تولى عرش مصر من بعده الكاهن « آى » الذى كان يحمل اللقب الكهنوتى « الأب الالهى » وقد صور على جدران مقبرة توت عنخ آمون بلباس الكهنة ويقوم بطقسة فتح الفم لمـومياء الملك المتوفى توت عنخ آمون . وأصبح ملكا لمصر وحكم فترة أربعة سنوات ودفن فى مقبرته بوادى الملوك الغربى .

الملك حور محب من ١٣٤٨ إلى ١٣٢٠ ق٠م

إعتبـر كاتب كل من قـائمة أبيدوس وسقـارة الملك حور محـب أول ملك شرعى بعد الملك أمـنحوتب الثالث وتجاهل عن عمد كل مـن أخناتون وسمنخ كارع وتوت عنخ أمون وآى الموصومين بالآتونية .

كان حور محب هو اليد المحركة فى عهد الملك « آى » وكان يشغل وظيفة القائد الأعلى للجـيوش المصرية فاستطاع بسهولة من أن يعـتلى عرش مصر بعد

(1) Carter, The Tomb of Tut- Ankh - Amen, 3 Vols London, 1923 - 1933.
- Noblecourt, Tutankh amen, 1963 .

وفاته وذلك لعدم وجود الوريث الشرعى . وقد إستطاع حور محب من أن يكتسب شرعيته بزواجه من الأميرة موت نجمت » أخت الملكة نفرتيتى وأن يعيد الأمن للبلاد بقوة السلاح . وأعتبر حور محب آخناتون وأتباعه من الملحدين وأمر بهدم ما شيدوه من معابد ومقاصير وأستغل أحجارها حشوا لصروحه الثلاثة التى أقامها فى معابد الكرنك وهى الثانى غربا والتاسع والعاشر جنوبا ، ولم يكن حور محب يعلم أنه بهذا العمل الانتقامى أنقذ هذه المعابد وحفظ لنا احجارها من الفناء .

وقد شيد حور محب فى بداية حياته مقبرته فى منف عندما كان ضابطا ولكنه تركها وشيد أخرى تليق بمركزه كملك للبلاد فى وادى الملوك ، وإن كان العمر لم يمتد به حتى يستكمل نقوشها ومناظرها . كما نعرف أيضًا من تمثال جميل له ولزوجته فى متحف تورين قصة ذهابه إلى طيبة ليتوج رسميا هناك . وهناك أيضًا لوحة الكرنك وإن كانت مشوهة إلا أنها تقص علينا الإجراءات التى إتخذها حور محب لحماية الفقير من الغنى والضعيف من القوى وذلك لتأمين العدالة فى البلاد . وهى النصوص التى يطلق عليها اصطلاحا قوانين حور محب (١) .

مات حور محب فى العام السابع والعشرين من حكمه ودفن بقبره بوادى الملوك .

---

(1) Pfluger, Horemheb, 1936.

(2) Van De Walle, Le Decret d'Horemheb, CdE, No. 44, 1944, PP 230 - 238 .

الأسرة التاسعة عشرة

من ١٣٢٠ إلى ١٢٠٠ ق.م

الملك رمسيس الأول من ١٣٢٠ إلى ١٣١٨ ق.م

يعتبر حور محب واسطة العقد بين عصرين ، عصر العمارنة الذى إنتهى بوفاة الملك آى ، وعصر الرعامسة الذى يبدأ بالملك رمسيس الأول (باللغة المصرية القديمة رع مس سو أى الاله رع هو الذى أنجبه) مؤسس الأسرة التاسعة عشرة . ويبدو أن الملك حور محب لم يكن له وريث من الذكور فأختار زميلا إنخرط معه فى سلك الجندية هو رئيس الرماة « بارع مس سو » وكان كبير السن . ونعرف من تمثالين له عثر عليهما أمام الصرح العاشر بمعابد الكرنك ، يمثلانه فى وضع كاتب ملكى جالس القرفصاء ، الألقاب العديدة التى كان يحملها قبل توليته عرش مصر نذكر منها « رئيس مشاة سيد الأرضين - الوزير - ونائب ملك مصر العليا والسفلى » . وهناك إحتمال أن الملك حور محب قد قلده هذه الوظائف لثقته فيه وتوطئه لتوليته العرش من بعده . كما نعرف من آثار له أيضًا أنه منح لقب « ابن الملك » فى أواخر أيامه قبل توليته العرش فهو كما نعرف ليس إبنا لملك ، بل كان ابن أحد الضباط المدعو سيتى من أبناء الدلتا .

تولى بارع مس سو عرش مصر بعد وفاة حور محب ، فأسقط أداة التعرف (با) من أسمه فأصبح رع مس سو وهو ما نطلق عليه الآن رمسيس وأمر بوضع إسمه داخل الخرطوش الملكى . وقد حكم فترة قصيرة هى فى رأى مانيتون - نقلاً عن المؤرخ اليهودى يوسف - سنة واحدة وأربعة شهور . وتعتبر آثار

رمسيس الأول قليلة جدًا ، إذ كل ما تم العثور عليه للآن بعض النقوش التى ترجع لعهده على الصرح الثانى ، بمعابد الكرنك . بجانب لوحة تذكر العام الثانى من حكمه كانت فى معبد بوهين إلا أن الذى أقامها - أغلب الظن - هو إبنه سيتى الأول الذى أقام أمامها لوحة أخرى ترجع للعام الأول من حكمه وربما يكون هذا دليلا على إشتراكه فى الحكم مع والده فى أواخر أيامه . وقد دفن رمسيس الأول فى قبره - الذى لم يستكمل - بوادى الملوك .

الملك سيتى الأول من ١٣١٨ إلى ١٣٠٤ ق٠م

تولى الحكم بعد والده رمسيس الأول ويبدو أنه كان مشتركا معه فى الحكم فى أواخر أيامه ، وكان لقبه « النبتى » هو « وهم - مسوت » أى تكرار الولادة بمعنى عصر البعث أو عصر النهضة . فقد بدأ سيتى الأول عصرًا جديدًا فى تاريخ مصر فقد إهتم فيه بالفلك وأرخ سنوات حكمه الأولى باسم سنوات النهضة ، إذ تذكر النصوص على سبيل المثال « السنة الثانية من عهد تكرار الولادة للملك سيتى الأول » على أنه يجب أن نلاحظ أن هذه الأسرة إتجهت إتجاها جديدًا لم يكن متبعا من قبل نراه واضحا فى أسماء ملوكها أمثال رمسيس وسيتى ومرنبتاح فقد إلتجأ ملوكها إلى آلهة الشمال رع (فى رمسيس) وست (فى سيتى) وبتاح (فى مرنبتاح) ولعل السبب الرئيسى فى هذا هو أن منبع هذه الأسرة هو الدلتا وليس الصعيد كما كان الحال بالنسبة لملوك الأسرة الثامنة عشرة الذين إتخذوا من آمون (فى أمنحوتب) وجحوتى (فى تحتمس) حاميا لهم .

نعرف من المناظر والنصوص المنقوشة على الجدران الشمالية والشرقية الخارجية لبهو الأساطين بالكرنك حروبه في فلسطين وسوريا [1] ويعتبر سيتى من أوائل الملوك الذين سجلوا ما قاموا به من أعمال حربية بحجم كبير على جدران المعابد . ففى العام الأول من حكمه ، قام سيتى الأول على رأس جيشه ليستعيد ما فقدته مصر فى أسيا بعد أن وصله تقرير يؤكد أن بدو فلسطين (الشاسو) يدبرون ثورة للخلاص من سيطرة مصر فذهب إلى هناك وقضى عليهم وقد سار بجيشه فى طريق حورس وهو الطريق الحربى الممتد فى سيناء من ثارو (القنطرة) حتى مدينة رفح وكانت أول قرية في فلسطين . وفى الطريق أمر سيتى بإنشاء وتجديد نقط الحراسة لحماية الطريق من بدو الصحراء . نعرف منها « مجدل (أى قلعة محصنة) سيتى الأول » كما أمر بحفر الآبار لتكون موردا للمياه فهناك « بئر سيتى مرنبتاح » وقد إستطاع سيتى أن يقضى على الثوار ويؤمن الطريق بل وتابع سيره حتى وصل إلى لبنان وإنتصر عليها بل وامر أميرها بإحضار كميات ضخمة من أخشاب الأرز لمصر . كما قام بحملة أخرى على قادش على نهر العاصى وسحق أعدائه هناك وترك لوحة بها تسجل وتخلد هذا النصر . كما أن هناك على جدران بهو الأساطين بالكرنك مناظر ونصوص تصور حروبه مع ليبيا ومملكة الحيثيين . بعد ذلك قام الملك فى العامين الرابع والثامن من حكمه بحملتين للقضاء على الثوار فى النوبة .

وأصدر سيتى الأول مرسوما الهدف منه حماية الممتلكات الدينية فى

(1) Petrie, A History of Egypt, III, 1927, P, 2, 5 FF.
- Montet, Kemi, 4, 1933, PP. 191 - 215 .
- Breasted, ARE. III, Parag 101 .

أبيدوس من إستغلال موظفى الدولة وهو إن دل على شىء يدل على ضعف النظام بين موظفى الحكومة فى هذه الفترة وشدد سيتى العقوبات على الاستغلاليين والمفسدين فنرى مثلا أن عقاب الموظف الذى ينقل بعض الممتلكات بدون وجه حق هو قطع الأنف والأذنين وأن من يسلب راعيا يعاقب بالضرب مائتى عصا . . . إلخ .

وقد إشترك سيتى الأول فى إقامة بهو الأساطين العظيم فى الكرنك الذى تبلغ مساحته ٥٤٠٠ متر مربع وفيه ١٣٤ أسطونا فى ستة عشر صفا ، على أن الصفين الرئيسيين اللذين يتوسطان هذا البهو الضخم شكلت رؤوس تيجانهم على هيئة زهرة بردى يانعة ويبلغ إرتفاع الأسطون ٢١ متر وجدران هذا البهو وسقفه وما به من أساطين كلها مزينة بالنقوش والمناظر ، النصف الشمالى من هذا البهو ينتمى إلى سيتى الأول والنصف الجنوبى ينتمى للملك رمسيس الثانى على أن أغلب المناظر الموجودة هناك - بجانب الحربية تمثل الملك فى علاقاته المختلفة مع الالهة والآلهات .

كما شيد الملك سيتى الأول معبدا فى المدينة المقدسة أبيدوس وأطلق عليه « بيت ملايين السنين » وهو يعتبر بحق من مفاخر العمارة المصرية إذ تزين جدرانه نقوش دقيقة ومناظر جميلة تتميز بتفاصيلها وجمال ألوانها وتمثل الطقوس المختلفة التى يقوم بها الملك أمام الالهة والآلهات كما يتميز هذا المعبد أيضًا بوجود سبعة مقاصير لآلهة وآلهات مصر خصصت واحدة منهم للملك نفسه باعتباره واحدا منهم .

مات سيتى الأول بعد أن حكم ١٤ عاما ودفن فى مقبرته المشهورة بوادى

الملوك والتـى تعتبر من أكبر وأفـخم المقابر الملكـية إذ يزيد طولها عن مـائة متر داخل صخر الجبل وهى مزينة بالمناظر والنـصوص الدينية والفلكية المعروفة فى ذلك الوقـت . أما معبده الجنـزى فقد شيده فـى القرنة فى الـبر الغربى لطـيبة ولازالت بقاياه موجودة حتى الآن .

الملك رمسيس الثانى من ١٣٠٤ إلى ١٢٣٧ ق٠م

أشهر مـلوك الأسرة التاسعـة عشرة ، تولى الحـكم بعد وفاة والده سـيتى الأول وقد حكم مصر ٦٧ عاما ، أقام خلالها الـعديد من المعابد والمنشآت التى خلدت إسمه علـى مدى العصور . وقد ذكر نص فى معبـد الملك سيتى الأول بأبيــدوس أن الملك سـيتى الأول قد أشرك مـعه إبنه رمـسيس (الثـانى) فى الحكم ، ولم يعـترف رمسيس الثانى بهذه الـفترة وإعتبر بداية حكـمه بعد وفاة والده مباشرة وبجلوسه على عرش مصر منفردا .

نقل رمسيـس الثانى العاصمة إلى بلـدة فى شمال شرق الدلتا أطلـق عليها بررعمـسـو أى دار رمسـيس ويعتـقد البعض أنـه أقامها عـلى أنقاض عـاصمة الهكـسوس أفاريس (١٢ ميـل جنوب تانيس) ، ويـفضل البعـض الآخر من العلماء والمتخصصين أن مدينة تانيس عاصمة الأسرة الحادية والعشرين هى التى قامت علـى أنقاض مدينة « بررعمـسـو » وهى الآن مدينة صان الحـجر شمال شرق الدلتا ولعل ما يـؤكد هذا هو البقايا الأثرية العديدة التـى يرجع أغلبها إلى عهد الملك رمسيس الثانى والتى عثر عليها فى مدينة تانيس .

بدأ الملك رمسيس الثانى حياته بالقتال مع أحد طوائف شعوب البحر الذين يطـلق عليـهم إسم « الشـرادنا » والذين أعـطوا إسمـهم بعد ذلـك لسردينـيا

وأصبحت موطنا لهم . ونعرف من لوحة عثر عليها فى تانيس وترجع للعام الثانى من حكمه أنهم « قدموا فى مراكب حربية من وسط البحر ولم يستطيع أحد ردهم » فأضطر رمسيس الثانى أن يقاتلهم - أغلب الظن - عند أحد مصبات فروع النيل ويهزمهم ويقتل العديد منهم فأستسلم الباقى فأخذهم أسرى حرب ثم بعد ذلك أصبحوا جنودا فى جيشه ولما تأكد من إخلاصهم ضمهم - بعد عامين - إلى حرسه الخاص ، فنراهم مصورين بخوذاتهم ذات القرون ودروعهم المستديرة وسيوفهم الضخمة .

ونعرف من نص منقوش على لوحة ترجع لعهده ، عثر عليها بالقرب من العلمين حيث أقام رمسيس الثانى هناك قلعة لتأمين الحدود الغربية من زحف الليبين ، أنه إضطر للقتال معهم عندما بدأوا يزحفون على حدود مصر الغربية.

بعد أن طهر رمسيس الثانى الدلتا شمالا من الشردانا وغربا من الليبيين نجده إتبع سياسة والده فى الأحتفاظ بحدود إمبراطوريته فى أسيا . ففى العام الرابع من حكمه قام بحملة عسكرية وصلت إلى نهر الكلب (شمال بيروت) ، وبهذا إستطاع أن يحتل شاطئ مملكة أمورو وبالتالى التحكم فى نهر الكلب الذى إعتبر - فى ذلك الوقت - من أهم وسائل نقل المعدات المختلفة الآتية من البحر المتوسط إلى داخل البلاد . وقد ترك رمسيس الثانى لنا هناك لوحة صخرية تحمل إسمه لتسجل هذا النصر . كان من نتيجة هذه الحملة العسكرية أن إنضم أمير مملكة أمورو - وهى المملكة التى يتنازع على السيادة عليها كل من مصر ومملكة الحيثيين - المدعو بنتشينا إلى مصر ولم يخضع لتهديدات ملك الحيثيين مواتالى .

كان إنضمام مملكة أمورو إلى الجانب المصرى من الأسباب التى أدت إلى قيام الملك الحيثى « مواتالى » بجمع جيش كبير بالتحالف مع ممالك أجنبية مختلفة وذلك للقضاء على النفوذ المصرى بأسيا . وعلم رمسيس الثانى بهذا ، فقام على رأس جيشه فى العام الخامس من حكمه لمحاربة ملك الحيثين ومن معه وكانت **معركة قادش** الشهيرة التى أمر رمسيس الثانى بتسجيلها بحجم كبير على واجهات وجدران أكثر المعابد التى شيدت فى عهده . فنراها بالنص والصورة على صرح معبد الأقصر وعلى جدران معابد الكرنك وأبيدوس ومعبده الجنزى المعروف بإسم الرامسيوم بالبر الغربى بطيبة ثم على جدران معبده الضخم الذى كان منقورا فى الصخر والمعروف بإسم معبد أبو سنبل الكبير كما نعرف أيضًا تفاصيل هذه المعركة من نص مكتوب على إحدى البرديات .

وقد قام رمسيس الثانى ومعه عشرين ألفا من الجنود والضباط بعد أن قسمهم إلى أربعة جيوش ، أطلق عليها أسماء آلهة مصر الرئيسية آمون ورع وبتاح وست ووصلوا حتى لبنان ومنها إلى وادى نهر العاصى . وهناك تمكن الجنود المصريون من القبض على جاسوسين من البدو من أتباع الملك الحيثى مواتالى ، الذى أرسلهما ليتتبعا تحركات الجيش المصرى . ويبدو أنهما كانا من المدربين على القيام بمثل هذه الأعمال ، فقد إستطاع خداع القيادة العسكرية المصرية بإعترافات زائفة متفق عليها مع الملك الحيثى . فقد إعترفا - بعد الضرب القاتل - بأن الملك الحيثى تقهقر بجيوشة إلى حلب عندما وصلته أخبار تقدم الجيوش المصرية ، وذلك على عكس الحقيقة التى تقول أن الملك الحيثى وجيوشه التى وصلت إلى ٢٥٠٠ عربة حربية بكل منها ثلاثة جنود

والتى كانت مختبئة وراء مدينة قادش لمفاجئة الجيوش المصرية ، قد أعدوا كمينا للقضاء على الملك رمسيس الثانى وجيوشه . وعند سماع رمسيس الثانى لإعترافات الجاسوسين ، فلم يتحقق من أقوالهما من رجال مخابراته كما هو متبع ، بل أسرع على رأس جيش آمون لكى يلحق بجيوش العدو بدون أن تلحق به باقى جيوشه فعبر نهر العاصى وعسكر مع حرسه الخاص وجيش أمون فى شمال غرب قادش ولم يكن يعلم أن الملك الحيثى وجيوشه كانوا خلف التلال فى الجهة الشمالية الشرقية وإستطاعوا أن يقومون بحركة إلتفاف حتى وصلوا إلى الجنوب . وما أن بدأ الجيش الثانى ، جيش رع ، بعبور نهر العاصى حتى إنقضوا عليه وفرقوا شمله . وكان لهذا الهجوم المفاجئ أثره الكبير فى تفتيت الجيشين رع وأمون وفوجئ رمسيس الثانى بعد أن إنفضت عنه جيوشه ولم يبقى معه إلا حرسه الخاص ، وخاصة أن الجيش الثالث للأله بتاح والرابع للأله ست كانا بعيدين عنه ، وتمكن بشجاعته ومن معه من الحراس من أن يجمع أفراد جيشه وأن يفتح ثغرة بين جيوش العدو وأن ينجو بنفسه ومعظم جيشه وخاصة أنه فى نفس الوقت وصلت قوة عسكرية من الشباب وإنضمت لرمسيس الثانى فتغير سير المعركة وأصبحت لصالح فرعون مصر ولعل السبب فى هذا هو إنشغال جنود الأعداء بنهب المعسكرات المصرية .

على أية حال فقد إستطاع رمسيس الثانى بشجاعته أن يحفظ جيشه من هزيمة محققه وبالتالى أن يفسد على الأعداء خديعتهم وخطتهم . بعد ذلك تذكر النصوص المصرية أن ملك الحيثيين أرسل لرمسيس الثانى خطابا يلتمس منه العفو وأن يمنح رعاياه نسيم الحياة . وقد فضل رمسيس الثانى - بعد

إستشارة ضباطه - أن يقبل خضوع العدو . وعاد إلى مصر دون أن يضم مدينة قادش إلى أملاكه [1] .

بعد ذلك تذكر النصوص المصرية أن ملك الحيثين أرسل إلى « رمسيس الثانى » خطابا يلتمس منه العفو وأن يمنح رعاياه نسيم الحياة وقد فضل «رمسيس» أن يقبل خضوع العدو وعاد إلى مصر دون أن يضم مدينة قادش إلى أملاكه . هذا من وجهة نظر النصوص المصرية ، أما وجهة نظر الحيثيين فتذكر هزيمة المصريين وأن جيوش الملك الحيثى لاحقت مؤخرة الجيش المصرى حتى دمشق . . وقد يحتار المؤرخون بين الروايتين فالبعض يميل إلى الرواية المصرية ، والبعض الآخر يفضل الرواية الحيثية ، على أنه من الطبيعى أن يحتفظ كلا الملكين المصرى والحيثى لنفسه بكرامته .

كانت معركة قادش من الأسباب التى دعت « رمسيس الثانى » للقيام بمحاولة أخرى لإستعادة إمبراطوريته فى أسيا ، فبعد أن أعاد تنظيم جيشه قام فى العام الثامن من حكمه بحمله عسكرية إلى فلسطين وسوريا فأخمد الثورات هناك وأعاد الاستقرار للبلاد .

وظلت حالة التوتر مستمرة بين المصريين والحيثيين إلى أن أدرك الطرفين أن السلام خير لهما فأبرما معاهدة « أمن وأخوه وسلام » ونعرف تفاصيل هذه المعاهدة من النصوص المصرية والمسمارية ، ولعل أهم ما تضمنه هذه المعاهدة هو قيام حلف هجومى دفاعى بين « رمسيس الثانى » والملك الحيثى

(1) Schmidt, Ramesses II, 1943.

- Noblecourt, Rameses Le Grand, Paris, 1976.

- Breasted, The Battle of Kadesh, Chicago, 1903 .

« خاتوسيلى الثالث » ، كما تضمنت أيضاً حسن معاملة اللاجئين ومعاملتهم عند عودتهم كمواطنين وليس كمجرمين ، بعد أن بدأ تبادل الخطابات الودية بين حكام الدولتين بل وأكثر من هذا فقد قام « خاتوسيلى الثالث » بزيارة وديه لمصر .

ويبدو أن من بين أسباب هذه المراسلات رغبة رمسيس الثانى فى زواج دبلوماسى من إبنة خاتوسيلى الثالث والذى تم فى العام الرابع والثلاثين من حكمه . وقد أمر رمسيس الثانى بتبجيل هذا الحادث السعيد فى أكثر من مكان وعلى أكثر من لوحة. فقد سجل هذا الزواج على جدران معابد الكرنك وأبو سنبل الكبير وتذكر النصوص أن فرعون مصر « رأى - فى إبنه الملك الحيثى - أنها جميلة الوجه كأنها إلهة . . . ولقد وقع جمالها فى قلب جلالته وأحبها أكثر من أى شىء آخر » بل ومنحها الاسم المصرى ماحور نفرو رع . وبهذا أصبح الملكان قلبا واحدا كأخوين وعاشت الدولتان فى سلام ولو إلى حين .

إحتفل رمسيس الثانى بالعيد الثلاثينى (الحب سد) الأول بعد ثلاثين عاما من حكمه وكرره فى العام الرابع والثلاثين - وإحتفل به للمرة الثالثة فى العام السابع والثلاثين من حكمه وظل يحتفل بهذا العيد حتى إحتفل بعيد السد الحادى عشر فى العام الحادى والستين من حكمه ، وهناك إحتمال بأنه إحتفل قبل موته بالعيد الثالث عشر من أعياد السد .

كما نعرف من مناظر معبد وادى السبوع بالنوبة أن ذرية رمسيس الثانى تزيد عن المائة ، وقد يرجع هذا لكثرة زوجاته سواء الشرعيات أو (الثانويات) . ولعل من أشهر أولاده الأمير خع ام واس الذى إهتم بترميم الآثار وكان كاهنا للأله بتاح والأمير مرنبتاح الذى تولى الحكم من بعده .

وقد خلد رمسيس الثانى نفسه بما أقامه من معابد ومقاصير وتماثيل ولوحات فى أنحاء مصر المختلفة . نذكر منها الجزء الأمامى من معبد الأقصر وتكملته لبهو الأساطين بمعابد الكرنك . ومعابده فى كل من أبيدوس والنوبة ولعل من أشهرها معبد أبو سنبل الكبير الذى كرسه لعبادة كل من أمون وبتاح والملك رمسيس الثانى نفسه ومعبد أبو سنبل الصغير الذى كرسه لعبادة الألهة حتحور وزوجته الملكة نفرتارى . هذا بجانب معبده الجنزى الذى شيده فى البر الغربى بطيبة ويعرف باسم الرامسيوم نسبة إليه . ولم يكتفى رمسيس الثانى بكل هذا بل إغتصب العديد من التماثيل وخلد اسمه عليها .

حفر رمسيس الثانى مقبرته فى وادى الملوك وإن لم يعثر بداخلها على مومياءه التى وجدت فى خبيئة الدير البحرى وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى أما زوجته نفرتارى فقد دفنت فى مقبرتها الشهيرة بوادى الملكات بطيبة الغربية .

الملك مرنبتاح من ١٢٣٦ إلى ١٢٢٣ ق.م

هو الأبن الثالث عشر للملك رمسيس الثانى وذلك طبقا لقائمة أسماء أبناء رمسيس الثانى التى نقشت على أحد جدران معبد الرامسيوم . ويبدو أن أخوته الأثنى عشرة الأكبر منه سنا قد ماتوا فى عهد أبيهم . فتولى العرش بعد وفاة رمسيس الثانى وأصبح ملكا على مصر .

بدأ حياته بإرسال شحنات من الحبوب إلى الحيثيين عندما أصابهم القحط وهددتهم المجاعة وذلك وفاء للمعاهدة التى أبرمها والده معهم . جنح مرنبتاح إلى سياسة الدفاع عن أرض مصر وحدودها أولاً ثم الدفاع عن اطراف

الأمبراطورية ، ثانيًا على أن الخطر الذى كـان يهدد مصر فى عهده لم يكن من الشـرق أو من الجنـوب بل أتى هـذه المرة من الـغرب مـن ليبـيا . فقـد بدأت هجرات القبائل من شـمال أفريقيا ومن الصحراء الغربية تـتجه إلى حدود مصر الغربية بنساؤهم وأطفالهم للبحث عن الطعام وذلك بسبب القحط الشديد الذى ألم ببلادهـم وقد أتوا بقيادة - « مـرى » رئيس قبيلة الـليبو (ليبـيا) وقد أتى ومعه أولاده وزوجاته الأثنـى عشر وقد يدل هذا على نية الاسـتيطان فى وادى النيل ، ولهذا إضطر الملك مرنبتاح فى العام الخامس من حكمه أن يرسل حملة عسكرية للدفـاع عن حدود مصر الغربية وذلك بعد أن أعد لهـم جيشا قويا من المشاة والمركبات الحربية فأستطاع فـى معركة الست ساعات من أن يقتل ٦٠٠٠ وأن يأسر ٩٠٠٠ وكانت هذه الهزيمة القاسيـة عقابا لهم وردعا لأمثالهم . وقد ذكرت النقوش المصريـة التى ترجع لعهده تفاصيل هذا الـقتال على أحد جدران معابد الكرنك ، وقد أمـر مرنبتاح بإستغلال ظهر لوحة حجـرية من عهد الملك أمنحوتب الثالث ليسجـل عليها أن الخـــراب قـد حـل بالتحنـو (= ليبيا) وأن « **إسرائيل قد خربت وزالت بذرتها** » وهذه هى المرة الأولى الـتى يذكر فيها اسم إسرائيل على لوحة مصرية .

مات مرنبتاح ودفن بـقبره بوادى الملوك ، وقد عثر على مومـياءه فى مقبرة أمنحـوتب الثانـى التى إستـخدمت بعـد ذلك كمقـبرة جماعـية لمجموعـة من مومياوات الملوك لحمايتها .

بعد موت مـرنبتاح حدثت هـزة عنيفة فى مصـر وتولى بعده مجـموعة من الملوك لانعرف ترتيبهم على وجـــه التحـــديد إلا أن الآراء تتجه الآن إلى أن

« **أمون مس** » قد إغتصب الحكم لنفسه وحكم فترة تصل إلى خمس سنوات ودفن في قبره بوادى الملوك . ثم تولى الحكم بعده إبن لمرنبتاح هو الملك سيتى الثانى وحكم سبع سنوات وترك لنا بجانب قبره فى وادى الملوك مقصورة فى الفناء الأول بمعابد الكرنك . وكانت زوجته « تا - وسرت » هى اليد المحركة لشئون الدولة فى عهده ، وبعد وفاته إستطاع « سى - بتاح » - الذى يحتمل ان يكون إبنا للملك سيتى الثانى من زوجة ثانية - أن يتولى الحكم ويحتمل أن تاوسرت شاركته فى الحكم الفترة التى عاشها والتى إستمرت سبع سنوات بعد ذلك إنفردت **تاوسرت** بالحكم لمدة عامين . وقد إتخذت - كما فعلت حتشبسوت من قبل - الألقاب الملكية ، كما إصطفت مثلها أحد رجالها المدعو « باى » الذى ربما كان سورى الأصل . وقد شيد مقبرته بجانب مقبرتها بوادى الملوك . وبوفاة تاوسرت عام ١٢٠٠ ق.م تنتهى الأسرة التاسعة عشرة .

مشكلة فرعون الخروج :

وقبل أن نترك أيام حكم هذا الملك يحسن بنا أن نشير إشارة عابرة إلى موضوع كثيراً ما نصادفه مقرونا بإسم هذا الفرعون وهو موضوع خروج بنى إسرائيل من مصر ، فمنذ العثور على إسم إسرائيل على لوحة إنتصاراته إعتقد الكثيرون أن الخروج حدث فى عهده ، ولكن هذا الرأى لم يجد سندا من التاريخ وظلت الآثار المصرية على صمتها تجاه هذا الأمر .

ولكن تحقيق هذا الموضوع من تاريخ العبرانيين وإحتساب الزمن ثم ما جاء من نتائج التنقيبات الأثرية فى فلسطين جعل خروج بنى إسرائيل فى عهد «مرنبتاح» أمر غير مؤكد ويجب أن يكون فى عهد الأسرة ١٨ ، ولهذا نرى

كثيراً من أسماء الفراعنة تتردد فى الأبحاث المختلفة فبعض الباحثين يرى أن فرعون الخروج كان « تحتمس الثالث » وبعضهم يرى أنه كان إبنه « أمنحوتب الثانى » كما أن هناك من يقول أنه كان « أمنحوتب الثالث » ، ووصل الأمر ببعضهم إلى القول بأن خروجهم من مصر كان على أثر موت إخناتون وحاولوا أن يربطوا بين خروجهم وثورة إخناتون الدينية .

بل ظهر رأى آخر وهو أن خروج بنى إسرائيل من مصر لم يكن فى عهد « مرنبتاح » وإنما كان قبله بنحو ٤٠٠ سنة إذ كان فى عهد الهكسوس . . وكل ما نستطيع أن نؤكده أنه لم يظهر فى الآثار المصرية أو الآثار الفلسطينية ما يحدد وقت الخروج تحديداً تامًا ، وسيظل هذا الموضوع مفتوحا للمناقشة حتى ظهور أدلة جديدة ، ومع ذلك فما زال للرأى القائل بخروجهم من مصر أيام « مرنبتاح » أنصار كثيرون من بين علماء الدراسات التورانية [١] .

(1) Unger, Archaeology and old Testament, Michigan , 1945.
- أحمد فخرى ، المرجع السابق ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .
- بيومى مهران ، مصر ، ج ٣ ، من ص ٤٤٥ ، إلى ص ٥١٠ .

الأسرة العشرون
من ١٢٠٠ إلى ١٠٨٥ ق٠م

الملك رمسيس الثالث من ١١٩٨ إلى ١١٦٦ ق٠م

لانعرف كيف إنتقل الحكم من الأسرة التاسعة عشرة إلى الأسرة العشرين . ولانعرف ما الذى حدث بعد وفاة الملكة تاوسرت ولكننا نعرف - من الوثائق - أن **ست نخت** قد أسس الأسرة العشرين ، ويبدو أنه كان أحد كبار الضباط فى هذه الفترة ، فإغتصب العرش لنفسه ولعائلته من بعده وقد حكم فترة تصل إلى عامين توفى بعدها ودفن فى مقبرة تاوسرت التى إغتصبها لنفسه لتكون مقره الأبدى .

تولى بعده الحكم إبنه رمسيس الثالث الذى يعتبر آخر فراعنة مصر العظام وقد جلس على عرش مصر فى فترة كانت مصر فى أشد الحاجة لإبن من أبناءها الأقوياء لحمايتها من زحف الغزاه وإتخذ رمسيس الثالث من رمسيس الثانى مثلاً أعلى له فأخذ يحاكيه فى إسمه ولقبه وفيما شيده من معابد وما عليها من مناظر بل وأطلق إسمه على أولاده تيمنًا به .

بدأ رمسيس الثالث سنيه الأولى بحماية أرض مصر من الأخطار التى تهددها ، إذ بدأت هجرات من شعوب البحر والشعوب الليبية تزحف على مصر فإضطر رمسيس الثالث فى **العام الخامس** من حكمه أن يصد بجيوشه هذه الهجرات الليبية التى حاولت من قبل الأستيطان فى مصر فى عهد مرنبتاح

(1) - Erichsen , Papyrus Harris , I, B. A. , V, 1933 .

الذى هزمها شر هزيمة . فقد حاولت هذه الشعوب الليبية فى عهد رمسيس الثالث أن تواصل زحفها إلى الدلتا بل وخربت بعض مدنها . وقد تمكن رمسيس الثالث من أن يوقف زحفها ويقضى عليها ويقتل ١٢٥٣٥ منهم وقد ترك رمسيس الثالث تفاصيل هذا القتال بالكلمة والصورة على جدران معبده الجنزى بمدينة هابو بطيبه الغربية .

وفى العام الثامن من حكمه قام رمسيس الثالث على رأس جيوشه البرية والبحرية للدفاع عن مصر وحمايتها من شعوب البحر التى نزلت من أسيا الصغرى وجزر بحر إيجه فاجتاحت مملكة الحيثيين وقضت عليهم وكانت هذه الهجرات تتكون من شعوب مختلفة أهمهم شعب البلست الذى ميز كل منهم ريشة على رأسه وشعب الثكر الذى لبس كل منهم خوذة ذات قرنين . وقد إستمروا فى زحفهم فخربوا شاطىء مملكة أمورو وقضوا على النفوذ المصرى فى سوريا ثم وصلوا بعد ذلك إلى فلسطين ومنها بالبر والبحر إلى مصر . فقد فضل البعض منهم الطريق البرى فسلكوه بعرباتهم الحربية التى تجرها الجياد ثم يتبعهم نساؤهم وأطفالهم بعربتهم التى تجرها الثيران ، وفضل البعض الآخر الطريق البحرى . فركبوا سفنهم حتى وصلوا إلى مصابات نهر النيل . وقد إستطاع رمسيس الثالث بخططه أن ينتصر عليهم براً وبحراً ، فقد إستطاع الجيش المصرى فى ذلك الوقت من أن يقضى على تجمعات العدو .

وإن كانت النقوش المصرية قد ذكرت المعركة البرية بإيجاز فقد أفاضت سواء بالكلمة أو الصورة فى تفاصيل المعركة المائية التى نشاهدها على أحد جدران معبد مدينة هابو ولعل مناظر هذه المعركة تعتبر الأولى من نوعها التى

تمثل المعارك المائية فى تاريخ الحضارة المصرية [1] . وبهذا إستطاع رمسيس الثالث من أن ينقذ مصر من خطر داهم كان أن يقضى عليها وفى **العام الحادى عشر** من حكمه إضطر رمسيس الثالث أن يقوم على رأس جيشه للقضاء على الليبيين بزعامة «مششر» الذين وصلوا إلى الفرع الكانوبى للنيل بنساؤهم وأطفالهم ، فقضى على ٢١٧٥ منهم وأسر ٢٠٥٢ كما إستولى على كل مامعهم من الماشية .

أما عن الحالة الداخلية فى مصر فنعرف تفاصيلها من نتائج الحفائر ومن بردية هاريس رقم (١) المحفوظة الآن بالمتحف البريطانى والتى ترجع لعهد رمسيس الثالث هذه البردية توضح لنا ماوصلت إليه الحالة الاقتصادية فى مصر ونصيب معابد الآلهة منها . إذ نعرف أن مجموع ما إمتلكه معبد آمون من أراضى زراعية وصل إلى ١٠ ٪ من مجموع الأراضى فى حين أن نصيب جميع الآلهة الأخرى لايزيد عن ٥ ٪ من هذه الأراضى . فقد كان يتبع معبد آمون فى طيبه بمفرده ٨٦٤٨٦ خادمًا و ٤٢١٣٦٢ رأسًا من الماشية كبيرها وصغيرها وكان عدد الأرغفة التى تقدم فى الأعياد ٢٨٤٤٣٥٧ والطيور ١٢٦٢٥٠ كما كان يمتلك مناجم للذهب والفضة هذا فضلاً عن العديد من المصانع التى تنتج له . وقد يوضح هذا مدى ما وصل إليه نفوذ كهنة آمون فى عهد رمسيس الثالث [2] .

إنتهت حروب رمسيس الثالث بإنتهاء العام الحادى عشر من حكمه ونعرف

(1) - Nelson, " The Naval Battle Picture at Medinet Habu " , JNES , 2, 1943, pp, 45 - 4 .

(2) - Erichsen, Papyrus Harris , I, B. A. , V, 1933 .

من نتائج الحفائر التى قامت فى مدينة العمال المعروفة باسم دير المدينة بالبر الغربى بطيبة صورة واضحة للحياة الاجتماعية للعمال الذين قامت على أكتافهم أغلب ماشيد من معابد ومقابر فلقد سكن هذه المنطقة فئة من الفنانين والنحاتين والحجارين والعمال بوجه عام الذين عملوا إبتداء من الدولة الحديثة وعلى وجه الخصوص فى الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين فى خدمة الجبانة حيث توجد مقابر الملوك والأشراف . ونعرف من الأعداد الوفيرة من الأستراكا التى عثر عليها وما سجل عليها من نصوص . صوراً من حياتهم وشكاواهم بل وإضرابهم عندما تأخرت رواتبهم الشهرية من التموين الذين يعيشون عليه . ولعل أخطر من هذه المؤامرة التى ذكرتها أكثر من بردية والتى قامت بها بعض من نساء القصر بإشراف الملكة تى للقضاء على رمسيس الثالث وتولية إبنها بنتاورت على عرش مصر . وقد وصلت أخبار هذه المؤامرة إلى رمسيس الثالث الذى أمر بمعاقبة الملكة تى وكل من إشترك معها من نساء القصر ورجال القصر . ورغم ذلك كله فإنصافا للرجل يجب ألا ننسى أنه كان فى صدر أيامه آخر الملوك العظام الذين حاربوا ولم يفرطوا فى الأمبراطورية ، وكان أيضًا آخر البنائين الذين تركوا آثار خالدة على الدهر ، وكان أيضًا آخر الرجال المحترمين فى مصر القديمة .

إستمر رمسيس الثالث يحكم فترة ٣١ سنة ، إستطاع فى خلالها من أن يشيد العديد من المبانى لعل أهمها هو المعبد الذى شيده للإله آمون رع جنوب الفناء الأول من معابد الكرنك وهو من الناحية المعمارية يعتبر المعبد النموذجى لمعابد الآلهة فى الدولة الحديثة فهو يتكون من صرح يليه فناء مفتوح ثم بهو للأعمدة وأخيراً قدس الأقداس المكون من ثلاثة حجرات لثالوث طيبة المقدس

الإله أمون الأب والألـهة موت الأم والأله خنسـو الإبن . هذا بجانب مـعبده الجنزى الشهير بمدينة هابو ونعرف مـن النقوش التى وجدت على محاجر الحجر الرملى بمنطقة جبل السلسلة (شمال كوم امبو) أن الملك أرسل فى عامه الخامس ٣٠٠٠ رجل لقـطع نقل الأحجار الـلازمة لهذا المعـبد . وقد إحتفل رمـسيس الثالث أغلب الظـن بعيده الثلاثينى الأول ومات فى العـام الحادى والثلاثين من حكمه ودفن بمقبرته بوادى الملوك .

خلفاء رمسيس الثالث :

أتى بعد الملك رمسـيس الثالث ثمانية ملوك ، إتخذوا جـميعًا إسم رمسيس إبتداءًا من الرابع حتى الحادى عشر وإختلفوا فى فترة حكم كل منهم وتشابهوا فى ضعفـهم وخضوعهم لـكهنة الأله أمون . ولهـذا فضلوا الإقامة فـى الدلتا للبعد عـن نفوذ الكهنة فى طـيبة وقد إستمر حكـمهم جميعًا ثمانـين عاما وقد لاحظنا أن بدايـة ضعف السلطة الملكـية وإنهيار الحالة الاقتصـادية وزيادة نفوذ كهنـة الأله أمون كان واضحًا فى الـسنوات الأخيرة مـن حكم رمسيس الـثالث وبدأت الأمـور تسيـر من سـيىء إلى أسـوأ إلى أن إغتـصب الـعرش **رمسيس الرابع** وظل يحكـم ست سنوات حاول فيهـا أن يحسن حالة البـلاد وأن يقيم المنشآت الدينية وغيرها ، إذ تذكـر نقوش محاجر وادى الحمامات أنه أرسل فى العام الثالث من حكمه بعثة مكونة من ٨٣٦٨ رجل إلى هناك لإحضار الأحجار اللازمة لهـذه المنشآت ولم يطل بـه العمر ليتـابع إقامتها ودفن فـى قبره بوادى الملوك ولعل شهرة المقبرة الملكية لرمسيس الرابع ترجع إلى أنه عثر على تخطيط معمارى لها ، موضح عـليه الإصطلاحات الهندسية بالخط الهـيراطيقى مسجلاً على بردية محفوظة الآن بمتحف تورين .

تولى الحكم بعده **رمسيس الخامس** وقد حكم فترة أربع سنوات فقط ، ونعرف من بردية ولبور Wilbour أنه تم فى العام الرابع من عهده مسح شامل لأراضى مصر الزراعية إبتداء من الفيوم حتى المنيا بمصر الوسطى وتذكر البردية أن أغلب هذه الأراضى كانت تتبع معابد الآلهة وبالتحديد معبد آمون فى طيبة كما أوضحت البردية الهيكل الأجتماعى ونظم الضريبة الزراعية فى هذه الفترة من تاريخ مصر كما نعرف أيضًا أن الكاهن الأول لأمون فى الفترة من رمسيس الرابع حتى السادس كان «رمسيس نخت» وكان والده هو المسئول عن الضرائب وتحصيلها فى مصر . وقد حفر رمسيس الخامس مقبرته فى وادى الملوك .

جاء بعده **رمسيس السادس** وحكم ٧ سنوات وإغتصب مقبرة رمسيس الخامس وأضاف إليها ولعل مايميز هذه المقبرة فى مناظرها ونقوشها التى تعطينا فكرة عن تصورات هذا العصر عن الحياة فى العالم الآخر بآلهته وجناته وجحيمه والمقبرة محفورة بالقرب من مقبرة توت عنخ آمون بوادى الملوك .

ولا نعرف كيف استطاع رمسيس السادس من أن ينتهى من إنجازها على الرغم من ضخامتها وأن يأمر برسمها ونقشها وتلوينها حتى ظهرت رائعة فريدة فى أسلوبها كل هذا فى فترة السبع سنوات التى حكمها رغم سوء الحالة الأقتصادية الواضح فى مصر . ثم تبعه ملك ضعيف آخر هو الملك **رمسيس السابع** وحكم عامين ثم تولى **رمسيس الثامن** الذى استمر حكمه ست سنوات وللآن لم يعثر على قبره فى وادى الملوك .

خبيئة الدير البحرى :

جلس على عرش مصر بعد ذلك الملك رمسيس **التاسع** وإستمر يحكم

أكثر من عشرين عامًا ولعل شهرته ترجع للبرديات التي تتحدث عن سرقات مقابر الملوك التي حدثت في عهده [1] . وقد وصل الفساد الإدارى ذروته في العام السادس عشر من حكمه وبدأت العصابات في طيبة تتجه لسرقة المقابر وما بها من ذهب وفضة ولم تسلم مقابر فراعنة مصر العظام أمثال أمنحوتب الثالث وسيتى الأول ورمسيس الثانى من عبثهم . وبدأ الناس يفقدون إيمانهم بآلهتهم وبملوكهم وحكامهم . إذ تسجل إحدى هذه البرديات كيف أن «باسر» عمدة مدينة الأحياء الممثلة في الضفة الشرقية لطيبة تقدم بتقرير للوزير «خع أم واست» الذى كان ينوب عن الملك رمسيس التاسع يبلغه فيه عن السرقات التى تحدث في مدينة الموتى (الضفة الغربية لطيبه) تحت سمع وبصر عمدتها «باروعا» فأمر الوزير بتشكيل لجنة للتأكد من صحة ما جاء بالتقرير . وقد سجلت هذه اللجنة النتائج التى وصلت إليها على أكثر من بردية لعل أهمها هى بردية «أبوت» التى أبقاها لنا الزمن لنعرف منها تفاصيل هذه السرقات وما تم بخصوصها فقد إعترف اللصوص بإنتهاكهم لقدسية مومياوات فراعنة مصر كبيرهم وصغيرهم مما إضطر ملوك الأسرة الحادية والعشرين من الكهنة أن ينقلوا - سراً بعض مومياوات فراعنة الدولة الحديثة لحمايتها من عبث اللصوص إلى أكثر من مخبأ . فنقلوا ١٣ مومياء إلى مقبرة أمنحوتب الثانى ثم إختاروا مقبرة لم تتم بالدير البحرى ووضعوا فيها ٤٠ مومياء أخرى وهى مايطلق عليها اصطلاحا خبيئة الدير البحرى .

وظلت مومياء الملوك في مخبأها إلى أن تم التوصل إلى مومياوات الدير

(1) - Peet , The Gret Tombberies Of The 20 th Dynasty , Oxford , 1930 - Capart - Gardiner, JEA, 22, 1936, pp. 186 - 189 .

البحرى وإلى المومياوات المختبئة في مقبرة أمنحوتب الثانى وهم جميعًا الآن بصالة المومياوات بالمتحف المصرى [1] .

عرفنا كيف أن الأزمة الأقتصادية بدأت تطحن فى البلاد فى نهاية حكم رمسيس الثالث وإستمرت وإزدادت فى عهد من تبعوه من الرعامسة حتى بدأ العمال ينفجرون من قسوة الحياة إذ إرتفعت أسعار الحبوب إلى خمسة أمثالها. وفى هذه الفترة جلس **رمسيس العاشر** على عرش مصر وحكم ٨ سنوات ونعرف أن الجوع فى عهده قد أنهك العمال مما جعلهم يضربون عن العمل وكانت الخطوة الثانية أن عبروا النيل ليقدموا شكواهم إلى رئيس كهنة آمون الذى رفض الشكاوى لعدم الأختصاص كما وضح أنه ليس فى استطاعته إعطائهم من الحبوب الخاصة بالمعبد ليدفع عنهم غائلة الجوع ، ولكنهم لم يتحركوا من أماكنهم حتى صباح اليوم التالى مما إضطر رئيس الكهنة أن يرسل أحد كبار موظفيه مع نائب مدير الشونة الملكية قائلاً : «إذهبوا إلى غلال الوزير وأعطوا رجال الجبانة مؤونتهم منها» .

كان الملك **رمسيس الحادى عشر** هو آخر ملوك الأسرة العشرين وقد إستمر حكمه ٢٨ سنة وقد إزدادت فى عهده قوة ونفوذ وجرأة كبير كهنة آمون الكاهن أمنحوتب الذى تولى هذا المنصب بعد وفاة والده الكاهن رمسيس نخت. وقد حاول الكاهن أمنحوتب بعد أن تكسدت بين يديه ثروة البلاد وإزداد نفوذه وكثر أتباعه أن يقوم بإنقلاب ولكنه أجهض فى وقته بمعاونة نائب الملك فى كوش المدعو «بانحسى» وقضى على أمنحوتب وتولى بعده **حريحور**

(1) Maspero, Les Momies Royales de Deir - el - Bahari (M. A. F.C.I) , 1889 .

منصب كبير كهنة آمون وكان هذا فى العام التاسع عشر من حكم الملك رمسيس الحادى عشر . ويبدو أن حريحور بدأ حياته فى سلك الجندية وترقى فيها إلى أن وصل إلى منصب «قائد جيوش مصر العليا والسفلى» ثم أصبح «نائب الملك فى النوبة» وتابع طموحه فوصل إلى منصب وزير وأخيراً حقق أمنيته وأصبح رئيس كهنة آمون فى طيبة وذلك بعد موافقة كل من الإله آمون والإله خنسو على ترشيحه فى هذا المنصب . وتجرأ حريحور - كما تشهد بهذا مناظر معبد خنسو فى منطقة معابد الكرنك - أن يسمح لنفسه أن يصور فى نفس مرتبة الملك وبحجمه بل نراه يلبس تاج الوجهين ويعتبر نفسه ملكًا فى طيبة على الأقل وأمر بوضع إسمه داخل الخرطوش الملكى وإضافة الألقاب الملكية بل وأطلق على فترة حكمه إصطلاح «عصر النهضة» وأخذ يؤرخ الحوادث طبقًا لهذا العصر ورضى رمسيس الحادى عشر بالأمر الواقع مغلوبًا على أمره . وتنتهى الأسرة العشرون وبالتالى عصر الدولة الحديثة .

✍ ✍ ✍

الفصل التاسع

الفترة الانتقالية الثالثة

من ١٠٨٥ إلى ٦٦٤ ق.م.

الفصل التاسع

الفترة الانتقالية الثالثة

من ١٠٨٥ إلى ٦٦٤ ق . م .

تشمل الفترة الأنتقالية الثالثة الأسرات من الحادية والعشرين إلى نهاية الرابعة والعشرين وهي الفترة التى فصلت بين آخر عصر الرعامسة وعصر النهضة الأثيوبية فى الأسرة الخامسة والعشرين وقد إستمرت هذه الفترة أكثر من أربعة قرون ، سادها الضعف والأضمحلال والتنازع على السلطة وفقدت مصر نفوذها فى الخارج .

الأسرة الحادية والعشرون من ١٠٨٥ إلى ٩٤٥ ق.م.

تولى الحكم بعد وفاة رمسيس الحادى عشر الملك **سمندس** وأسس الأسرة الحادية والعشرين التى إستمرت مايقرب من ١٤٠ سنة وقد حكم سمندس طبقًا لما جاء بتاريخ مانيتون ٢٦ عامًا . وقد بدأت الأوضاع السياسية فى البلاد تتغير إبتداء من هذه الأسرة فقد فقدت مصر سيادتها فى أسيا وأصبح نفوذها فى النوبة يكاد يكون معدومًا . وهكذا إنكمشت مصر إلى حدودها الطبيعية وفقدت كل إمبراطوريتها . بل وأكثر من هذا فقد كان يحكم مصر بيتان مالكان أحدهما فى تانيس (صان الحجر فى شرق الدلتا) ويحكم منه الملك سمندس الذى كانت له الكلمة العليا فى الدلتا ومصر الوسطى والآخر فى طيبة التى إعتبرت طوال عصر هذه الأسرة عاصمة - من الناحية العملية - لمصر العليا ويحكم منه كبير كهنة آمون الملك **حريحور** .

وتـذكر النقوش الـتى ترجع لعـهد سمندس بـأنه أرسل ٣٠٠٠ رجل إلى محاجر منطقة الجبلين بمصر العليا وذلك لإحضار الأحجار اللازمة لترميم المعابد والمنشآت الدينيـة والجنزية فى مدينة الأقصر . إنتقل العـرش بعد وفاة سمندس إلى الملك **بسـوسينس الأول** الذى إستـمر عهده نصـف قرن بالتقـريب فى تانيس . وفى طيبة كان خلـيفة حريحور هو إبنه **بعنخى** الذى فضل الأحتفاظ باللقبين الكهنوتى ونائب الملك فى كوش وتنازل عن الألقاب الملكية ولم يسمح بوضع إسمه داخل الخرطوش الملكى وقد إستطاع بسوسينس الأول من أن يوثق العلاقات الودية بين البيتين الحاكمين فـى تانيس وطيبة وذلك بزواج إبنته ماعت كارع من أكبـر أولاد الكاهن بعنـخى المدعو **بانجم** وهو الـذى خلف أبيـه فى وظيفة الكاهن الأكبر لأمون بل وأعلن نفسـه ملكًا على طيبة كما فعل حريحور من قبل . وبعد وفاته تولى إبنه «مـاساهرتا» ومن بعده أخوه «من خبر رع» فى وظيفة الكاهن الأكبر لآمون .

وفى تانيس تولى الحكم بعد المـلك بـوسينس الأول ملك يدعى **نفركارع** وجـاء بعده الملك «**آمـون أم أبت**» وتنتهـى الأسرة بحكم الملك **بسوسينس الثانى** . وقد وفق الأثـرى مونتيـه فى الكشـف عن مقابـر بعض ملـوك هذه الأسرة فى تانيس .

وهكذا ظلت مصر طوال هذه الأسرة تحكم من بيتين منفصلين أحدهما فى تانيس والآخر فى طيبة ولم تثبت الوثائق حتى الآن أى صدام بينهما .

ويبقـى فى هذه الأسرة الإشـارة إلى رحلة الكـاهن «ون آمون» إلى لـبنان وهى تعطينا صورة واضحة عن إنهيار نفوذ مصر فى أسيا فى هذه الفترة .

ون آون :

كلف حريحور الكاهن ون آمون بالذهاب إلى لبنان لإحضار أخشاب الأرز اللازمة للمركب المقدس للإله آمون ، فسافر ومعه القليل من الأوانى الذهبية والفضية وتمثال للأله آمون ليتبارك به ويسهل له مهمته . فلما وصل إلى تانيس أبلغ سمندس بتكليف حريحور ، فساعده فى السفر فوق ظهر سفينة تجارية سورية . وفى الطريق إستطاع أحد البحارة من شعب «الشكر» سرقة بعض الأوانى الفضية التى كان يحتفظ بها ون آمون ليقدمها هدية إلى أمير جبيل (بيبلوس) نظير خشب الأرز . وعندما وصلوا إلى مدينة صور تقدم بشكوى إلى أميرها الذى كان من شعب «الشكر» أيضًا ليعيد إليه مسروقاته ولكن الأمير تاسف بأن لاسلطان له على السفن الأجنبية التى تقف فى مينائه . وفى أثناء سفره بالبحر من صور إلى جبيل وجد ون آمون كيسابه ٣٠ دبن (الدبن = ٩١ جرام) من الفضة تخص أحد أفراد الشكر فأخذها لنفسه حتى يعيدوا إليه ماسرقوه منه . وعندما وصل إلى جبيل تقدم إلى أميرها «ذكر بعل» بشكوى طالبًا حمايته وإسترداد ماسرق منه . ولكن الأمير رفض مقابلته بل وطلب منه مغادرة الميناء . وظل الحال على هذا ٢٩ يومًا إلى أن إستطاع بعدها ون آمون أن يقابل أمير جبيل الذى سأله عن مهمته فأوضح له «**لقد جئت فى طلب الخشب اللازم لسفينة آمون رع ملك الآلهة ، لقد فعل أبوك ذلك وفعل جدك من قبله وستفعله أنت أيضًا**» فتهكم الأمير عليه وطلب منه أثمان هذه الأخشاب وأفهمه أنه ليس تابعًا لمصر وأنه ليس هناك ما يجبره على إرسال هذه الأخشاب دون دفع ثمنها . وأخيراً وصل ون آمون معه إلى إتفاق

بأن يرسل رسول إلى الملك سمندس وهو كفيل بدفع ثمن هذه الأخشاب فوافق أمير جبيل وأعطاه مايريد من أخشاب الارز .

إن قصة ون آمون تعطينا صور مختلفة تمامًا وتشير إلى إنهيار نفوذ مصر فى تلك البلاد وتوضح أن الوقت قد إنتهى الذى كان يأتى فيه أمراء دول غرب آسيا يسجدون فيه لملك مصر ليمنحهم نسيم الحياة .

الأسرات ٢٢ - ٢٤

من ٩٤٥ - ٦٦٤ ق . م .

الليبيون :

إستقر الليبيون فى شمال الصحراء الغربية ، وكانوا يعيشون على الرعى ، ويعتقد بعض العلماء أنه كانت لهم بعض الصفات الجنسية للمصريين القدماء ، الذين عاشوا فى الدلتا فى العصر الحجرى الحديث ، وتؤكد الآثار المصرية أن علاقة مصر بالليبيين ، لم تخلو من المصادمات منذ أوائل الأسرة الأولى الفرعونية على الأقل ، ولعل السبب فى ذلك هو فقر بلادهم الذى إضطرهم إلى محاولة التسلل إلى وادى النيل ، لسهولة الحياة فيه نسبيًا . وقد حارب الملك «حورعحا» الليبيين فى شمال غرب الدلتا ، وتبعه الملك «جد» من ملوك الأسرة الأولى أيضًا ، كما توضح المناظر التى على جدران معبد «ساحورع» من الأسرة الخامسة إنتصاره عليهم ، وقد تكررت هذه المناظر بعد ذلك على جدران المعبد الجنزى للملك «بيبى الثانى» من الأسرة السادسة .

وفى الدولة الوسطى يقص علينا سنوهى أن الملك أمنمحات قد أوفد جيشًا إلى أرض ال «تمحو» (أى أرض الليبيين) ، وكان بقيادة إبنه الإله الطيب سنوسرت ، « الذى عاد ومعه أسرى «تحنو» (إسم آخر لليبيين) وجميع أنواع الماشية التى لاتحصى» .

وفى الدولة الحديثة نشاهد مناظر ردع الليبين فى معابد الكرنك يقوم بها سيتى الأول ، ونراها فى بيت الوالى وأبى سنبل ويقوم بها رمسيس الثانى .

وتتحـدث النصوص المتـأخرة عن الإلهة «نـيت» الليـبية فى سايـس وعن الأله حورس الليبى على الحافة الغربية للـدلتا ، والسبب فى ذلك هو إستيطان بعض القبائل الليبية هذه المنطقة ، وكـان من عادتهم عمل وشم على أذرعتهم ، يمثل رمز الألهة «نيت» تيمنًا بها .

وقد أطلق المصريون على الليبيـين إسم ال «تحنو» فى الدولة القديمة وظهر إبتداء من الأسرة الـسادسة أقوام آخرون عرفوا باسم «تمحـو» ، وكان المقصود بهم الجنود الليبيون وبعض سكان شمال الصحراء الغربية ، وقد تميزوا بعيونهم الزرقاء وبشرتهم البيضاء وشعرهم المائل للحمرة . وكان المحاربون منهم يضعون ريشتين فـى شعر رؤوسهم ، كمـا كانت لهم لحى مـدببة الطرف ، وفى نـهاية الأسرة الـثامنـة عشرة ظهـرت قبيـلة أخرى عـرفت باسم مـاشوش وفى عـهد «مرنبتاح» إتحـدت القبائل تحت زعامة قائـدهم «مرى» زعيم قبيـلـة «ليبو» (وهو الأسم الذى اشـتق منه إسـم ليبيا الحـالى) وتجمعوا بـالقرب من حـدود مصر الغربية ولهذا إضطر مـرنبتاح بالقيام بحملة لحماية حدوده الـغربية وهزمهم شر هزيمة وقد إستمرت معهم الحروب فى عهد رمسيس الثالث .

بدأ الليبـيون بعد ذلك يدخلون مـصر فى هجرات فردية أو كجـنود مرتزقة وبدأ عددهم يزداد وأخـذوا يفسحون الطريق لأبـناء بلدتهم للعـمل فى مصر ، وبذلك نالوا بالسلم ما لم ينالوه بالحرب .

وقد تمكن الماشوش من أن يصبحوا قادة فى الجيش أو من كبار الكهنة وقد إستطاع زعيمهم «شاشانق» الذى كان يحمل لقب «رئيس ما الكبير» أى رئيس الماشوش الكبير من أن يخطط للأستيلاء على عرش مصر بدون سفك الدماء .

فتمكن من أن يزوج إبنه الأمير «وسركون» إلى الأميرة «ماعت كارع» إبنه بسوسينس الثانى آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين وبهذا وطد شاشانق علاقته بالبيت المالك . وتولى عرش مصر بعد وفاته وأسس **الأسرة الثانية والعشرين** .

ولم يعتبر المصريون بأن هذا الحاكم الجديد يمثل سيطرة أجنبية ، فقد تمصر الليبيون وإستقرت جاليتهم فى أهناسيا والفيوم وتمركز البعض منهم فى تل بسطة (الزقازيق) الذى إتخذها ثانى ملوك هذه الأسرة عاصمة له ولعل هذا هو السبب الذى دعى مانيتون من أن يطلق على ملوك هذه الأسرة «ملوك بوباسطة» .

تمصر الليبيون وتبنوا العادات والتقاليد المصرية وإعتنقوا ديانة المصريين القدماء وآمنوا بها بل بالغوا فيها أحيانًا . فنجد أن شاشانق - قبل ولايته لعرش مصر - يطلب من بسوسينس الثانى أن يسمح له بدفن والده «نمرود» فى الجبانة المقدسة بأبيدوس طبقًا للطقوس المصرية فيحقق له الملك هذه الرغبة ثم يشيد شاشانق مقصورة جنزية لوالده ويأمر بوقف أراضى زراعية للصرف عليها وتعيين حراس لحمايتها .

أما طيبة - الدولة الكهنوتية - فترددت بالتسليم بسلطان شاشانق ولهذا إضطر الملك الجديد أن يعين إبنه «إيوبوت» فى منصب كبير كهنة الألهة أمون وبهذا أصبحت مصر كلها تحت رايته .

ونعرف من لوحة حجرية عثر عليها فى الواحة الداخلة بأن شاشانق قد أرسل فى العام الخامس من حكمه حملة عسكرية أخرى إلى فلسطين وأخضع

حملة إسرائيل وبهذا إستعادت مصر جانبًا من نفوذها السياسى والتجارى القديم . ومن أهم الآثار التى تركها لنا النقوش التى تذكر تفاصيل حملته فى فلسطين التى أمر بتسجيلها على واجهة مدخل أقامة غرب الصرح الثانى بمعابد الكرنك ويعرف الآن باسم بوابة بوباسطة .

عندما تولى **وسركون الأول** عرش مصر بعد وفاة أبيه شاشانق الأول عين إبنه المدعو شاشانق أيضًا فى منصب كبير كهنة أمون فى طيبة بدلاً من أخيه «إيوبوت» وذلك لكى تظل وراثة العرش فى عائلة وسركون الأول . وفضل الكاهن شاشانق أن يضع إسمه داخل الخرطوش الملكى وأن يعامل معاملة الملوك بل وإستطاع أن يورث منصبه من بعده إلى «إبنه حور - سا - إيزيس» الذى إتبع منهج والده ووضع إسمه داخل الخرطوش الملكى وبهذا تمكن شاشانق الثانى من أن ينقل منصب كبير كهنة أمون إلى أحد أبناءه وليس إلى أحد من أبناء الملك الحاكم كما كان متبعًا من قبل .

وبعد وفاة الملك وسركون الأول إنتقل العرش إلى الملك **تكلوت الأول** ومنه إلى الملك **وسركون الثانى** الذى عين أبناءه فى الوظائف الهامة فى الدولة فأصبح البعض منهم فى وظيفة الكاهن الأول فى طيبة وفى منف وفى تانيس والبعض الآخر أصبح قادة للفرق العسكرية . وعلى الرغم من هذا لم تستقر الأمور فى الدولة وبدأ النزاع يظهر بين الفرعين الحاكمين : الفرع الحاكم فى الشمال والفرع الكهنوتى فى طيبة . مما إضطر وسركون الثانى لإشراك إبنه **تكلوت الثانى** فى الحكم ليضمن له وراثة العرش . وكان تكلوت الثانى قويًا فقد إستطاع - بعد أن إنفرد بالحكم - من أن يفرض نفوذه بالقوة فى كل

من طيبة والدلتـا ، ثم أتى من بعده **شاشانق الثالث** الذى إستطاع بعد كفاح من أن يستبعد الـوريث الشرعى للبلاد وهو الأمير وسركـون ابن الملك تكلوت الثانى .

تعتـمد معلومـاتنا عن هذه الأسـرة على نتـائج الحفائر وعـلى ماخلفـه لنا ملوكها من نقوش ومناظر على جدران مـعابد الكرنك وعلى اللوحات الحجرية التـى وجدت بمدافـن عجول أبـيس (السـرابيوم) فـى سقارة والـتى تدل عـلى إهتمامهم بالعقائد المصرية .

يــذكر مـانيتـون أن مـؤسس الأسـرة **الثالثة والـعشرين** هـو الملـك «**بيوباستس**» (بارى بـاستـت) الذى إستـطاع فـى هذه الـفترة مـن الضـعف والتفكك ، وإزدياد نـفوذ حكام الأقاليم ، والتنازع بين الحـكام وقيام الثورات من أن ينتزع لنفسه العرش ويؤسس أسرة جـديدة مركزها تل بسطة بل وإستطاع أن يفرض نفوذه على غرب الدلتا وذلك فى الوقت الذى يحكم فيه شاشانق فى تانيس وبهذا أصبحت الدلتا تحكم من بيتين حاكمين أحدهمـا فـى تانيس والآخر فى تل بسـطة . أما طيبة - الممـلكة الكهنوتـية فكانت للآن بعـيدة عن أحداث الشمال .

تعتبر الفترة الانتقالية الثالثة مـن الفترات الغامضة المربكة للمؤرخين وذلك لقلة ما خلفته لـنا من آثار ولكثرة تتابع ملوكها وتشابه أسمـائهم ولكثرة البيوت الحاكمة التى كانت تحكم مصر .

ولن نكثر تفاصيل هذه الفترة بـل سنكتفى بذكر أهم حدث فى هذه الأسرة وهو أن الملـك وسركون الثـالث إستطـاع أن يخلع عـلى إبنتـه «شب - ان -

أوبت» الزوجة الألهية لآمـون» أى أصبحت كبيرة لكاهنات طيـبة وتمتعت بنفوذ وتقديس أكبر من نفوذ وقدسية كبيرة لكهنة طيبة .

ساد الضعف والأنهيـار والتنازع إلى السلطان بين قادة الجيـش وكبار الكهنة فى هذه الفترة حتى تمكن بيت ثالث فى الشمال فى صان الحجر فى غرب الدلتا من أن يؤسس **الأسرة الرابعة والعشرين** تحت قيـادة الملك **تف نخت** ، وبهذا أصبحـت تحكم مصر بيت وعائـلات مختلفة ، أحدهمـا فى صان الحجر وآخـر فـى أهناسيا وثالـث فى الأشمونيين ورابـع فى تل بسطة وخـامس فى تانيس ، هذا بالنسبـة للدلتا أما الصعيد فكانت تحكم فيه طيـبة التى كانت بعيدة عن أحداث الشـمال . وقد حاول تف نخت جهـده لتجميع أقاليـم مصر تحت رايته فزحـف إلى مصر الوسطى ولـكنه إصطدم بجـيوش الملك النوبى بـعنخى التى تمكنت من القضاء على هؤلاء الحكام الضعاف وبهذا أنقذ بعنخى مصر من أزمتها وأنهى عصر الفترة الانتقالية الثالثة وأسـس الأسرة الخامسة والعشرين .

الفصل العاشر

العصر المتأخر

من ٧٨٠ إلى ٣٣٢ ق٠م٠

الفصل العاشر
العصر المتأخر
من ٧٨٠ إلى ٣٣٢ ق . م .

يشمل هذا العصر الأسرات من الخامسة والعشرين حتى نهاية التاريخ الفرعونى ، ولعل إختيار إصطلاح العصر المتأخر هنا يشير إلى الأسرات الأحدث أى المتأخرة من حيث الزمن : وإن كان ينطبق عليها أيضًا صفة التأخر من حيث الحضارة .

الأسرة الخامسة والعشرون النوبية (الكوشية)
من ٨٧٠ إلى ٦٥٦ ق . م .

نباتا :

وصلت حدود مصر الجنوبية فى عهد التحامسة إلى مدينة نباتا التى تقوم على سفح جبل برقل عند الجندل الرابع . ومنذ ذلك الحين أصبحت نباتا تحت النفوذ المصرى وقد أقام تحتمس الثالث وغيره من فراعنة مصر هناك المعابد والمبانى ذات الطابع المصرى ولهذا أطلق على هذه المدينة فى الأسرة الثامنة عشرة إسم تحتمس الثالث ثم إشتهرت بعد ذلك بإسم نباتا . وقد تميزت بصبغتها المصرية بل وعبدت هناك آلهة المصريين .

بدأ نفوذ الإله آمون فى طيبة يكبر وقوتهم تظهر وثروتهم تزيد إبتداء من

أواخر الأسرة العشرين ، فحكموا ليس فى طيبة فحسب بل وصل نفوذهم إلى أقصى حدود مصر الجنوبية ، فكانت النوبة تحت سيطرتهم بل وتشبعت بدينهم ولهذا كان للأله آمون السيادة سواء فى طيبة أو فى النوبة . وظل الحال هكذا إلى أن تولى عرش مصر الملك شاشانق الأول فأبعد الكهنة عن قلعتهم طيبة وعين إبنه كبيراً لكهنة أمون . ولهذا يعتقد بعض المتخصصين أنه ابتداء من عهد شاشانق الأول بدأ الكهنة يتجهون بثروتهم إلى الجنوب حيث إستقروا فى نباتا وجعلوا منها مركزاً هامًا لعبادة الإله أمون وخاصة أنها كانت محطة تجارية هامة بين مصر والسودان .

الملك بعنخى : من ٧٤٧ إلى ٧١٦ ق . م .

متى بدأت الأسرة النوبية تحكم فى نباتا ومن هو أول ملوكها بالتأكيد ؟ لانعلم . وإن كنا نعرف بأن هناك ملك يدعى كاشتا ، حاول النوبيون فى عهده الزحف على مصر العليا . كما نعرف أيضًا أن الملك كاشتا إستطاع أن يقنع «الزوجة الألهية لأمون» الكاهنة «شب - ان أوبت» إبنة وسركون الثالث من أن تتبنى إبنته «أمون رديس» لكى ترث هذا المنصب الهام بعدها وبالتالى نفوذها الكهنوتى ثم ثروة أمون .

تولى بعنخى الحكم فى مملكة نباتا بعد وفاة أبيه كاشتا وقد أصبح من القوة بحيث أخذ يتطلع إلى عرش مصر وقد ساعده على ذلك إضمحلال مصر السياسى والتطاحن القائم بين أمراء الأقاليم . فقام بحملة عسكرية على مصر نعرف أخبارها من نص - بأسلوب إنسانى جميل - على لوحة حجرية عثر عليها فى نباتا عام ١٨٦٢ م وترجع للعام الحادى والعشرين من حكمه .

وتقص علينا هذه اللوحة كيف أن بعنخى قد أرسل جيشًا إلى الشمال عندما علم أن «تف نخت» قد فرض حمايته على الأشمونيين وأهناسيا بل وزوده بتعليمات لأحترام قدسية المعابد والتطهر قبل الدخول إلى هياكلها . وقد إستقبل هذا الجيش فى طيبة إستقبالاً كبيراً ثم تابع سيره إلى الشمال فوصل إلى الأشمونيين ومنها إلى أهناسيا وكان النصر حليفه أينما حل . وقد إستطاع حاكم مدينة الأشمونيين المدعو نمرود من الفرار ثم العودة ثانية إلى مدينته فأعاد تحصينها ونظم طريقة الدفاع عنها ولهذا فلم يتمكن جيش بعنخى عند عودته من الشمال من إقتحامها وإكتفى بمحاصرتها . ولم تسعد هذه الأنباء بعنخى فقام بنفسه من نباتا على رأس جيش كبير حتى وصل إلى طيبة وإحتفل هناك مع المصريين بعيد الأوبت ثم تابع مسيرته حتى وصل إلى الأشمونيين فأقام الأبراج العالية التى تعلو أسوار المدينة وظل جنوده يرسلون سهامهم إلى جنود نمرود الذين أنهكهم الجوع . فلم يجد الحاكم نمرود أمامه إلا الأستسلام للملك بعنخى بل وأهداه فرسًا من أحسن خيوله وذلك لعلمه بمحبة الملك النوبى للجياد . فعفى بعنخى عن نمرود وجرده من أمواله وممتلكاته ثم تتبع سيره إلى أهناسيا ومنها إلى منف . وكان تف نخت قد سبقه إليها فحصنها ونظم دفاعها ولهذا قاومته إلى أن إنتصر عليها .

وما أن سقطت منف حتى جاء بقية أمراء طيبة يقدمون فروض الولاء والطاعة للملك بعنخى . بل وإعترف به كهنة عين شمس فرعونًا لمصر ومؤسسًا للأسرة الخامسة والعشرين وإن كان مانيتون قد بدأ هذه الأسرة بأخيه شاباكا لم يجد تف نخت فائدة من مقاومةالملك بعنخى فاستسلم فى بادىء الأمر وطلب المغفرة وقدم له فروض الولاء والطاعة فعفى عنه الملك .

إكتفى بعنخى بالسيطرة على أمراء الأقاليم وترك من يثق فيهم يحكم إقليمه وعاد هو إلى نباتا ليصبح ملكًا على مصر والسودان «جعلنى أمون إله نباتا ملكًا على جميع القبائل . كل من أقول له : أنت ملك يكون ملكًا . وكل من أقول له : لست ملكًا - لايكون ملكًا . وجعلنى أمون إله طيبة ملكًا على مصر . وكل من أقول له لاتتخذ مظهر الملك فهو لايتخذ مظهر الملك . وكل من امنحه رضاى لن تمس مدينته إلا بيدى الآلهة المحليون يصنعون الملوك . والشعب يصنع الملوك . أما أنا فإن أمون هو صانعى» .

إنتظر تف نخت حتى عاد بعنخى إلى نباتا وبدأ يوطد سلطانه مرة أخرى ، فأعطى لنفسه لقب «حاكم الأرضين وسيد مصر العليا والدلتا» وإستمر يحكم فى الشمال فترة عشر سنوات منذ عودة «بعنخى» إلى نباتا .

خلفاء بعنخى

عاد بعنخى إلى نباتا وإستقر هناك حتى وفاته عام ٧١٦ ق.م. ثم جاء أخوه «**شاباكا**» من بعده واصبح فرعونًا على مصر إبتداء من عام ٧١٦ ق.م. بالتقريب وبدأت الأحوال فى أسيا تتغير وبدأت مصر تساعد الدويلات السورية والفلسطينية لكى تستمر فى مناوأة الدولة الأشورية - (وهى دولة كانت تحتل جانبى نهر دجلة وإشتق إسمها من أشور وهو أهم الههم القومى وإسم أقدم مدنهم) وذلك لكى تبعد عنها شبح الحرب معها . وعندما علم الملك الأشورى «تاجلات بيلاسر الثالث» بهذا قام على رأس جيشه وأخمد الثورة فى هذه الدويلات .

بعد وفاة الملك النوبى «شاباكا» عام ٧٠٢ ق.م. تولى الحكم بعده الملك

«ساباتاكا» واستمر ١٢ عاما (من ٧٠٢ إلى ٦٩٠ ق.م) ثم تولى عرش مصر من بعده أخ لـه هو الملك **طاهرقا** الذى حكـم مصر ٢٦ عـاما (من ٦٩٠ إلى ٦٦٤ ق.م.) وأصبح مـن مشاهيـر هذه الأسرة وذلك لما قام به من إنشاءات معمارية فـي مصر والنوبة . إذ نعرف أنـه أقام فى الفناء الأول بمعابـد الكرنك صالة للأساطين تتكون من عشرة أساطـين ضخمة ذات تيجان على شكل زهرة البردى المـفتوحـة ويصل إرتـفاع الأسطـون إلى ٢١ متـر ولم يبـقى منـها إلا الأسطون الضخم المعروف بأسطون طاهرقا كذلك عثر في معبد أمون بمدينة قاوا بالنوبـة على خمس لوحـات حجرية ترجع لـفترة حكمه وتـقص علينا مـاقدمه الملك طاهرقا مـن قرابين إلى الأله آمون سيد «جم أتون» بجـبل برقل . ولعل من الأحداث السعيدة التى تمت فى العام الـسادس من حكمه هو إرتفاع فيضان النيل إلى ٢١ ذراع وذلك نـتيجة لغزارة الأمطار فى الجنوب وقد إعـتبر طاهرقا هذه الظـاهرة دليل على مـحبة الآلهة له . ومـن أشهر رجال الدولة فـى عهده «منتـومحات» الذى تـرك له طاهرقا إدارة الـشئون الداخلـية ووجه نشـاطه هو لحماية مصر من الخطر الخارجى الذى يهددها .

كان المـلك «سنحـريب» هو الـذى يحكـم دولة أشور فى عـهد الفـرعون طاهرقا . وما أن علم بـأن مصر تساعد الدويلات السورية والفلسـطينية بقوات مصريـة ونوبية حـتى سارع بجـيوشه إلى منـطقة الخطـر وإستولى عـلى المدن الساحلية في فلسطين . ثم تابع سيره إلى بيت المقدس حيث تحصن خلفاء مصر هناك فإستعصت عليـه فترك حامية لتحاصرها وتابع بقية جيشـه مسيرته لمهاجمة مصر وحـصلت المعـجزة إذ تفشـى وباء الطاعـون فى جيشـه فعاد إلى نـينوى عاصمة بلاده .

وتولى الحكم بعد «سنحريب» فى أشور الملك «أسرحدون» الذى قام على رأس جيشه للقضاء على مصر حتى يضع حداً لتدخلها المستمر فى شئون مستعمراته فى سوريا وفلسطين فوصل إلى منف عام ٦٧١ ق.م. واستولى عليها وعلى ما بها من ثروات وأصبحت الدلتا تحت سلطانه . وبعد سنوات قليلة عاد «طاهرقا» ومعه جيش كبير فإستعاد منف وهزم الجيش الأشورى المقيم فيها ، وما أن وصلت هذه الأخبار إلى الملك «أسرحدون» حتى جاء مسرعًا على رأس جيشه للقضاء على طاهرقا ولكن المنية عاجلته وهو فى الطريق .

ولم يستقر الأشوريين فى الصعيد بل إكتفوا بالحصول على الجزية ولم يهدأ المصريون فإجتمعوا حول «نكاو» أمير سايس (صا الحجر فى غرب الدلتا) الذى قاد الثورة ضد الغزاة ولكنه لم ينجح ، ثم أعيد ثانية حاكمًا لكل من منف وسايس وذلك لأستغلال عداء أسرته للأسرة الحاكمة النوبية .

تولى بعده الملك «أشور بانيبال» عرش أشور وقاد حملة على مصر للقضاء على المصريين الذين أعلنوا الثورة ضد غزاتهم ولم يكتف باحتلال الدلنا بل وصل إلى طيبة ودخلها دخول الفاتح المنتصر فلجأ طاهرقا إلى نباتا وظل بها حتى مات .

هدأ الحال فى الدلتا إلا أن الصعيد كان يغلى ، فحمل راية الجهاد **«تانوت أمون»** (من ٦٦٤ - ٦٥٦ ق.م.) الذى خلف طاهرقا وجمع جيوشه من أبناء السودان وإنضم إليه أبناء مصر من كل مكان يصل إليه ، حتى وصل إلى منف فحررها من أيدى الغزاه ودخلها دخول الفاتح المنتصر . وما أن علم «أشو بانيبال» بهزيمة جيشه فى مصر ، حتى أصدر أوامره إلى بعض الفرق المعسكرة

فى سوريا بالتحرك إلى مصر للقضاء على «تانوت أمون» فوصلتها عام ٦٦١ ق.م. وتمكنت من هزيمة «تانوت أمون» بل وتعقب جيوشه حتى طيبة ولهذا إضطر الملك النوبى ان يلجأ إلى بلدته نباتا حتى ينجو بنفسه وظل هناك حتى حانت منيته . وبخروج «تانوت أمون» من مصر إنتهت فترة حكم الأسرة الخامسة والعشرين النوبية .

النهضة في الأسرة السادسة والعشرين الصاوية
من ٦٦٤ إلى ٥٢٥ ق . م .

يطلق على عصر هذه الأسرة العصر الصاوى نسبة إلى مدينة صا (الحجر) التى كانت العاصمة فى غرب الدلتا وهى المدينة التى عرفت لدى الإغريق بإسم سايس . إستطاع أول ملوكها «بسماتيك» إبن الملك «نكاو» أن يتولى عرش مصر وذلك بعد إختفاء الملك النوبى «تانوت آمون» من على مسرح الأحداث . وطبقًا لرواية مانيتون فالملك «بسماتيك» هو رابع ملوك هذه الأسرة التى إستمرت - طبقًا لرواية أفريكانوس ١٥٠ سنة ، ويعطيها يوسيبيوس ١٦٣ سنة وأثبتت الأبحاث العلمية أن فترتها لاتزيد عن ١٣٩ سنة .

الملك بسماتيك الأول : من ٦٦٤ إلى ٦١٠ ق . م .

بهزيمة «تانوت آمون» إستقر الحكم للأشوريين ولكن إلى حين ، إذ أن بسماتيك الأول قد حمل راية الجهاد وبدأ فى جمع جيش لطرد الغزاة من أرض مصر وكان لتحالفه مع «جيجيس» ملك ليديا فى أسيا الصغرى أكبر الأثر فى طرد الغزاة من مصر . فقد أمده بجنود مرتزقة من الأيونيين (الذين كانوا يحتلون الساحل الشرقى لليونان) والكاريين (الذين كانوا يحتلون الساحل الجنوبى الغربى لشبه جزيرة الأناضول) ساعدته فى طرد الأشوريين من مصر بل وتعقبهم حتى فلسطين وظل محاصراً لمدينتهم المحصنة «أشدود» طبقًا لرواية هيردوت - تسعة وعشرين عامة حتى إستولى عليها .

ويذكر هيرودوت أن البلاد كانت فى قبضة إثنا عشر ملكًا وكانت هناك نبوءة تؤكد أن ملك مصر هو الذى سيصب ماء قربانه فى معبد الأله بتاح من

إناء من البرونز «وإتبع الملوك الإثنا عشر العدل . . . وفيما هم يزمعون سكب القربان فـى آخر أيام العيد ، أحـضر لهم الكاهـن الأكبر الأوانى الذهبـية التى إعتادوا إستخدامهـا فى سكب القربان . ولكنه أخطأ فـى العدد فأحضر إحدى عشر آنية مع أنهـم كانوا إثنى عشر ملكًا . ولما لم يكن لبـسماتيك ، الذى كان يقـف آخرهم ، إناءا نـزع خـوذته وكـانت من الـبرونز ومدهـا ثم سكب بـها القربان . وكـان جميع الملوك يـلبسونها . (ومعـنى ذلك) أنه لـم يجـل مطلقًا بخاطر «بسماتيك» أى تفكير خبيث عندما مد خوذته ولكن الآخرين فكروا فيما فعله ، وفى الوحى الذى كان قد أنبأهم بأن الذى يسكب منهم القربان من إناء برونزى سيكون وحده ملك مصر . ولما تذكروا النبوءة ، إعتبروا أنه من الظلم قتل «بسماتيك» إذ إكتشفوا ، بعد سـؤاله ، أنه أقدم على فعلته دون أى تفكير مقصود وقرروا إبعـاده إلى المستنقعات ، وألا تكون له صلات مـع باقى أقاليم مصر» ثم يستمر هيردوت فى روايته فيذكـر «ولما أحس أنهم إمتهنوا كرامته فكر فى الأنتقام ممن طـردوه فأرسل إلى معبد «بوتو» حيث يـوجد وحى مصدق تمام التصديق عند المصريين ، وجاء الوحى بأن الأنـتقام سيأتى من البحر عند ظهور قوم برونزيين وداخله شك كبير فى مجىء رجال برونزيين لمساعدته . ولكن بعد مضى وقت غير طويل شاء القضاء المحتوم أن يطوح إلى مصر بنفر من الإيونيين والكـاريين ، كانوا قـد أبحروا بغـية السـلب . ولما نزلـوا إلى البر ، مـدرعين بالبرونز ، ذهب أحد المصريين إلى المستنقعات إلى «بسماتيك» ولم يكن قد رأى من قبـل رجالاً مدرعين بـالبرونز ، فأبـلغ «بسماتـيك» أن رجالاً برونـزيين قد وصلوا مـن البحر وأنـهم ينهبـون الأرض . فأدرك «بسمـاتيك» أن الـنبوءة قد تحققت وعمل على مصادقة الأيونيين والكاريين وإغرائهم بوعود سخية لينضموا

إليه . فلما أقنعهم ، خلع الملوك بمساعدة هؤلاء المرتزقة والمصريين الذين رغبوا فى تأييده» .

بعد أن أصبحت الدلتا فى قبضة «بسماتيك» بدأ يوجه إهتمامه إلى الصعيد لكى يضمه إلى مملكته ، وتوصل إلى ذلك بأن أرسل عام ٦٥٦ ق.م. إبنته الكبرى «نيت اقرت» (نيتوكريس) إلى طيبة لتصبح إبنة بالتبنى للزوجة الألهية لآمون الكاهنة «أمنرديس» إبنة طاهرقا والتى تولت بعدها هذا المنصب تحت إسم ، « شب - ان - أوبت» وأصبحت الزوجة الثالثة لأمون التى تحمل هذا الإسم وكانت صاحبة هذا المنصب الدينى مساوية للفرعون من الناحية النظرية فكان يكتب إسمها داخل الخرطوش كما تتمتع بجانب نفوذها الدينى بثروة آمون الضخمة .

بتوحد مصر بدأ بسماتيك عصراً جديداً ، فقام بإصلاحات عديدة وأنشأ جيشًا وأسطولاً كان قوامها الجنود المرتزقة من الأجانب والقليل من المصريين ، مما أثار الغيرة فى نفوس الجنود الوطنيين ، إذ بدأ الإغريق يهيمنون على التجارة فأسسوا مركزاً تجاريًا فى مدينة «نقراطيس» ووصل نفوذهم حتى مصر العليا . ولهذا نجد أن المصريين - فى هذه الفترة - فضلوا العودة إلى حضارتهم القديمة والتصميم على الأحتفاظ بها ، فأخذوا يتعلقون بالتراث القديم من حيث النظم الإدارية والعقائد الدينية والتقاليد الجنزية للمحافظة على كيانهم الوطنى . وقد إتضحت مظاهر هذه الحضارة فيما خلفه هذا العصر من نصوص أدبية وآثار مختلفة تقوم على محاكاة الأساليب الفنية التى كانت متبعة فى الدولة القديمة والوسطى . مات بسماتيك بعد أن حكم - طبقًا لرواية هيرودوت - ٥٤ عاما .

خلفاء بسماتيك الأول :

فى رواية لهيرودوت أن بسماتيك أنجب ولداً هو **«نكاو»** حكم مصر . وهو أول من شرع فى حفر القناة التى تؤدى إلى بحر «أروترى» (البحر الأحمر) ، والتى تم حفرها من بعده (دارا) الفارسى . . . وقد هلك من المصريين أثناء عملهم فى عهد «نكاو» مائة وعشرون ألف عامل . وتوقف «نكاو» فى منتصف عملية الحفر لأن نبوءة عاقته بقولها أنه يعمل لصالح البربر ، والمصريون يسمون كل من لايتكلم لغتهم بربرا .

إهتم **«نكاو الثانى»** بالخدمة العسكرية وتشييد الأساطيل البحرية ، كما إشترك فى معركة مع السوريين عند «مجدو» وإنتصر فيها ثم هزم فى حروبه مع الملك البابلى «نبوخذ نصر» عند مدينة قرقميش على نهر الفرات . ولعل من مآثره أنه أرسل بعثة إستكشافية للدوران حول أفريقيا ، فبدأت من البحر الأحمر ودارت حول رأس الرجاء الصالح وعادت عن طريق بوغاز جبل طارق محملة بخيرات أفريقيا وقد إستمرت الرحلة ثلاث سنوات وهى دليل على نية الكشف أولاً وفتح أسواق جديدة للتجارة ثانيًا .

حكم «نكاو» الثانى مصر خمسة عشرة عامًا (من ٦١٠ إلى ٥٩٥ ق.م) ثم أتى بعده إبنه **بسماتيك الثانى** الذى حكم - طبقًا لرواية هيرودوت ست سنوات فقط (من ٥٩٥ إلى ٥٨٩ ق.م. وقد «قام بحملة إلى أثيوبيا ثم توفى بعد ذلك مباشرة» وقد إستخدم جنوداً من المرتزقة من مختلف الشعوب . فقد سجل الجنود الكاريون عند وصولهم إلى النوبة نقشًا يخلدون فيه هذه المرحلة على أحد تماثيل رمسيس الثانى فى معبد أبى سنبل .

تولى العرش بعد «بسماتيك» الثانى الملك **«واح - أب رع» أبريس** الذى حكم تسعة عشرة عاما (من ٥٨٩ - ٥٧٠ ق.م) هاجم فى عهده الملك البابلى «نبوخذ نصر» مملكة أورشليم التى كانت موالية لمصر ، فقضى عليها وأسر العديد من رجالها وفر الباقون منهم إلى مصر فسهل لهم أبريس العيش فيها وسمح لبعض منهم بالأستقرار فى الفنتين . كذلك إستنجد الليبيون به ليحميهم ضد التوسع الأغريقى ، فأرسل جيشًا من المصريين - وليس من الجنود الأغريق المرتزقة لأنه كان على يقين بأنهم لن يحاربوا بلدتهم - بقيادة أحمس فوقع الجيش فى كمين وأبيد أغلب جنوده من المصريين ونجا عدد قليل بأعجوبة وكانت النتيجة أن قام المصريون بثورة ضد أبريس وبايع الجيش أحمس وقامت الحرب بين الملكين مات فيها أبريس . فأمر أحمس بدفنه بما يليق به . وتولى الحكم من بعده وعرف بإسم **أحمس الثانى** وإستمر حكمه ٤٤ سنة (من ٥٧٠ إلى ٥٢) وقابلته فى البداية مشكلة التوفيق بين الجنود المصريين والأغريق وإستطاع بلباقته من أن يبقى على الجنود المرتزقة لحماية عرشه بل ويقطعهم مدينة نقراطيس لتصبح مدينة إغريقية بمعنى الكلمة ومركزاً هامًا للتجارة بين مصو واليونان . وفى نفس الوقت تمكن من أن يرضى شعور المصريين وذلك بإحلالهم مكان الحاميات الإغريقية على حدود البلاد . وإستقرت البلاد فى عهده حتى مات عام ٥٢٦ ق.م.

وتولى من بعده آخر ملوك هذه الأسرة وهو الملك **بسماتيك الثالث** الذى لم يزد حكمه عن عامين (من ٥٢٦ إلى ٢٢٥ ق.م) وفى عهده هجم الملك الفارسى «قمبيز» على مصر وهزم المصريين عند بلوزيم (تل الفرما) . وتعقبهم إلى منف وأسر بسماتيك الذى فضل الأنتحار على الخضوع للغازى الفارسى وتابع قمبيز سيره إلى طيبة . وإنتهت الأسرة السادسة والعشرون وأصبحت مصر تحت الحكم الفارسى .

مصر والغزو الفارسى
الأسرة السابعة والعشرون
من ٥٢٥ إلى ٤٠٤ ق . م .

يبدأ مانيتون الأسرة السابعة والعشرون بالملك الفارسى «قمبيز» ومعه سبعة ملوك من الفرس ، تستمر فترة إحتلالهم لمصر - فى رأيه - ١٢٤ عاما وأربعة شهور . أما يوسيبيوس فيذكر لهم ١٢٠ عامًا وأربعة شهور . وتؤكد الأبحاث أن هذه الأسرة لم تستمر أكثر من ١٢١ عامًا .

«وقمبيز» هو إبن «قورش» مؤسس دولة الفرس وهى الدولة التى يطلق الفرس عليها «الدولة الهخمانشية» بينما يطلق الإغريق عليها إسم «الدولة الأكمينية» . وقد إستطاع «قورش» من أن يخلص بلاده من تبعية الأشوريين وأن يقضى على ملك المدينتين فى إيران وينتزع الملك منه ويؤسس دولة فارس ويبسط سلطانه على بلاد الشام وفينيقيا وفلسطين بل وإمتد نفوذه إلى البحر الأبيض ويدأ يفكر فى التوجه لمصر ولكن المنية عاجلته وكان ذلك عام ٥٢٩ ق.م.

قمبيز : من ٥٢٥ إلى ٥٢٢ ق . م .

بعد وفاة الملك قورش تولى العرش فى دولة فارس إبنه الملك قمبيز الذى حقق حلم والده وإستطاع أن يفتح مصر عام ٥٢٥ ق.م. وإستولى على منف وتابع مسيرته حتى طيبة . ويروى هيرودوت أنه إضطهد المصرين فكرهوة وكان متعسفًا فى معاملة الكهنة فنبذوه ، وتدخل فى معتقدات المصرين فقتل معبودهم العجل «أبيس» .

وتذكر نصوص تمثال لأحد نبلاء سايس المدعو «وجا - حر - رسنت» وهو معروض الآن بمتحف الفاتيكان أنه إستطاع أن يقنع قمبيز بأن يحسن معاملة المصريين وآلهتهم ، بل وإسترضاه بإضافة الألقاب الفرعونية إلى إسمه .

إستقر «قمبيز» ثلاث سنوات بمصر ، أرسل خلالها حملة إلى واحة سيوة للأنتقام من كهنة معبد آمون هناك وهو المعبد الذى إشتهر بنبوءاته الصادقة التى أفادت بأن عمر قمبيز قصير وسيلاقى سوء المصير فى مصر . وقد أرسل جيشه لكى يثبت كذب هذه النبوءة ولكن الجيش إبتلعته العواصف الرملية الكثيفة التى حدثت لكى تقضى على غرور قمبيز وما زالت للآن جنود قمبيز مطمورة هناك كما أصاب الفشل أيضًا حملته الثانية التى أرسلها إلى النوبة للحصول على خيراتها فإستطاع أمراء نباتا من أن يلقنوه درسًا قاسيًا وكان نتيجة هذه الهزيمة أن أصابه - طبقًا لرواية هيرودوت - الجنون . وقد مات فى سوريا وهو فى طريق عودته إلى بلاده .

خلفاء قمبيز :

أتى بعد قمبيز إبنه **دارا الأول** (من ٥٢٢ إلى ٤٨٦ ق.م) وبدأ يغير سياسته مع المصريين . فأعاد النظر فى القوانين التى وضعها والده وألغى بعضها لقسوتها . وأمر بجمع القوانين المصرية فى عهد الملك أحمس الثانى وذلك لكى يحكم المصريين بقوانين مصرية . ولهذا يعتبره «ديودور» أنه من أحسن المشرعين فى عصره . كما قام بإصلاح ما تهدم من المعابد والمنشآت وأمر بتقديم القرابين للآلهة المصرية وللعجل أبيس بالذات كما أمر بإعادة شق القناة التى لم

تستكمل فى عهد الملك «نكاو» الثانى والموصلة للبحر الأحمر . وطلب تسجيل هذا على لوحات حجرية بالخطين المسمارى والهيروغليفى . وقد كان لهذا العمل أثره الكبير فى تنمية تجارة العالم القديم .

وظلت نيران الحقد والكراهية تزداد ضد الفرس . فلم ينخدع المصريون بحسن معاملة المستعمر لهم . وبدأوا يتحينون الفرص للتخلص من نفوذه . وقد واتتهم الفرصة عندما إنشغل الملك «دارا» بالأستعداد للقتال مع الأغريق الذين أنزلوا بجيوشة هزيمة قاسية في «المارثون» ٤٩٠ ق.م. فهبت ثورة عاتية في الدلتا قضت على نفوذ الفرس وسببت لهم خسائر كبيرة . فصمم «دارا» على الأنتقام من المصريين ولكن المنية عاجلته .

وجاء بعده إبنه **«اكسركسيس» الأول** (من ٤٦٦ إلى ٤٦٦ ق.م) الذى جهز جيشًا قويًا وأسطولاً ضخمًا لإخماد الثورة في مصر ، فقضى على الثورة إلى حين وعين أخاه حاكمًا على مصر حتى ينفذ سياسته فيها وكان رجلاً فظًا غليظ القلب ، نشر الإرهاب فى كل مكان ، وإستعمل كل أساليب العنف حتى يميت روح المقاومة عند المصريين ولم يكن هذا إلا دافعًا للمصريين للتخلص من المستعمر فى الأستعداد للقتال معه وإغتيل «اكسركسيس» الأول وخلفه **«أرتاكسركسيس»** (من ٤٦٥ إلى ٤٢٤ ق.م) الذى أعدم القاتل . وظلت مصر فى عهده مشتعلة بالثورة وكانت هذه المرة أشد عنفًا فقد تجمع المصريون تحت راية زعيم من الدلتا يدعى «أناروس» الذى تمكن بأبناء مصر من القضاء على جزء من الحامية الفارسية وقتل قائدها ، حاكم مصر شقيق الملك «أكسركسيس» الأول وتحالف أمير الدلتا مع أثينا للقضاء على الفرس – العدو

المشترك بينهما . فأمدته بأسطـول من السفن ذات الثلاث طبقات من المجاديف تمكن به مـن إسترجاع أغلب حـصون مدينة منف والـقضاء على من فـيها من الجنود الفرس .

وما أن علم المـلك الفارسى بهذا حتـى أرسل جيشًا كبيراً أخمـد به الثورة وحاصر المصريين فـى منف ، ففضل أسطول أثينا العـودة إلى بلاده ومات أمير الدلتا ولكـن الثورة فى مصر لم تمت . فـإستمرت الثورة تحت قيـادة زعيم آخر هو «آمون حر» الذى جمع رجاله لمقاومة المستعمر وطلب معاونة أثينا فى مقابل إمدادها بأعداد هائلة من أكيال الغلال ولكن أثينا خيبت ظنه .

أخيـراً هدأت الأحوال نتـيجة للـصلح الذى تم فـى عام ٤٤٩ ق.م. بين اليونان والفرس ولكـن مصر لم تهدأ وظلت نار الثورة مشتـعلة فيها إلى أن تم تحريرها على يد أبنائها وطرد الغزو الفارسى .

✍ ✍ ✍

خاتمة

الأسرات ٢٨-٣٠

إستطـاع قائد الثورة ، أمير سايس ، «آمون حر» أن يصبح ملكًا على مصر وأن يجبر الفرس على الاعتراف بإستقلالها . ويعتبره مانيتون المؤسس والملك الوحيد للأسرة الثامنة والعشرين الفرعونية وقد إتخذ سايس عاصمة له وإستمر حكمه ستة سنوات فقط (من ٤٠٤ إلى ٣٩٩ ق.م) وعلى الرغم من أن الوثائق المكتوبة بالخط الهيروغليفى لم تذكره إلا أن البرديات الديموطيقية والآرمية قد أخبرت عنه .

تمكن بعد وفاته الملك «نايف - عاو - رود» (نفريتس الأول) من أن يؤسس الأسرة التاسعة والعشرين التى إستمرت - طبقًا لرواية مانيتون - عشرين عامًا (من ٣٩٩ إلى ٣٨٠ ق.م) وهى تتكون - فى رأيه - من أربعة ملوك إتخذوا مدينة «مندس» (تل الأمديد وتل الربع شمال شرق السنبلاوين) عاصمة لهم . وكان أهم ملوك هذه الأسرة هو مؤسسها «نايف - عاو - رود» الذى حكم ست سنوات (من ٣٩٩ إلى ٣٩٣ ق.م) وتحالف مع الإسبرطيين ضد الفرس وأمدهم بالقمح بما يكفى لتجهيز أسطول مكون من مائة سفينة مقاتلة ولكن المدد لم يصلهم إذ إعترضه القائد الأثينى (وهو قائد الأسطول الفارسى) وحطمه عند رودس . وتولى بعده الملك هكر وإستمر حكمه سبع سنوات (من ٣٩٣ إلى ٣٨٠ ق.م) حاول فيها القيام بإصلاحات داخلية فى البلاد فرمم المعابد وتعاون بالمال والمؤونة مع أثينا ضد الفرس وإنتهت أيامه .

وتولى بعده ملكين حكم كل منهما مصر بضع شهور ثم انتقل العرش إلى أسرة جديدة هى الأسرة الثلاثين .

إغتصب « نخت نب ف» **(نختنبو) الأول** عرض مصر وأسس **الأسرة الثلاثين** . ويذكر مانيتون أن هذه الأسرة من مدينة سمنود (وسط الدلتا) وتتكون من ثلاثة ملوك إستمر حكمهم ٣٧ سنة (من ٣٨٠ إلى ٣٤٣ ق.م) وإستطاع نختنبو فى فترة حكمه التى إستمرت ١٧ عاما (من ٣٨٠ إلى ٣٦٣ ق.م) من أن يوحد البلاد بعد فترة الأضطراب التى عاشت فيها وقد ترك آثاراً كبيرة بإسمه أغلبها بالكرنك وجزيرة فيله . عاود الفرس فى عهده غزو مصر للأحتفاظ بخيراتها ، فوصلوا إلى الدلتا بأعداد هائلة من الجنود الفرس والمرتزقة وتوغلوا فيها ولكن فيضان النيل أوقف تقدمهم ، وأنقذ مصر ، فإضطر الجيش الفارسى للعودة إلى أسيا .

أشرك نختنبو الأول إبنه «جد حر» (تيوس) فى أواخر أيامه وما أن انفرد بالحكم (من ٣٦٢ إلى ٣٦١ ق.م) حتى أقحم نفسه فى معركة مع ملك أسبرطة وملك أثينا ضد الفينيقيين وهزم فيها وكانت نتيجة التآمر عليه من العائلة المالكة أن لجأ إلى فارس ليقضى بقية أيامه هناك .

وتولى من بعده ابنه الملك **«نختنبو» الثانى** وتميز عهده بالهدوء والطمأنينة وإستمر ١٧ عامًا (من ٣٦٠ إلى ٣٤٣ ق.م) ولما كانت مصر بالنسبة للفرس حلم يجب تحقيقه بالأستيلاء عليها وذلك للحصول على خيراتها من غلال

(1) - Capart , Chroniqu d'Egypte, 29 , 1940 .

- سيد توفيق ، المرجع السابق ، ص ٢٣٨ - ٢٤٠ .

ومعادن . صمم الملك الفارسى «أرتاكسركسيس» الثالث المعروف باسم «أوخوس» عام ٣٤٣ ق.م. أن يهاجم مصر بجيش ضخم وإستولى - بعد مقاومة - عليها والتجأ نختنبو إلى النوبة . ويطلق بعض المؤرخين على الغزو الفارسى الثانى الأسرة الحادية والثلاثين التى إستمرت عشر سنوات كاملة بعدها دخل الاسكندر - كما سنرى فى الباب الثانى - مصر بدون مقاومة وإعتبره المصريون منقذاً لهم من قسوة الأستعمار الفارسى .

بعض المراجع الهامة

١- أحمد فخرى : مصر الفرعونية - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٧١ .
٢- ألن جاردنر : مصر الفراعنة - (مترجم عن الإنجليزية ، وقد نقله إلى العربية نجيب ميخائيل) - القاهرة ١٩٧٣ .
٣- جان يويوت : مصر الفرعونية · (مترجم عن الفرنسية ، وقد نقله إلى العربية سعد زهران) - القاهرة سنة ١٩٦٦ .
٤- جون ولسن : الحضارة المصرية (مترجم عن الإنجليزية ، وقد نقله إلى العربية أحمد فخرى) - القاهرة ١٩٥٦ .
٥- عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم - الجزء الأول - مصر والعراق - القاهرة سنة ١٩٦٧ .
٦- نجيب ميخائيل : مصر - الطبعة السادسة القاهرة ١٩٦٦ .

1 - Cambridge Ancient History, Vols . I-11, Cambridge 1973 - 1975 .
2- Fischer Weltgeschichte, Die Altorientalischen Reiche, I-11, Franhfurt, 1965 - 1967 .
3- Otto, E, Aegpten , Der Weg des pharaonerveiches , Stutgart 1955 .
4- Wolf, W, Des atte Aegupten, Muenchen 1971 .

الباب الثانى

مصـــــر

فى عصر البطالمة

الفصل الأول

الإسكندر الأكبر فى مصر

الفصل الأول
الأسكندر الأكبر فى مصر

تولى الأسكندر عرش مقدونيا وكان أبوه قد أعدة طويلاً لهذا الغرض فأحضر له «أرسطو» الفليسوف ليعلمه ويشذب من شخصيته المقدونية العنيفة ، كما إصطحبه معه فى كثير من المعارك التى أبدى فيها الأسكندر شجاعة نادرة وأصبح له معجبون كثيرون من المقدونيون وبقية الجيش والفرسان والأسطول حتى كسب لقب «الأكبر» أو العظيم . لقد كان الأسكندر شديد الحب لأمه وقد ورث عنها الأنفعال الشديد والعنف الذى يصل فى بعض لحظاته إلى حد الجنون ، والخيال الحالم ، والواقعية العلمية ، والتخطيط السليم ، والتصرف السريع الحاسم حتى لقبه مؤرخو العصر الحديث بنابليون العالم القديم .

صمم الأسكندر بعد قمع ثورات المدن الإغريقية على إكمال المشروع القديم وهو غزو أسيا الصغرى ولقد كان يحلم بأن تكون حملته عسكرية وحضارية وثقافية لنشر الحضارة الإغريقية في الشرق عن طريق بناء مدن تقوم بدور المنارات المشعة للثقافة الإغريقية فى الشرق ، ولذا إصطحب معه مجموعة من العلماء والباحثين ليرصدوا مصادر الطبيعة في بلدان الشرق وقد قلده «نابليون بونابرت» فى ذلك إبان حملته على مصر ، كما قصد من حملته فتح الشرق الذى كان مغلقًا فى وجه الإغريق وليتدفقوا على بلدانه الثرية فى حركة إستيطان جديدة ، فبلاد اليونان كانت فقيرة وفى حاجة إلى حركات هجرة وإستيطان وبذلك يقدم للإغريق هدية .

تقدم فى عام ٣٣٢ ق.م نحو غزة فإستسلمت ووجد الأسكندر نفسه يدق أبواب مصر ولم يجد اى مقاومة من المصريين ولا من الحامية الفارسية التى بها ففتحها فى سهولة وكأنه فى نزهة عسكرية . وكان الأسكندر ذكيًا عارفًا بأسباب تذمر المصريين من الفرس كما إعتبر مصر هى أرض أبيه «آمون رع» ولهذا حرص على معاملة المصريين معاملة طيبة للغاية بإعتباره وريث الفراعنة ، وأظهر إحترامه الكامل للديانة المصرية ولعادات المصريين ، ثم وصل إلى منف فإستقبلته كمحرر بطل وحرص على أن يتوج فرعونًا فى معبد «بتاح الكبير» ووضع على رأسه تاج من قرنى الكبش رمز أمون ومن ثم عرف فى تاريخ الشرق بإسم «ذو القرنين» ، ثم أقام مهرجانًا رياضيًا ثقافيًا ترفيهيًا على الطريقة الإغريقية إيذانًا بوصول الحضارة الإغريقية رسميًا إلى أرض النيل ، ثم زار آثار مصر وقبور ملوكها فى سقارة كما زار منطقة الأهرام وأبو الهول وكانت حفاوة كهنة منف به بالغة خاصة وأنه قدم الأضاحى للآلهة هناك فى خشوع الإبن التقى البار ، ولم يكتف الأسكندر بذلك بل ذهب إلى معبد «رع» فى هليوبوليس «المطرية» وتوج مرة أخرى هناك بين حفاوة الشعب ومباركة الكهنة ، وقد أكسبه هذا السلوك المهذب إعجاب المصريين وإعتراف الكهنة بحقه كفرعون مؤله ، فمنحوه الألقاب التقليدية المؤلهة وصوروه بالطريقة التقليدية وهو يرتدى تاج الوجهين ، ولا تزال صوره باقية ويمكن مشاهدتها فى مقصورته بمعابد الكرنك .

أما الأغريق المقيمين فى عواصم الأقاليم المصرية خاصة فى منف وفى مدينة نقراطيس الأغريقية فقد تحمسوا له أشد الحماس لأنه يمثل عنصرهم الذى كان ثانويًا وأصبح بمقدمة العنصر الحاكم صاحب السيادة . ومن الواضح أن

فتح مصر كان عملاً سياسيًا ناجحًا موجهًا للإغريق الذين أعلنوا تأييدهم وولائهم له ، ولسيادة مقدونيا عليهم ، كما كان ضرورة عسكرية فى صراعه مع الفرس .

تأسيس مدينة الاسكندرية :

سار بعد ذلك بقواته متجهًا إلى ساحل البحر المتوسط وراعه الأهمية الاستراتيجية للشريط الضيق الممتد من الشرق إلى الغرب والمحصور بين بحيرة مريوط وساحل البحر المتوسط ورأى أنه عن طريق تأسيس مدينة ساحلية فوق هذا الشريط فإن تجارة البحرين سوف تلتقى ، وهذا يعنى خلق طريق تجارى جديد بين الشرق والغرب ، ومن ثم كلف الأسكندر أحد مهندسيه لكى يشرف على إكمال المدينة التى إختير لها إسمًا مشتقًا من إسم الأسكندر وهو «الأسكندرية» . وبينما شهر المهندسون والعمال فى تنفيذ المشروع سار الأسكندر إلى مقصده الأساسى وهو ليبيا .

الزيارة المقدسة لمعبد أمون فى سيوه :

كان الأسكندر يريد أن يشبع إحساسًا فى نفسه وهو أنه بالفعل إبن «أمون رع» وبالفعل وصل إلى الواحة الجميلة ، ويروى لنا «بلوتارخ» كيف أن الأسكندر راح يملأ عيناه بالرهبة المقدسة فى كل مكان من الواحة ودخل معبد أمون حيث كان الكهنة ينتظرونه بالترحيب ، وسمح له كضيف خاص بالدخول إلى قدس الأقداس فى المعبد . وقد تركت هذه الزيارة أثراً كبيراً فى نفس

الأسكندر وظلت ذكراهـا عالقة بذهنه حتى مات بل وقيـل أنه أوصى بأن يدفن بعد موته فى هذه الواحة ليكون بجوار أبيه «أمون» [1] .

التنظيم الإدارى والمالى والعسكرى لمصر فى عهد الأسكندر :

حرص الأسكنـدر على أن ينظم مـصر تنظيمًا عـلميًا دقيقًا وذكيًا يـنم عن دهائه فقـد حرص على الإبقاء عـلى النظم المصريـة القديمة وتنويـع الحكم بين المصريين والأغريق الذيـن وضـع بين أيديهم السلطة العسكـرية والمالية ، وأبقى للمصريين السلطة الإدارية وبذلك يضمن عدم قيام الثورة الوطنية ويضمن رضا المصـريين ويمنـع فى نـفس الوقـت إحتمـال قيام أحـد الإغريـق أو المقدونـيين بالأستـقلال بمصر ولـذا لم يعين حاكـمًا مقدونيًا أو إغريـقيًا بل وزع السـلطات بتوازن دقيق يمنع مثل ذلك الأحتمال .

أبقى عـلى منف العاصـمة المصرية كعـاصمة على الـولاية وأبقى التقـسيم التقليدى والإدارى وهو الوجه القبلـى والوجه البحرى بل وعين على كل وجه حاكم مصرى وبذلك أرضى المصريين بإشراكهم فى الحكم .

أما السـلطة العسـكرية فقـد جعلها فـى أيدى المقدونيـين فقد ترك حـامية مقدونية عسـكرية واحدة فى سقارة وأخرى فى الجنوب ، أما فـى الشمال فقد ترك أسطولاً لحمايـة السواحل المصرية ، كما ترك حاميـة فـى الشرق وأخرى فى الغرب .

لم يمس الأسكندر النظم الإدارية والمالية التى كان الفراعنة قد أوجدوها فى مصـر والتى تقـوم علـى نظـام المقاطعات الـتى يحكـمها محلـيون نيـابة عن

(1) - Fakhry, Siwa Oasis, Cairo, 1944, pp. 35-44 ; 84 - 96 .

الفرعون ، ويجمعون بإسمه وله الضرائب والعوائد . وكل ما هناك أنه عزل السلطة الإدارية عن السلطة المالية بتعيين وزير مالية من أحد إغريق مصر ليشرف على المالية والخزانة وجمع الضرائب وعلى نفقات بناء مدينة الاسكندرية .

كما حرص الأسكندر على فتح أبواب مصر للمهاجرين الإغريق خاصة المقدونيين لأن مصر مستقبلاً كما تخيلها الأسكندر كانت ولاية مقدونية أو إغريقية حكمًا وفكرًا وثقافة ، وكان ذلك نقطة تحول فى تاريخ مصر إذ دخلت عهداً جديداً من حضاراتها المتنوعة الخاصة بعد تأسيس أسرة البطالمة التى حققت إلى حد كبير هذا الحلم .

وقبل أن يغادر الاسكندر مصر إلى ميدان القتال إستعرض قواته للوداع وقدم القرابين مرة أخرى للآلهة المصرية لكى تشد أذره فى مهمته القادمة ، وأقام للشعب المصرى والإغريقى مهرجانًا رياضيًا وثقافيًا وترفيهيًا كرمز للتعاون بين الحضارتين العريقتين تمامًا مثلما خلق حكومة مصرية إغريقية لحكم البلاد .

كما أوصى موظفيه ونوابه فى مصر بالقيام ببعض الإصلاحات للمعابد المصرية وتجديد معبد الكرنك وإقامة مقصورة له بجوار مقصورة «تحتمس الثالث» ، ولا تزال هذه المقصورة موجودة فى المعبد .

لقد كانت الفترة التى قضاها الأسكندر فى مصر قصيرة لاتتعد ستة شهور ولكنها كانت عامرة بالأحداث والإصلاحات التى حولت مصر إلى فلك الحضارة الإغريقية فى البحر الأبيض ، وكان يتمنى أن يعود إليها مرة أخرى ليرى ثمار ما وضع ولكن القدر لم يحقق له هذا الرجاء إذ عاد إلى مصر محمولاً محنطًا فى تابوت ليكون هذا البلد العظيم مثواه الأخير .

✍ ✍ ✍

الفصل الثانى

قيام دولة البطالمة

عصر القوة والإزدهار

الفصل الثانى
قيام دولة البطالمة
عصر القوة والإزدهار

كان موت الاسكندر المفاجىء بلا وريث يعنى صراعًا مريراً دام مايقرب من أربعين عامًا تحطمت فى نهايتها الإمبراطورية المقدونية وتحولت إلى ممالك صغيرة حكمها الورثة ، وتم تعيين «بطليمـوس» على ولاية مصر ليؤسس حكم أسرته الذى إستمـر مايقرب من ثلاثة قرون مـن الزمان إلى أن إستولى الـرومان على مصر .

بطليموس الأول يرسى قواعد مملكته فى مصر :

وصل بطليموس إلـى مصر وأعاد إليها الكتب والتماثيـل المقدسة التى كان الفـرس قد نهبـوها منهـا ولقى بذلـك تأييد الـكهنة والـشعب ، كانـت أحلام بطلـيموس هى حمـاية حدود مصر مـن الشرق والغـرب وإقامة قاعدة بـحرية للأسطول فـى قبرص تساعده على نـشر نفوذه سواء فى أسيا الـصغرى أو بلاد اليونان .

فقد أحس «بطليموس» كقائد عسـكرى محنك أن صحراء سيناء فى الشرق والصحـراء الغربية فـى الغرب هما المنـطقة التى يمكـن أن تهاجـم مصـر مـن خلالها ، كما أنه فـى حاجة إلى تأمين الطرق التجارية عـبر هذه الصحارى إلى مناطـق الأسواق لدعم مركز الأسـكندرية الـتجارى ، كما كان فى حـاجة إلى

الأخشاب التى تنمو فى غابات الأرز فى سوريا ولبنان من أجل بناء الأسطول القوى ، كما كان فى حاجة إلى مناجم سيناء الغنية بالذهب والنحاس والفيروز ، كما كان يدرك أهمية طريق القوافل الذى كان يربط بين الخليج الفارسى وساحل البحر المتوسط . . ولهذا كله خطط بطليموس منذ الوهلة الأولى للاستيلاء على فلسطين وجنوب سوريا وكذلك الأستيلاء على جزيرة قبرص لتحويلها إلى قاعدة بحرية للأسطول المصرى ، كما بدأ يستعد للاستيلاء على «قورنيه» وتوابعها على حدود مصر الغربية .

بطليموس وجثمان الاسكندر :

طبقًا للعادة والتقليد الملكى فى مقدونيا كان على الملك الجديد أن يبدأ حكمه بالإشراف على جنازة الملك الراحل ودفنه فى موكب كبير كرمز للولاء والتقوى ، وبالفعل إستعد «برديكاس» الوصى على الإمبراطورية فى الإعداد لإقامة موكب جنازى لنقل جثمان الأسكندر من بابل إلى عاصمة مقدونيا القديمة «إيجه» لكى يدفن هناك ، ولكن بطليموس إستطاع أن يحول الموكب إلى مصر وسار أمامه فى خشوع إلى منف ، ولقد أحدث دخول موكب جنازة الأسكندر إلى منف تأثيراً عاطفيًا عميقًا لدى المصريين والمستوطنين الإغريق خاصة وأنهم كانوا يشهدون لأول مرة منذ نهاية عصر الفراعنة العظام موكب جنائزيًا بهذه المهابة والفخامة .

فلقد كان جثمان الأسكندر مسجى فى تابوت موضوع على عربة كبيرة تجرها أربعة مجموعات من البغال كل مجموعة تتكون من ١٦ بغلاً وكان كل بغل مزينًا بأكليل من الأحجار الكريمة والنادرة ، وكان تابوت الأسكندر مصنوعًا

من الذهـب الخالص المطروق وملفوفًا فى حرير وخمائل ذات لـون أرجوانى لامع ، وفوق التابوت وضع سيف الأسكندر الشهير وكذلك رمحة اللذان صاحباه فى حروبه ومغامراته ، وزينت العربة بأجراس من الذهب ، وعلى جوانبها من الخارج صور جوانب من أشهر معارك الأسكندر ، وداخل العربة خلف التابوت وضع كرسى العرش الذهبى المزين .

لقد كان هذا الموكب بالنسبة للمصريين مؤثراً وذكرهم بجنازة فراعنتهم العظام وبعث فيهم حزنًا قوميًا خاصة أنهم تذكروا الأسكندر الذى كان من وقت قريب بينهم خاشعًا يقدم الطقوس والشعائر والقرابين لآلهتهم ، ولما دخل الموكب منف يتقدمه بطليموس أحسن المصريون إستقبال الجثمان وأثنوا على تقوى بطليموس الذى نجح فى تحقيق رغبة الأسكندر ووصيته بأن يدفن فى مصر ، وتم إعداد ضريح يليق بالقاهر الراحل فى قلب مدينة الأسكندرية التى لم يكن قد إنتهى بعد من بنائها .

لقد كان بطليموس على صواب فى ذلك لأن دفن الأسكندر أكسب الأسكندرية شهرة مقدسة بين أجزاء العالم حيث تدفق الزوار والحجاج فيما بعد للتبرك بالمقام الطاهر . ولا نعرف على وجه التحديد أين يقع الضريح ، إلا أن وصف الزوار القدماء يجعلنا نعتقد أنه يقع فى شارع النبى دانيال أقدم شارع طولى فى الأسكندرية القديمة وربما بالقرب من الكاتدرائية المرقسية الحالية ، ولقد حاول بعض علماء الآثار التنقيب عليه بجوار تمثال سعد زغلول دون جدوى ، وأغلب الظن أن رطوبة أرض الأسكندرية أدى إلى تحليل المومياء كما أن الأحداث والدمار التى حاقت بالأسكندرية بعد إنتصار المسيحية على الوثنية بعد إضطهاد مرير لا إنسانى لاتخلو من المسئولية فى تدمير هذا المقام العظيم حيث دمروا كل أثر للوثنية ومن بينها معبد السيرابيوم العظيم .

هكذا بضربة سياسية ماهرة سرق بطليموس الأضواء من غريمه «برديكاس» وحظى بمكانة مقدسة كملك على أرض مقدسة .

بطليموس يدعم حكمه فى مصر :

فى الحقيقة وقع العبء الأكبر فى تأسيس ووضع دعائم الأسرة على بطليموس الأول ،. فقد وجد شعبًا وأرضًا وبلا إدارة منظمة وبلا سلطة قائمة ، وقد حرص على إحترام المصريين الوطنيين ونصب نفسه فرعونًا عليهم فقد أعاد إليهم تراثهم المسروق ، كما أبقى على نظام الإدارة الفرعونى القديم الذى كان يقسم مصر إلى ٤٢ مقاطعة ، وأبقى الإدارة فى أيدى المصريين كذلك أبقى على تقسيم كل مقاطعة إلى مراكز ، وتقسيم كل مركز إلى عدد من القرى ، كما أبقى على نظام العمد فى القرى ، وألقى مسئولية جمع الضرائب على موظفين مصريين من أهالى المناطق المحلية ، وإحترم حقوق طبقة الكهنة وإمتيازها . وبهذا نجح بطليموس فى خلق إدارة فعالة ومنظمة ومقننة ومركزية فرضت النظام . وقد ركز الملك فى يده السياسة الخارجية والعسكرية وإدارة الأقتصاد ، أما الإدارة فى الأقاليم فقد تركها للموظفين من الإغريق ، وترك السواد الأعظم من المصريين الوطنيين للعمل فى الأرض والإنتاج لصالح الدولة التى أقامت نظامًا إحتكاريًا إشتراكيًا يتحكم فيه الملك وحده بصفته المالك لمصر وما فيها وما عليها بحق الحرية وحق السيف .

أما بالنسبة لمدينة الأسكندرية العاصمة المثالية مقر حكم البطالمة وعاصمتهم فقد جعل لها بطليموس وضعًا خاصًا وأعطى سكانها الحاصلين على حق المواطنة فيها دورا فى إدارتها ، وبالنسبة لحقوق المواطنة فيها فقد أصبح لكل

مقدونى وإغريقى مهاجر من مدينة إغريقية الحق فى الحصول على الجنسية السكندرية أى له الحق فى حمل السلاح داخل المدينة والحق فى حرية الرأى والحديث وله حق عضوية المجلس البلدى الشعبى ، ولكن ليس له الحق فى مناقشة أو رسم السياسة الخارجية أو العسكرية أو الأقتصادية لأن شخصية بطليموس كملك لم تسمح بأن تقاد بل كان عليها أن تقود .

وعلى طريقة الأسكندر قام بطليموس بإنشاء مدينة جديدة فى صعيد مصر ليوطن فيها الجنود المسرحين المقدونيين وذلك فى إقليم طيبه وسماها «بطلمية» ومكانها الآن المنشأة بمحافظة سوهاج بالقرب من مركز البلينا ، وقد أقام هذه المدينة لكى تكون مركزًا لنشر الحضارة الهللينية فى قلب الحضارة والزعامة المصرية .

وقد حرص بطليموس على الحفاظ على الدم الإغريقى نقيًا حتى لايضيع فى بحر المصريين ولهذا رغم إحترامه لمشاعر المصريين حرم الزواج بين الشعبين وكأنه أراد أن يبقى لمصر وجهان ، وجه مصرى يحكمه هو كوريث للفراعنة وحامى للمعابد المصرية ، ووجه إغريقى كملك على الإغريق وراع لثقافتهم فى مصر . لكن هذه القوانين التى تمنع الزواج المختلط لم تمنع الزواج العرفى بين الشعبين ، وإزدادت هذه الظاهرة تدريجيًا رغم معارضة قوانين الدولة من الناحية الرسمية ، وكان على هذا الجيل المهجن أن يحمل رسالة الحضارة الإغريقية التى قادت إلى حضارة مصر القبطية فيما بعد وكان على الدولة البطلمية أن تعلق هذه القوانين وترضخ للأعتراف بالأمر الواقع .

تنشيط التجارة :

إهتم بطليموس بدعم وتوطيد تجارة مصر فى شرق البحر المتوسط خاصة وأن المتنجات المصرية الزراعية مثل القمح وورق البردى والكتان كانت سلعًا رائجة فى الخارج بل أنه أراد مدينة الأسكندرية أن تحقق الهدف الأول من بناءها وهى أن تكون المدينة الأولى فى تجارة البحر المتوسط ، ووجد بطليموس أنه لايستطيع تنشيط التجارة داخليًا وخارجيًا إلا عن طريق عمله قوية ، ولدهشته لم يجد فى مصر عملة نقدية رسمية ففى الريف المصرى ظل المصريون يتعاملون بمبدأ المقايضة منذ القرن السابع ق . م ، ولما كانت الأسكندرية فى نظر بطليموس مدينة إغريقية فقد سارع فى سك عملة بطلمية لمدينة الأسكندرية وكانت تحمل رأس الأسكندر وعلى ظهر العملة تمثال زيوس أمون ، ولما تولى بطليموس كملك فى عام ٣٠٥ ق.م. وضع صورته وتحته عبارة «بطليموس ملكًا» وعلى الناحية الأخرى صورة النسر الذى يحمل قاذف الصواعق ، وقد إنتشرت هذه العملة فى قبرص وبرقه وفينيقيا وأسيا الصغرى .

تأليه الأسكندر ووضع ديانة مشتركة بين الإغريق والمصريين :

فكر بطليموس فى مشروعين أولهما تأليه الأسكندر الذى كان يلقى الأحترام والعبادة من المصريين الذين سمحوا بوضع صورته كإبن أمون فى معابدهم ولهذا فكر فى خلق شعائر وكهنوت من أجل عبادة الأسكندر ، والثانى وضع أساس ديانة مقبولة للإغريق والمصريين على السواء لتوحيد الشعبين روحيًا من أجل السلام والتعايش السلمى .

حرص بطليموس على تجميل طيبه (الأقصر) على نفقته الخاصة وبنى فى الكرنـك مقصورة لفيليب أرهيدايـوس وهو يتعبـد إلى «جحوتى» رب العلم والمعرفة ، وأقام فى بهو الأعمدة تمثالاً للإسكندر ابن روكسـانا ، وصور نفسه على البوابة وهو يتعبد أمام ثالوث طيبه (أمون وموت وخونسو) . كل هذا من أجل تملق الكهنة ومشاعر المصريين الدينية ، كما حرص على حضور الأحتفالات الدينية ، ورمم المعابد الشهيرة فى صعيد مصر وفى الدلتا والتى كانت تعرضت للنهب أو الدمار ، ووصف بطليموس نفسه بأنه محبوب أمون وحمل الألقاب الملكية الفرعونية .

وبالرغم من هذا كله حرص بطليموس على إبتكار عبادة جديدة تلقى الأعتراف من المصريين والإغريق على السواء ، وقد أدرك بطليموس أن «أوزيريس» المحبوب عند المصريين لأنه يرتبط بالفيضان وبالزراعة وبالعالم الآخر ، وهو زوج «إيزيس» المحبوبة التى ترمز إلى الأرض الطيبة ، وهو والد «حورس» الذى يحمى الملوك ويرعاهم وكانت عبادة الآلهة الرئيسية قد أهملت منذ زمن ، عندئذ أدرك بطليموس لماذا لايتزعم حركة بعث أوزريس وإيزيس وحورس من جديد فى شكل له صوره وملامح إغريقيه تتناسب مع الوضع الجديد ؟ وهذا هو مافعله بالضبط فجمع صورة «زيوس» و «هاديس» الإغريقيين وبين صوره «أوزيريس» و «آمون رع» فى ملامح واحدة ، فالفكرة الدينية مصرية والتنفيذ الفنى إغريقى وخلق منهما ربًا مشتركًا إشتق اسمه من أوزيريس أبيس العجل المقدس ليتحول إلى «سيرابيس» وبنى له المعابد مثل السيرابيوم . ومع «سيرابيس» ظهرت إيزيس الهللينستيه فى الزى الإغريقى جالسة على العرش ترضع طفلها الذى أصبح بعد التأغرق «هربوقراطيس» .

وهكذا ظهر الثالوث السكندرى الهلينستى بصورة جذابة لشعوب البحر المتوسط المتأغرقة أكثر مما هى جذابة للمصريين أنفسهم وأصبحت الأسكندرية هى مقر الثالوث الجديد .

مشروعات بطليموس الثقافية والفكرية في الاسكندرية :

كذلك حرص على إحداث نهضة فكرية وفنية وعلمية فى الأسكندرية لكى تجمع بين عرش التجارة والثقافة ، ففتح أبواب القصر الملكى أمام الأدباء والفلاسفة وبسط بطليموس الذهب أمام هؤلاء العلماء والمفكرين واعدا إياهم بحياة كلها رغد ، فتدفق على الأسكندرية العلماء من كل فروع المعرفة ، وشجع التشاحن والمناظرات بين العلماء ، وقد اغرى بطليموس هؤلاء العلماء بتسهيل إتصالهم بالعلماء وتطوير ماوصلوا إليه فى الفلك والرياضة والطب بصورة إغريقية .

ولما تزايد عدد العلماء والفنانين والفلاسفة فى الأسكندرية قرر بطليموس بناء أكاديمية لهم أو جامعة ، أطلق عليها «الموسيون» أى بيت ربات الفنون والآداب التسع ، وجعله كالجنة محاطًا بالحدائق وله أبنية فخمة وحجرات وأبهية لراحة العلماء والوافدين وكانت المعيشة فيه جماعية ومجانية للأساتذة والطلاب حيث يتباحثون ويتناظرون ويتأملون ويكتبون فى هدوء تام . وهكذا فإن المشروع بداية لنهضة علمية راقية .

وتلى ذلك التفكير فى بناء مكتبة عظمى ملحقة بالمسيون أحضر لها الكتب والمخطوطات النادرة من كل مكان وخاصة من أثينا وغيرها من بلاد اليونان ، وقد حرص خلفاء بطليموس على مضاعفة أعداد الكتب والمخطوطات .

هكذا بذل البطالمة الأموال بيذخ وسخاء من أجل جعل عاصمتهم المركز الأول للإشعاع الحضارى فى الشرق الهللينستى لدرجة أن البعض يسمى هذه الفترة بالعصر السكندرى ، وبذلك نجح البطالمة فى جمع السياسة الاقتصادية بالنفوذ السياسى والتفوق الأدبى والثقافى .

نهاية بطليموس الأول سوتيروس :

ظل بطليموس الأول «سوتيروس» يعمل بنشاط لايكل وبعزيمة لاتلين حتى بلغ الثمانين من عمره ومن ثم آثر أن يختار من أبنائه لكى يرث العرش من بعده فإختار إبنه من «بيرنيكى» الذى كان قد أعده للعرش وحرص على تعليمه وتثقيفه على يد الفلاسفة والأدباء ، وبدأ بإشراكه تدريجيًا معه فى الحكم . وبعد عام ٢٨٥ ق.م. أعلن تنازله عن العرش معلنًا «**أنه خير له أن يكون أبًا لملك على أن يكون ملكًا**» ونعم بالراحة والوقار حتى موته .

بطليموس الثانى (فيلادلفوس) : ٢٨٥ - ٢٤٦ ق . م .

هكذا تولى بطليموس الثانى وهو فى الخامسة والعشرين من عمره عرش مملكة هادئة بلا صراع ولا مجهود ، وقد نشأ محبًا للترف والنعيم غير ميال للحروب والقتال ، إذ لم يخرج على رأس جيشه أبداً وإنما يترك لقواده مهمة القتال ولكنه كان داهية فى السياسة .

وكان من أكثر الناس تأثيراً عليه أخته «**أرسينوى**» الذى تزوجها وقد إنصاع إلى نفوذها وسحرها بدرجة أنه لقب بإسم «**فيلادلفوس**» أى المحب

لأخته ، ولما ماتــت رفعها إلى مرتبة الآلهة وخـلد إسمها بأن أطلقه عـلى إقليم الفيوم الذى كان قد أتم إصلاحه .

سياستة الداخلية :

بدأ بتنـشيط الحياة الأجتـماعية والثقـافية فى الأسكنـدرية بالأحتفال بـعيد جلوسه على العرش حيث تجرى الأستعراضات العسكرية والدينية وتقام الألعاب الرياضية والعروض الترفيهية التى دعى إليها وفود من كل مدن بلاد اليونان .

لقد كان حكم «**فيلادلفوس**» أغنى عصور البطالمة إذ لم تشهد البلاد رخاء وبذخًا مـثلما شـهدت فى عصـره ، كما حرص عـى دعم مكتـبة الاسكنـدرية بالمخطوطات النادرة ، وكان ولوعًا بالجغرافيـا والتاريخ الطبيعى ، وحرص على جلب مشاهير الـشعراء إلى «الموسيون» كما حرص على إقامـة حديقة حيوانات جمع فيها كل مـا هو غريب من الحيوانات والطيور من السنوبة ومن أسيا وجزر بحر إيجه .

وإذا كان بطليموس «**سوتيروس**» هو الذى وضع أساس الـدولة فإن إبنه «**فلادلفوس**» هو الذى إستكمله وزاد عليها ودعم قواعد الإدارة ومن الصعب أن نفصـل بين العصرين ، ولـقد سار «**فيلادلفوس**» على سيـاسة والده فى تنظيم وبناء جهاز الدولة الإدارى والأقتصادى والمالى وتطبيق قواعد ثابتة خاصة بالضـرائب والموظفـين والدولة وكل أجـهزتها ، كـما إهتم بـالتجارة والـتوسع التجـارى ، وبالتالى بـالأسطول المصرى ، وثـبت قواعد الـنقد وطبق إحـتكار الدولة للمصادر الطبيعية والثروات .

وزاد إهتمامه بتطوير الزراعة وأكمل مشروع تعمير الفيوم ، كما قام بإنشاء الترع والمصارف والقنوات وتطهيرها من الرواسب ، وشجع كبار الزراع على تصدير منتجاتهم ، وبالطبع كانت الدولة تفرض ضرائب باهظة على المشروعات ، كما أدخل الكثير من النباتات والحبوب والحيوانات التى لم تكن تعرفها مصر فى عصورها القديمة ، كذلك دعم جهاز القضاء والبوليس لتأمين الملاحة النيلية والبرية ولم يتردد فى إنزال العقاب بالخارجين على اللوائح . ومن الأسكندرية أدار الملك الدولة بجهاز إدارى بيروقراطى فعال .

وكانت سياسة «فيلادلفوس» الخارجية تسير على نفس المسار الذى سار عليه أبوه وهو الأستيلاء على سوريا وفينيقيا شرقًا ، وقبرص وبعض جزر بحر إيجة ومدن أسيا الصغرى شمالاً ، وبرقه غربًا ، وقد دخل «فيلادلفوس» فى صراعات عدة من أجل ذلك .

بطليموس الثالث «يورجتيس» : ٢٤٦ - ٢٢١ ق . م .

يعتبر من أعظم البطالمة إعتدالاً واتزانًا كما كان ذكيًا مثقفًا مصلحًا ، بذل قصارى جهده لدعم مركز الأسكندرية الأدبى والعلمى لتصبح كعبة النور والثقافة ، كما كان محبًا للحضارة المصرية كينبوع جديد لتغذية الحضارة الهللينستية ، وكان على علاقة طيبة بالكهنة المصريين الذين أحبوه كما أنه تصرف بحكمة للقضاء على المجاعة التى حدثت فى البلاد عندما إنخفض منسوب مياه الفيضان فأعلن تنازله عن الضرائب والمتأخرات سواء كانت عينًا أو نقداً ، وإستورد كميات كبيرة من القمح فأنقذ المصريين من هلاك المجاعة ، وأطلق عليه «يورجتيس» أى «الرحيم» لذلك كله .

، لقد كان بطليموس الثالث شديد الأحترام للمعبد المصرى وعبر عن هذا الاحترام ببناء عدد كبير من المعابد ، فقد بنى صرحًا فى الكرنك عرف بإسمه على غرار ملوك الفراعنة ، كما بدأ فى المشروع الكبير وهو بناء معبد ضخم على غرار معبد الكرنك وذلك فى إدفو وخصصه «لحورس الأدفوى» وربما كان هدفه جلب الأنظار بعيداً عن معبد آمون فى طيبه التى كانت دائمًا معادية لحكم البطالمة ، وقد بلغ ضخامة المشروع أنه لم يكتمل إلا فى عهد «بطليموس الزمار» أى أن العمل إستمر ١٨٠ عامًا ويذكرنا ذلك ببناء معبد الكرنك لأن ملوك البطالمة صاروا يضيفون إليه على غرار طريقة الفراعنة .

كان بطليموس الثالث محبًا للتاريخ وهذا واضح من إهتمامه بوضع تقويم لبداية حكم الأسرة كما حاول تطوير التقويم المصرى الشمسى وضبطه بإضافة يوم كل أربعة سنوات إلى أيام السنين الخمس التى كانت تضاف إلى نهاية السنة المصرية فأصبحت ٣٦٦ يومًا كل أربعة سنوات وهو ما نعرفه بالسنة الكبيسة وبذلك تم ضبط التقويم الشمسى المصرى والحفاظ عليه حتى جعله «**يوليوس قيصر**» أساس إصلاحه الجديد للتقويم الرومانى فيما بعد والذى أصبح بعد ذلك أساسا للتقويم الأفرنجى .

كان بطليموس الثالث محبوبًا من الإغريق والمصريين على السواء فقد حقق السلام فى الداخل والخارج والذى فى ظلاله إزدهرت التجارة والزراعة كما كان باراً بأسرته كما إبتعد عن اللهو والفسق الذى اتصف به حكم ملوك الأسرة ولهذا فقد أعلن عن تأليهه فى حياته هو وزوجته تحت اسم «الربان الرحيمان» .

ولكن العيب الوحيد الذى يؤخذ عليه أن أيام السلام الأخيرة فى حياته جعلته يهمل إعداد الجيش القوى المستعد للطوارئ، وذلك لأنه إكتفى بالدبلوماسية الذكية ، كما أن إنشغال أعدائه والملوك فى سوريا ومقدونيا بالمشاكل الداخلية شجعه على الأستكانة والسلام وبالتالى أهمل الجيش ، وهو لايعلم أن الهدوء قد يتحول فى الغد إلى صراع وأن سياسة الهجوم قد تتحول إلى سياسة للدفاع التى لابد أن يكون قوامها الجيش المستعد المدرب ، هكذا كان الحال عندما مات «يورجتيس» فى عام ٢٢١ ق. م . وتولى بعده بطليموس الرابع .

✍ ✍ ✍

الفصل الثالث

عصر الضعف والانهيار

الفصل الثالث
عصر الضعف والانهيار

بطليموس الرابع «فيلوباتور» :

يعتبر عصره نقطة تحول فى تاريخ أسرة البطالمة أو بمعنى آخر بداية العد التنازلى لحكم هذه الأسرة . كما أن شخصية الملك الجديد كانت ضعيفة ومنحلة مما جعله يقع فريسة لرجال القصر الذين سيطروا على الملك سيطرة كاملة ، وفى نفس الوقت الذى تولى فى سوريا أعظم وأقوى الملوك وهو **«أنطيوخوس الثالث»** وكذلك تولى ملك قوى عرش مقدونيا وهو الملك **«فيليب الخامس»** وهو شعلة من النشاط والطموح ، فتحالف الملكان معًا للقضاء على أسرة البطالمة الضعيفة ، فى نفس الوقت كانت روما مستغرقة فى حروبها .

ويعتقد المؤرخون أن عام ٢١٧ ق.م. هو نقطة التحول فى تاريخ دولة البطالمة وذلك بعد إستخدامهم المصريين الوطنيين لأول مرة فى تاريخ الحكم البطلمى لمصر فى الحروب وما تلى ذلك من إحراز النصر وارتفاع روح المصريين المعنوية وحنينهم للكفاح لأيام الفراعنة العظام ، وإنتشرت حركات التمرد الوطنية ضد الحكم البطلمى بل ظهرت النبؤات الدينية التى تبشر المصريين باليقظة والتحرير ، وكان على بطليموس الرابع أن يواجه ثورات المصريين العنيفة بعد أن عادت الثقة لأنفسهم لأول مرة بعد ركود قرون ، كما

أن الأقتصاد البطلمى تدهور نتيجة الفساد والرشوة والبيروقراطية وإستنزاف الحروب للقوى البشرية العاملة فى مجال الزراعة بعد تجنيد المصريين فى الجيش البطلمى .

وقد حاول بطليموس الرابع التقريب إلى الناس بتأليه لنفسه تحت إسم «فيلوباتور» أى (المحب لأبيه) بطليموس الثالث الذى كان محبوبًا من قبل الشعب المصرى لأعماله العظيمة ، ولكن «فيلوباتور» عاد إلى إغراق نفسه فى المجون والعبادة الماجنة وغير ذلك من السلوك غير السوى تاركًا شئون الحكم وظل على هذا الحال حتى عام ٢٠٥ ق.م.

بطليموس الخامس «إبيفانيس» : ٢٠٥ - ١٨٠ ق.م.

فقدت مصر ممتلكاتها الخارجية بإستثناء قبرص وبرقة ، وإزاء ذلك الخطر إضطربت تجارتها الخارجية فى البحر الأحمر وصاحب ذلك الثورات من جانب المصريين ، وتدهورت الزراعة وضعفت السلطة المركزية وفشلت فى السيطرة على البلاد ، وبدأ بطليموس يشترى ود الكهنة المصريين فمثلاً عندما توج ملكًا على البلاد عام ١٩٧ ق.م. إختار منف العاصمة المصرية القديمة وليس الأسكندرية كما عين بعض المصريين فى المناصب العليا سواء فى الجيش أو فى الإدارة ، وهو يسمى «**إبيفانيس**» أى (الإله المتجلى) .

حجر رشيد :

ومن أهم الوثائق التى تعبر عن إمتنان الكهنة المصريين لساسة التحبب والتودد إلى المصريين الذى إتبعها بطليموس الخامس هو صدور قرار المجمع

الكهنوتى المصرى الذى عقد فى منف لشكر الملك وتأييده والتعبير عن مجهوداته فى القضاء على الثوار ، وقد كتب القرار باللغة المصرية القديمة بخطيها الهيروغليفى والديموطيقى ، وباللغة اليونانية ، وقد عثر أحد جنود الحملة الفرنسية على مصر على هذا الحجر المنقوش قرب رشيد ، ولهذا عرف بإسم حجر رشيد ، وهو الحجر الذى توصل العالم الفرنسى **شامبليون** عن طريقه إلى حل رموز الكتابة المصرية القديمة وكان بداية فعلية لعلم الدراسات المصرية وبعد هزيمة الحملة الفرنسية على يد نلسون إشترط الانجليز تسليم هذا الحجر إليهم وهو لايزال موجود حتى الآن فى المتحف البريطانى بلندن . على أى حال نلحظ من قرار كهنة منف إرتفاع روحهم المعنوية وإزدياد الثقة فى أنفسهم .

ثورة طيبه ضد الحكم البطلمى :

كانت طيبه هى قلعة المقاومة المصرية لأنها كانت المركز الدينى لأمون وعاصمة الفراعنة الأولى والتى خرج منها الأبطال المحررون ضد الهكسوس بل أنها رفعت لواء المقاومة ضد الأشوريين . وقد أدى سوء الأحوال فى عهد بطليموس الرابع «**فيلوباتور**» إلى إندلاع الثورة التى طالبت بالأستقلال عن سلطة الملك فى الأسكندرية .

ولما تولى بطليموس الخامس وأبدى تودداً كبيراً للمصريين هدأت الثورات خاصة وأن الفيضان فى ذلك العام كان عاليًا فأضعف مركز الثوار مما دفعهم إلى الأستسلام ، وقد ساء الملك معاملة الثوار المستسلمين حيث أعدمهم بطريقة وحشية فعادت الثورة من جديد تنتشر فى طيبه وبلغ من عنف الثورة فى

الجنوب أن أعلنت طيبه الأستقلال عن سلطة العرش البطلمى فى الأسكندرية عام ١٨٧ ق.م. ولم يستطع القائد العسكرى البطلمى فى إقليم طيبه القضاء عليه إلا بشق الأنفس وإستولى على المنطقة الواقعة جنوب الشلال الثانى وجعلها حزامًا يفصل بين النوبة ومصر ليمنع تحريض ملوك النوبة للثوار وسار على هذه السياسة بطليموس السادس ، وما أن قضى على الثورة فى الجنوب حتى هبت ثورة فى الشمال أى فى الدلتا ضد الحكم البطلمى .

ولم يكن القضاء على الثورات بالأمر السهل إذ إضطر القصر الملكى إلى إلغاء الضرائب القائمة بل وصدر عفو شامل عن الجنود المصريين الذين إنضموا إلى الثورة ، ومنح كهنة أمون امتيازات جديدة ، وأعطى بعض زعماء المصريين مناصب عليا فى الجيش والإدارة ، وخلاصة القول أن القومية المصرية بدأت تكتسح وتتحدى لأول مرة الوجود الإغريقى سياسيًا وحضاريًا فى وادى النيل وهكذا بدأت دولة البطالمة تحصر بين شقى الرحى ففى الشمال تدخل الرومان يزداد تدريجيًا تحت شعار حماية المصريين من الأطماع وفى الجنوب بدأ تيار القومية المصرية فى الأزدياد وبدأ يطغى على تيار الحضارة الإغريقية ويصبح قوة مؤثرة يتودد الملوك إليها ، بل وبدأ الإغريق يتمصرون ديانًا وفكرًا ولم يبقى من الحضارة سوى اللغة الإغريقية التى لم تنج هى الأخرى من التمصر .

وفى ظل هذه الظروف يتوفى بطليموس الخامس «إبيفانيس» فى عام ١٨٠ ق.م. فجأة .

بطليموس السادس «فيلوميتور» ١٨٠ - ١٤٥ ق.م.

هكذا تولى أكبر الأبناء تحت وصاية أمه وعرف باسم **«فيلوميتور»** أى (المحب لأمه) كليوباترا الأولى إبنة **أنطيوخوس الثالث** ولم تكن الأم من دماء مقدونية خالصة بل النصف شرقية وبذلك أدخل على العنصر الملكى البطلمى دماء شرقية . إنفرد بعد ذلك بطليموس السادس وتوج ملكًا عام ١٧٢ ق.م. وإتجه إلى محاباة الرومان ومعاداة سوريا من أجل إنتزاع جوف سوريا وفلسطين منها . وأصبح هو وأخوه الشقيق ملكان يحكمان مصر ، واحد يحكم من منف وهو بطليموس السادس **«فيلوميتور»** وآخر يحكم من الأسكندرية وهو بطليموس الثامن **«يورجتيس الثانى»** . ولكن إزاء الخطر السورى إتفق الأخوان على أن يحكما معًا . ثم إنفرد بطليموس السادس بحكم مصر ، وزاد من علاقته بالرومان الذى كان يشعر بأنه مدين لهم بمساعدته فى الجلوس على العرش ، وهكذا إستفادت روما من خلق أخوين كل منهما يتنافس فى إظهار حبه وتودده لها ، وزاد تدخل الرومان لفرض الحماية الرومانية على مصر .

وفى مجال الإصلاح الداخلى فقد كانت إستمرار سياسة التودد إلى المصريين التى بدأها أجداده ومنح الكهنة إمتيازات خاصة وإقطاعيات حتى يشترى سكوت الشعب . . وتوفى بطليموس السادس خلال حروبه فى جوف سوريا عام ١٤٥ ق.م ، بعد أن إستعاد لمصر جوف سوريا .

بطليموس الثامن «يورجتيس الثانى» : ١٨٢ - ١١٦ ق.م.

ترك بطليموس السادس إبنًا تحت وصية كليوباترا الثانية ورث العرش بعد موت أبيه وعرف بإسم **بطليموس السابع «نيوس فيلوباتور»** وكان أبوه قد أشركه فى الحكم وقد أيد حكم الطفل الجالية اليهودية المقيمة فى الأسكندرية وقد غضب الشعب السكندرى لتدخل اليهود وكادت أن تحدث حرب أهلية لولا تدخل الرومان الذين أقروا عودة «يورجتيس الثانى» من برقه وتوليه العرش حسب رغبة الشعب السكندرى ، وبسرعة نفذ **«يورجتيس»** هذا المخطط وإستولى على العرش وقتل إبن أخيه الطفل «بطليموس السابع» ليعلن نفسه بطليموس الثامن عام ١٤٤ ق.م ، ولم يكن الملك على وفاق مع أرملة أخيه التى قادت ضده ثورة شاركها فيها الساخطون عليه من أهل الأسكندرية ، ثم إمتدت تلك الثورة إلى سائر أنحاء مصر وكانت الثورة ضد الملك عنيفة سادت البلاد كلها وشلت الإدارة والنظام ، كما أن الثورة عادت من جديد فى طيبه ، ولكن بتأييد من الرومان نجح فى فرض سيطرته على البلاد .

بعد ذلك بدأ «يورجتيس الثانى» بإعادة تنظيم البلاد وأعلن عفو للناس عرف بإسم «وثيقة العفو التام» الذى حاول فيها تحقيق الأمن والنظام وفرض عقوبات صارمة على المخالفين والمنحرفين واللصوص معلنًا عفوه التام عن جميع الجرائم التى إرتكبت من قبل ، وليهدأ الفلاحين ويعوضهم عن الكوارث التى لحقت بهم أعلن تنازل الدولة عن معظم الضرائب والمتأخرات وحصر على عاملى الضرائب إستخدام العنف ضد الفلاحين أو إستغلالهم بغير حق ، كما أعلن تشجيعه لأستزراع الأراضى البور ، كما شملت الوثيقة محاولات لإرضاء

الثوار المصـريين مثل إعفاءهـم من بعض الخدمات الإجبـارية وتحديد ملكـيتهم للإقطاعيات العـسكرية .

لقد كـان على بطليـموس الثامن ومسـتشاريه أن يفعـل ذلك لأن الأحوال كانت قـد ساءت لدرجة الـتدهور كما أن الأقـتصاد أصيـب بالدمار الـشديد ، والإنتاج الزراعـى هبط هبوطًا حاداً ، وتجارة مصـر الخارجية التي كانت تـعتمد على القمح تـأثرت وتعرضت للكساد ، ولكن هذه الإصـلاحات جاءت متأخرة كما أنه لـم تكن جذرية ومن ثـم فلم توقف التـدهور والأنهيار الذى صـاحبه إزدياد الأهتمام الرومانى بمصر تمهيداً لإحتلالها .

وأخيراً توفى «يورجتيس الثانى» تاركًا وصية يمنح فيها العرش والتصرف فيه لزوجته كليوباترا الثالثة لتختار من تشاء من أولاده الثلاثة .

بطليموس التاسع «سوتيروس الثانى» : ١١٤ - ٨١ ق.م.

وهو أكـبر أبنـاء بطلـيموس الـثامن وكان يـشغل مـن قبل وظـيفة كـاهن الأسكنـدر ، وتولى العـرش بالأشتراك مع أمـه التى لم تـكن على وفـاق معه فأثارت عليه شعب الأسكندرية وإستدعت إبنها الثانى «الأسكندر الأول» ليتولى عرش البلاد والذى عرف بإسم **بطليموس العاشر** ، وفر «سوتيروس الثانى» إلى قبرص . ولكن بطلـيموس العاشر كان ضعيفًا فثارعليـه شعب الأسكندرية فإضطر إلى الـهرب وإستدعى الشعب «بطـليموس التاسع» ليتـولى العرش مرة أخرى وظل يحكم مصر حتى مات فى عام ٨٠ ق.م.

وظلت الأحـوال فى حالة تدهـور شديد من كـافة النواحى خـاصة إزدياد

التيار الوطنى المصرى فتجددت الثورات فى طيبه ، وحاول «سوتيروس الثانى» كسب ود المصريين ببناء المعابد والتقرب إلى الكهنة ومنحهم الإمتيازات وزار إدفو ومعابد أسوان . وفى عهده دخلت العلاقات المصرية الرومانية مرحلة جديدة هى الابتزاز المالى والأقتصادى .

بطليموس الحادى عشر : الملقب بـ : « الاسكندر الثانى » :

مات «سوتيروس الثانى» تاركًا وصية أن ينتقل العرش من بعده إلى إبنته «بيرينيكى» التى تولت العرش دون معارضة شعب الأسكندرية ولكن هناك مشكلة البحث عن زوج لها من سلالة الأسرة البطلمية ، وأخيراً عثر على إبن بطليموس التاسع الذى تربى فى روما ، وبالفعل تولى بطليموس الحادى عشر ولقب «بالأسكندر الثانى» ولكنه بعد فترة وجيزة قتل زوجته غدراً ، فإنتقم السكندريون من هذه الجريمة بأن تجمهروا حول الملك القاتل فى «الجمنازيوم» وركلوه حتى قتلوه فى نفس اليوم الذى قتل فيه زوجته عام ٨٠ ق.م.

وبذلك قتل آخر وريث شرعى للعرش البطلمى وقد أشاعت روما فيما بعد أنه أودع وصية لديها بأن تؤول مصر إلى روما بعد وفاته ، ولكن هناك شكوك كبيرة حول هذه الوصية ويقال أنه زورت من قبل العناصر الرومانية الطامعة فى إحتلال مصر .

كليوباترا السابعة آخر ملوك البطالمة : ٥١ - ٣٠ ق.م.

شاء القدر أن تكون آخر سلالة البطالمة فى مصر ملكة فاقت أسلافها ذكاء ودهاء وطموحًا ، وقد أرست قواعد حكمها قويًا ، وإهتمت بالزراعة

والأقتصاد ، وتقربت إلى المصريين فراحت تتكلم المصرية وترتدى زى «إيزيس» وأعلنت أنهــا سليلة الآلهة الفرعــونية أملاً فى توحيد المصـــريين ورائها ، وكان نتيجة ذلك أن دب الأستقرار وتحسنت أحوال مصر بشكل ملحوظ وتدفق الثراء على خزينتها وعادت لمصر اهميتها الدولية كمصدر غنى لإنتاج القمح .

ونعلم أنها تــزوجت من أنطونيوس ، ثم إنتحرا ، ودخل إكــتافيوس مصر من حدودهــا الشرقيــة بقواته وذلك فــى أغسطــس حيــث أعلن ضم مــصر إلى إمبراطورية الشعب الرومانى .

وهكذا سقطت مــصر وأسدل الستار عن حكم أسرة البطــالمة والذى إستمر أكثر من ثــلاثة قرون من الزمان إمتزجــت خلاله الحضارة الإغريقيــة فكراً وفنًا ودينًا بل وعنصراً مع الحضارة المصرية ، وأصبح فــى مصر طبقتان طبقة مصرية خالصة قابعة فى أعــماق الصعيد والريف البعيد ، وطبقــة إغريقية تمصرت تمامًا وكانت تعــتبر نفسها إغــريقية - مصرية إنعــزلت عن العالم الإغريــقى الخارجى وتفاعلت مع الحضارة المصرية التى بدأت تطغى على الحضارة الإغريقية [1] .

وبدخول الرومــان مصــر وضمهــا إلى إمبراطوريتــهم يبدأ عهد جــديد من تاريخ مصر .

✍ ✍ ✍

(١) سيد الناصرى ، مصر ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ١ - ١٤٩ .

الباب الثالث

مصـــــر

فى عهد الرومان

الفصل الأول

وضع مصر كولاية رومانية

فى عصر الإمبراطور اغسطس

الفصل الأول
وضع مصر كولاية رومانية
فى عصر الأمبراطور أغسطس

اكتافيوس أغسطس فى مصر :

وبموت أنطونيوس وكليوباترا أصبح أغسطس الوريث الشرعى للملك مصر بعد الفراعنة والبطالمة وذلك بعد سقوط الأسكندرية فى يده فى أغسطس عام ٣٠ ق.م. وهو التاريخ الرسمى لفتح مصر . والحق يقال أن أغسطس كان معتدلاً فى سلوكه مع السكندريين فلم ينتقم من المدينة التى قادت منها كليوباترا وعشيقها أنطونيوس الحرب ضده ، وعفا عن شعب هذه المدينة ومن ناحية أخرى يبدو أن شعب الأسكندرية لم يقاوم الفاتح الرومانى لأن الشعب رأى أنه حكم الرومان لن يكن أسوأ من حكم البطالمة ، ولكنه نهب خزانة الأسكندرية المليئة بالذهب وأنفق الأموال على جنده ثم على المشروعات العامة وحمل معه الكثير من الكنوز والآثار عندما عاد إلى روما .

قام «أكتافيوس» بتوزيع فرق الجيش الرومانى فى مصر ولم تقتصر مهمة الجيش الرومانى على الأعمال العسكرية والحربية بل كثيراً ماقام بأعمال الشرطة وحفظ النظام ومساعدة الإدارة فى جمع الضرائب بل وفى أعمال السخرة والخدمة العامة مثل إصلاح الطرق وبناء المرافق وشق الترع وتنظيف القنوات .

كانت مشاكل الرومان مثلما كانت مشاكل البطالمة من قبل تقبع فى الصعيد

حيث القريـة المصرية والعواطف التاريـخية والمقاومة الدينيـة ولكن أدرك الثوار المصريين أن الرومـان غير البطالمة وأنهم أمـام مستعمر قاسى جـاد لايسمح بأى تساهل .

الإصلاح الاقتصادى والزراعى لمصر :

كان تدعيم مركز مصـر التجارى جزءًا من خطة متكاملة هدفـها تقوية مصر إقتصـاديًا لأن الرومان يطمعـون فى جنى ثمـارها من أجل رخاء الامبـراطورية وكان إعتماد روما كـبيراً على القمح المصرى ومن ثم كـان على «أغسطس» أن يقوم بإصلاحات عاجـلة لتحسين الدخل الزراعى الذى كان قـد إنهار إبان عصر الفوضى البطلمـية فعملوا على تطهير القنـوات وشق الترع ، وعودة نظام الرى القديم ، وقد عـاد ذلك على البلاد برخاء إقـتصادى زراعى كبير بـالإضافة إلى ذلك فقد عنوا بتأمين صهاريج المياه والآبار على طريق القوافل فى مدن وموانى البحر الأحمر ممـا أدى إلى إنعاش إقتصادى لمصر لم يشهـد له مثيل ، وقد أدى ذلك إلى إستتباب الأمن والسلام فـى ربوع البلاد ، وأحس المصريون أن حكم الرومان أفضل كثيراً من حكم البطالمة .

السياسة الرومانية إزاء المعابد والآلهة المصرية :

وإذا كانوا قـد أرضوا الفلاحين إلا أنـهم أغضبوا الكـهنة المصريـين لأنهم صادروا ممتلكات المعابد المصرية من الأراضى ونقلوا ملكيتها إلى الدولة ، ومن الجديد بالذكر أن طبقة الكهنة من المـصريين قد اثرت على حساب ضعف ملوك البطالمة المتـأخرين والذين إضطروا إلى تملق طـبقة الكهنة حيث أصبـح للمعابد المصرية ضياع معفـاة من الضرائب وأصبح للمعابد الفرعـونية سطوة لأن المعبد

تحول إلى مؤسسة وطنية لها ضياعها وصناعاتها المحلية ومن ثم أصبحت قوة سياسية خطب ودها ملوك البطالمة الضعاف طمعًا فى تأييد المصريين ضد الإغريق والمتأغرقين أنفسهم . وقد أدرك الحاكم الرومانى مدى خطورة إزدياد سطوة الكهنة والمعبد وتزايد إمتيازاته وإقطاعياته وعلاقة ذلك باشتعال نار الوطنية المصرية ، ومن ثم قاموا بتأميم أراضى المعبد وضمها إلى أراضى الأمبراطورية فى مصر ، وفى نفس الوقت سمح للكهنة بفلاحة بعض مساحات الأرض الموقوفة للمعابد بدلاً من المعونة التى كانت تقدمها الدولة للمعبد .

وجدير بالقول أن الرومان لم يتدخلوا فى الشعائر والعبادات المصرية بل تركوها وشأنها ، وعلى العكس كذلك إذ أولى الأمبراطور الرومانى إحترامًا وتبجيلاً للآلهة الوطنية بعد غزو مصر وأنشأ العديد من المعابد الضخمة والتى لاتزال أطلالها وبقاياها قائمة فى صعيد مصر فى دندرة ، وفيله (قصر أنس الوجود) تقف بقايا معابد ضخمة من عصر أغسطس ، وكذلك على حدود النوبة فى دبوت وكلابشة ودندور أقيمت معابد سجل عليها أغسطس إسمه .

ولكن رغم ذلك كله فكان «أغسطس» يحتقر العبادات الوطنية المصرية بكبريائه الرومانى فقد رفض أن يزور عجل أبيس فى منف مبديًا إمتعاضه من تلك العبادة وذلك فى أثناء تواجده فى مصر بعد فتحها .

لقد كان الحكم الرومانى فى مصر يتشابه مع الفراعنة والبطالمة وهو إستغلال هذه البلد وإعتباره ضيعة خاصة سواء للفرعون أو للبطليموس أو

للأمبراطور الرومانى ، ولكن هناك فرق كبـير بين حكم الفراعنة والبطالمة وبين حكم الرومان ، ففى الحالتين السابقتين كـان ثراء مصر يبقى داخلها بالرغم من أنه يذهب إلى خـزانة الفرعون أو البطلـيموس ، أما فى العصر الـرومانى فإن خيراتهـا كانت تنقل إلى الخـارج إلى روما ليتمـتع بها الشعب الـرومانى ، وما يذهب لايعود أى أن الحكم الرومانى بدأ نهب مصر .

الفصل الثانى

مصر تحت حكم

خلفاء أغسطس

الفصل الثانى
مصر تحت حكم
خلفاء اغسطس

الامبراطور تيبريوس: (١٤ - ٣٧ م):

إنتهت حسابات الأمبراطور أغسطس بعد أن عاش عمراً مديداً بتبنى إبن زوجته "تيبريوس" وكان فى الخامسة والخمسين من عمره عندما وصل إلى العرش ، ولهذا لم يكن متلهفًا على حب الحكم بل زاهداً عنه وكان كثير الشك والهواجس حازمًا فى الإدارة ، شحيحا فى سياسته المالية ، والحق يقال أن بداية حكم الأمبراطورية الفعلى يبدأ منذ قدومه . وقد كان حريصًا على الإنصاف والعدل حازمًا فى التعامل مع الولاه وجباة الضرائب وكل من أثروا عن طريق النفاق ، وقد ساد فى عهده هدوء وسلام مما أدى إلى سحب إحدى الفرق من مصر وإنخفض عدد قوات الجيش الرومانى فى مصر .

ومن أسباب إستتباب السلام حرص "تيبريوس" على التحقق فى أى شكوى ضد الأبتزاز أو التعسف من جانب الحكام والفصل فيها بحزم وقسوة وصراحة ، وكان هدفه عدم إثارة الشعب المصرى والسكان الإغريق مما قد ينتج عنه حركات تذمر وأعمال شغب ولهذا لانسمع فى عهده عن أى تذمر .

غير أنه سمح بنظام السخرة أو الخدمة الإلزامية وهو فرض نوع من العمل على السكان سواء بالمجان أو بأجر رمزى من أجل تنفيذ المشروعات الحيوية فى

الدولة مثل شق الترع وبناء الجسور ، ولم تقف السخرة عند الإنسان بل شملت دواب الحمل .

زيارة جرمانيكوس ولى العهد لمصر : (١٨ - ١٩ ميلادية) :

إستدعى تيبريوس إبن أخيه وولى العهد «جرمانيكوس» إلى مصر الذى زار فيها الأسكندرية ومنف والفيوم والريف المصرى حتى أسوان جنوبًا حيث إستقبل بالترحاب من جانب الإغريق المصريين ، وكان «جرمانيكوس» قد قام بأعمال قصد بها زيادة شعبيته بين أغريق مصر مثل تخفيض الأسعار وفتح صوامع الغلال للقضاء على أزمة القمح والمجاعات التى نتجت عن إنخفاض الفيضان وعمل على تخفيض ثمن القمح ، وسار فى الطرقات مرتديًا الزى الإغريقى ، وقد ألهبت هذه التصرفات عواطف الناس فطفقوا يستقبلونه بالترحاب والتهليل ، ونظمت المواكب والمظاهرات الشعبية فى القرى والمدن وقد طلب من الناس ألا يستجيبوا لأحد ووصف الأعمال الإبتزازية بأنها من أعمال اللصوصية الفاضحة .

أثارت هذه الزوبعة من العواطف المخزونة فى قلوب المصريين غضب الأمبراطور «تيبريوس» وإنتقد إبن أخيه علنًا وإتهمه بخرق القاعدة التى إستنها أغسطس العظيم وبالفعل غادر «جرمانسكوس» مصر على عجل قاصداً سوريا .

وعندما جاء الامبراطور «أغسطس» كان طبيعيًا أن يلغى سك العملة البطلمية ، بينما سك عدداً كبيراً من العملات البرونزية الخالصة ، وتلعب النقود دوراً هامًا فى الكشف عن عصور الرخاء أو الإفلاس فى مجال الأقتصاد وتعطينا صورة صادقة لتاريخ مصر الأقتصادى تحت حكم البطالمة والرومان .

الامبراطور جايوس الشهير بكاليجولا : (٣٧ - ٤١ ميلادية) :

بدأ كاليجولا إبن جرمانيكوس حكمه معتدلاً وإستبشر الناس به خيراً لأنه إبن جرمانيكوس المحبوب ، ولكن سرعان ما وقع كاليجولا فريسة لمرض شديد ترك بصماته على تفكيره فخرج منه مجنونًا يعتقد أنه إله فى صورة بشر ، ولذا فهو القانون والعدالة بعينها وكل مايراه الأمبراطور حق وعدل حتى ولو إعتبر الناس ذلك ظلمًا ، وقد إنحرف إلى حكم الإرهاب وتلفيق التهم .

وإزاء ذلك إهتزت قواعد الحكم الراسخ الذى أقامه أغسطس ودعمه تيبريوس وإنفلت الأنضباط الرومانى وتخلخل نظام المركزية الصارم فى الأمبراطورية وظهر بوضوح فى مدينة الأسكندرية حيث إندلعت الحرب الأهلية بين أهل الأسكندرية والجالية اليهودية .

الامبراطور كلوديوس : (٤١ - ٥٤ ميلادية) :

وهو عم كاليجولا وكان رجلاً عاقلاً متعمقًا فى دراسة التاريخ والفلسفة ولهذا حاول تصحيح الأخطاء الجسام التى تردى فيها الأباطرة من قبله والعوده إلى سياسة الطموح والتجارة العالمية التى بشر بها يوليوس قيصر . وهنا تفرض مسألة الصراع بين السكندريين والأغريق نفسها على السياسة الرومانية فى مصر .

ورغم كل ذلك فقد تميزت تلك الفترة بالأزدهار التجارى بين مصر وشبه القارة الهندية وشهد البحر الأحمر أعظم أيامه ، وحرصًا على الأستقرار التجارى أولى الرومان عناية كبيرة بنشر السلام فى مياه البحر الأحمر .

الامبراطور نيرون : (٥٤ - ٦٨ ميلادية) :

وقد كان شديد الولع بالثقافة الإغريقية وبالشرق الهللينستى ولذا أبدى عقب توليه مباشرة إهتماما عظيمًا بمدينة الأسكندرية خاصة فيما يختص بتنظيم مواطنيها الأحرار وقبائلها الإغريقية وأحيانًا الإدارية التى أطلق عليها أسماء جديدة وأنشأ قبائل إغريقية جديدة ، وتمنى أن يزور الأسكندرية ضمن رحلته السياحية الكبرى فى رحاب الحضارة والآثار الإغريقية العريقة وقد بادله الشرق الهللينستى هذا الحب بالحب ، فوصفوه بأنه الروح المباركة فى العالم بل الأمبراطور المخلص المنتظر مفجر البركات على الناس ، كما ظهر على نقود الأسكندرية بصفته منقذاً للحضارة والعمران .

هذا هو الجانب المشرق من شخصية نيرون فى المشرق الهللينستى بينما كانت صورته كئيبة ومرعبة فى الغرب الرومانى .

وقام بإرسال بعثة لتقص أحوال النوبة وجمعت البعثة معلومات قيمة عن تضاريس المنطقة ومناخها وحيواناتها ونباتاتها ، ووضعت خريطة توضح معالمها وقد عكست هذه التقارير إنهيار مملكة «مروى» وفقرها ونضوب مصادرها وسكانها ، وذكروا أن الهدف من هذه البعثة هو محاولة إكتشاف منابع النيل ، غير أن الهدف الأستراتيجى كان هو الإعداد لجعل مروى دولة رادعة للعدوان .

الامبراطور دوميتياتوس : (٨١ - ٩٦ م) :

شهد عصره تغييراً كبيراً فى نظرة الرومان إلى الديانة المصرية ومعابدها

وذلك بعد سياسة إطلاق السراح للآلهة الصغرى الوطنية والتى كانت قد أجبرت على البقاء فى الظل ، سجلت النقوش إنشاء معبد «الأفروديت هاتور» فى كوم امبو ، والربة «هيرا» فى جزيرة فيله ، ورسم صور للآلهة المصرية على النقود السكندرية والتى كانت وفقًا قبل ذلك على الآلهة الإغريقية أو السكندرية مثل سيرابيس وإيزيس وغير ذلك ، كما شيد معابد للآلهة المصرية - الإغريقية مثل إيزيس وسبرابيس فى روما نفسهاووصلت حتى شمال بريطانيا ، وهذه الآلهة المصرية فى صورتها الإغريقية تقليداً وبدعة جديدة من الرومان حيث وجدت إيزيس بالذات من بين الرومان عباداً مخلصين لها .

الامبراطور هادريانوس : (١١٧ - ١٣٨ م) :

ولعل أبرز شىء فى عصره غير الصراع بين الإغريق واليهود هو رحلته النيلية إلى صعيد مصر فقد وصل عبر النيل هو وزوجته وإبنه حتى وصلوا إلى مصبه وتجول بين معابد ملوك مصر الغابرين وبينما كان اليخت يتهادى على ضفاف النيل وبالقرب من الأشمونيين (مركز ملوى - محافظة المنيا) ، روى التراث أن غلام الامبراطور المفضل «أنطينووس» غرق فى النيل فحزن عليه الأمبراطور حزنًاشديداً وناح عليه ومن ثم قرر الأمبراطور أن يخلد موت غلامه ببناء حاضرة إغريقية فى نفس المكان الذى غرق فيه الصبى وهو مكان على الضفة الشرقية للنيل قرب قرية الشيخ عبادة وأطلق على المدينة إسم أنطينووس .

ولعل هادريانوس قد إختار منطقة مصر الوسطى لأنه وجدها فى حاجة إلى حاضرة إغريقية تشع الفكر الإغريقى بين حشود السكان المصريين ، لأن فى

الصعيد كانت «بطلمية» تقوم بذلك الدور ، وفى مصر السفلى كان «نقراطيس» و «الأسكندرية» تقومان بإشعاع الفكر الإغريقى فى مصر السفلى .

نظرة عامة على أحوال مصر الاقتصادية إبان هذه الفترة :

تدل كل المصادر الأثرية والأدبية على إستتباب الأمن وإضطراد الرخاء فى وضع مصر الأقتصادى ، وقد يقال أن الأسكندرية قد فقدت وزنها السياسى القديم ولكن فى الواقع أنه فقدته قبل مجىء الرومان فى عهود ملوك البطالمة المتأخرين ، ولكن الأسكندرية لم تفقد شخصيتها الحضارية أو الأقتصادية .

كان التغيير من حكم البطالمة إلى حكم الرومان غريبًا فى بدايته ولم يتقبله الناس بسهولة إلى أن تعودوا عليه وعلى ظروفه وعقليته وعن طريق الحكم المستقر المنظم والإدارة الحازمة فتمكن ولاة مصر الأول فى عصر الرومان من إعادة تنظيم البلاد إداريًا ، وحظى الريف بالقدر الكافى لأن هدف الرومان كان ضمان وصول القمح المصرى لإطعام سكان العاصمة الأمبراطورية ، وسرعان مادبت الحياة من جديد فى قطاع الزراعة بسبب مشروعات الرى وشق القنوات وحماية المزارعين من جشع جامعى الضرائب ، كما أن إستقرار الأمن والاستقرار ساعد على الازدهار السريع للريف المصرى .

وإلى جانب العناية بالزراعة أبدى أباطرة الرومان إهتمامًا كبيراً بثروات مصر الطبيعية مثل إستغلال المناجم المصرية فى الصحراء الشرقية وسيناء ، كما ازدهرت الصناعة التى تقوم على الزراعة مثل صناعة ورق البردى ، وصناعة النسيج ، وشهدت تلك الفترة تقدمًا فى صناعة الزجاج .

كما إزدهرت التجارة فى مدينة الأسكنـدرية عالميًا وجعلوا مصر نقطة المرور التجارى بـين الشرق الأوسط وأوربا الغربيـة وطريق البحر الأبيـض ، وجعلوا البحر الأحمر بحيرة نشطة تعج بالسفن التجارية ، وبـدأ الأتصال التجارى بين الهند والاسكندرية لأول مرة ، كل هذا عاد بالرخاء الأقتصادى والأزدهار على الأسكندرية وعلى تجارها .

وينعكس هذا الاستـقرار فى نوعية وكمية النقود التى تـسك فرأينا عملات فضية تـسك من سبيكة الفضة والنحاس والقصدير .

. . . . تلك هى نظرة سريعة وشاملة عـلى الأحوال السياسية والأقتصادية لمصر إبان عصر خلفاء أغسطس حتى موت نيرون عام ٦٨ ميلادية .

ويستمر تدفق وتولى الولاه الرومان على مصر ولعل ملامح مصر الرومانية فى القرن الثـالث الميلادى هو إنتشار الـفقر إذ إزداد عدد المعدمين حتـى الطبقة الوسطى بدأت تتدهـور وتتحول إلى طبقة دنيا معدمة غيـر قادرة على العطاء ، أما الفلاحين فقد كـان حظهم أشد قسوة إذ فقدوا حيازتهم الصغيرة التى كانوا يزرعونها وتحولوا إلى أجراء يعملون لقاء قروض زهيدة .

وبالـرغم من هـذا فقد كان عـهد الامبـراطور **«سيفيروس»** وأسرتـه إذا ماقورن ببـعض الأباطرة والمتأخـرين فى منتصـف القرن الثالث المـيلادى عصر إزدهار عـندمـا إشـتد إزدياد الـفـقر الأقـتصادى وأثـقلت الضرائب كواهـــل الفلاحين فهربوا ، بـالإضافة إلى إرتفاع الأسعار وإنخفاض قيـمة النقود وبدت القرى التى كانت عامرة يومًا تبدو كما لو كانت مهجورة .

لم تعد مصر بالوطن المؤثر على الأمبراطورية الرومانية لأن مواردها كانت قد نضبت ولم تعد مكمن الخطر ، حيث يستطيع رجل طموح إعلان الثورة منها ضد الامبراطور في روما لأنها لم تعد البلد البعيد الذى تعتمد عليها روما في طعامها ، وأكثر من هذا فإن مصر أصبحت منفى المغضوب عليهم من رجال البلاط . وبإنهيار مركز مصر الأقتصادى أهمل الجيش الرومانى فيها ولأن مناطق نهب أخرى جديدة جذبت إهتمام الرومان فسحبوا القوات تدريجيًا ولم يحل محلها جنود مدربون بل أن المستوى القتالى للقوات قد إنهار وتحولوا إلى مجرد حراس داخليين مهمتهم القمع وحفظ النظام وجمع الضرائب ، وأهملت الحكومة الأهتمام بالرى وتحولت الأراضى المهجورة إلى أرض بور .

وتتميز هذه الفترة بالأضمحلال السياسى والأقتصادى والأجتماعى للأمبراطورية الرومانية وتولى سلسلة من الأباطرة الذين إغتصبوا العرش . ويجد المؤرخون صعوبة أحيانًا فى تتبع سياسة وأعمال هؤلاء الأباطرة .

لقد أرهقت الأرض المصرية ولم تعد تنتج وتحمل الفلاح المصرى ولم يعد يصبر ، كما أن ثلاثة قرون ونصف من الإدارة الظالمة قضت على الطبقة المتوسطة التي كانت تعتمد عليها روما فى حكم البلاد ، وإزدادت رقعة الأرض المهجورة وإكتسحت الصحراء الأرض الخضراء ، وضاعت كل مجهودات البطالمة وأباطرة الرومان المبكرين . . . كل هذا من جراء الفكرة الخاطئة وهو وجوب إستغلال مصر بقدر الإمكان لصالح الشعب الرومانى . وفى أثناء إزدياد التدهور والأضمحلال الأقتصادى برز خطر سياسى عقائدى مصدره الشرق الأوسط ألا وهو إنتشار المسيحية فى مصر بين أواسط الفقراء والمعوذين المصريين إيمانًا بفكرة «الخلاص» من الظلم والجور وتحطيمًا لتلك الفروق

الأجتماعية لأن الجميع أبناء الله فى نظر المسيحية وأن السعادة الكبرى هى سعادة الروح والرب ، كما أن مبادىء المسيحية التى تدعو المظلوم إلى ترك الظالم لعقاب الله وعدم منازعته حتى ولو نازع الإنسان ثوبه لاقت صدى فى نفوس المصريين المضطهدين والذين لايستطيعون مقاومة الرومان ، وأقبل كثيراً من المثقفين المصريين على هذه الديانة الجديدة .

ظلت المسيحية تنتشر فى هدوء فى مصر منذ عصر "نيرون" ومنذ زيارة مرقص الرسول للإسكندرية ولكنها كانت محدودة بين الطبقات الفقيرة التى مارست شعائرها ، ولكن ما أن حل القرن الثالث الميلادى حتى كان المسيحيون فى مصر قد أصبحوا نسبة لاباس بها مما دعى السلطات الحاكمة فى مصر إلى الأعتراف بوجودها بل أن الأباطرة الصالحين قد أغمضوا أعينهم عن هذه التيارات الفكرية الروحية .

✍ ✍ ✍

الفصل الثالث

من ديوقلد يانوس حتى الفتح العربى

الإضطهاد الدينى وتطور الحضارة القبطية

الفصل الثالث

من ديوقلد يانوس حتى الفتح العربى

الإضطهاد الدينى وتطور

الحياة القبطية

ديوقلد يانوس وإصلاحاته الجذرية : (٢٨٤ - ٣٠٥) :

يعتبر «ديوقلد يانوس» آخر وأعظم الأباطرة الذين وصلوا إلى عرش الأمبراطورية وقد شخص المرض الذى كانت تعانى منه الأمبراطورية وبالتالى مصر ليس من الناحية العسكرية فحسب بل من نواحى شتى مثل النواحى الإدارية والأقتصادية ومشكلة الحكم ، ووضع لتلك المشاكل العلاج الحاسم والسريع . فنجد فى مصر تفشى الفقر وعبء الحياة والأمية وعدم الاستقرار والأمن .

ويبدو أن إحساسًا بالندم إنتاب «ديوقلد يانوس» عندما تفقد أحوال الناس ولمس الفقر والتدهور الذى تردت فيه الأسكندرية درة الأمبراطورية إبان النصف الأخير من القرن الثالث الميلادى فقد دمرت مبانيها ومرافقها نتيجة للثورات وأعمال الشغب ، وإبان قمعه هو نفسه والثورة التى قامت ضده ، وساءه أن يرى الأوبئة والحمى تفتك بالسكان وأسف لإنتشار الفقر والمجاعة بعد أن فقدت الأسكندرية مصدراً غنيًا كقاعدة تجارية بين الشرق والغرب ، حتى التجارة الداخلية كانت قد إنهارت بسبب ضعف المحصول الزراعى ، وهجر

الفلاحين الأراضى بسبب قسوة الضرائب فضلاً عن إهمال أعمال الصرف والرى مما أدى إلى إنكماش المساحة المزروعة .

وربما حاول «ديوقلد يانوس» شراء صبر السكندريين وولاءهم حفاظًا على هيكل الأمبراطورية الآيل للسقوط عندما أصدر قراراً بأن تخصص نسبة من حيازة القمح لرفع الجوع عن أهل المدينة فأقام الوالى الرومانى أثراً ضخمًا لشكر الأمبراطور ، وهو ما يعرف حاليًا بـ :

عمود ديوقلد يانوس (عمود السوارى) :

أقام الوالى نصبه التذكارى لشكر الأمبراطور داخل معبد السرابيوم الموجود بقاياه حاليًا فى منطقة كرموز (كوم الشقافة حاليًا) وهو المعبد المخصص لعبادة الأله سيرابيس . والعمود تم نحته من قطعة واحدة من حجر الجرانيت المجلوب من محاجر أسوان ويبلغ إرتفاعه حولى ٢٠,٧٥ متراً وله قاعدة ضخمة وفى قمته وضع تاج مما جعل طول الأثر ٢٦,٨٥ متراً .

وقد أطلق شعب الإسكندرية عليه إسم عمود السوارى ربما نسبة إلى كلمة «سارية» التى هى القلع المرتفع فى السفن ، ومهما كان الغرض من هذا العمود ومهما كانت ظروف إقامته إلا أنه كان ولايزال أهم معالم الإسكندرية .

ولعل إختيار الوالى لإقامة هذا النصب التذكارى هو إعتراف منه - بقصد أو بغير قصد - بأن القوة المؤثرة فى مصر الرومانية خلال القرن الثالث لم تعد القوة الإغريقية بل القوة المصرية الوطنية ، وهو دليل قاطع على إنتشار القومية المصرية على الثقافة والفكر الإغريقى .

قرر «ديوقلد يانوس» أن يشمل إصلاحه المالى إصلاح النقد المحلى السكندرى وإلغاء العزل الذى كان قائمًا منذ الفتح الرومانى وإدماج النقد المصرى فى النقد الرومانى بحيث لايسود فى الأمبراطورية كلها سوى عملة رومانية رسمية واحدة .

إن إصلاحات «ديوقلد يانوس» كانت نقطة تحول فى تاريخ الأستعمار الرومانى لمصر إذ إتجهت مصر نحو العصر البيزنطى ، نعم لقد كانت إصلاحات حازمة وعاقلة تبتغى إنقاذ وضع هذا البلد الأقتصادى المنهار ونتج عنها تغيراً جذريًا فى الإدارة والأقتصاد وأحوال الناس مخالفًا لما كان قبل ذلك .

إن إصلاحات «ديوقلد يانوس» لم تقضى على العوائق الإدارية والأقتصادية المجحفة فى مصر الرومانية بل أضعفت الثقافة واللغة الإغريقية التى سادت فى وادى النيل ، ولأول مرة بدأت اللغة اللاتينية تفرض نفسها فوق البقاع الهللينى فى مصر ، فى نفس الوقت الذى كانت فيه لغة جديدة تنبعث من الماضى وهى اللغة القبطية [1] .

ديوقلد يانوس والمسيحيين المصريين :

غير أن إصلاحاته تعرضت مرة أخرى لهزة مريرة عندما بدأ سياسة إستئصال المسيحية والمسيحين لأنه كان يرى أن نهضة الأمبراطورية هى نهضة تراثها الدينى العريق الذى يتسم بالكبرياء القومى وروح التسامى والسياسة وبنظرته الإيجابية إلى الدولة ، وبالتالى كان ينظر إلى المسيحية بأفكارها

(١) سيد الناصرى ، المرجع السابق ، ص ١٥٣ - ٣٢١ .

الإنسانية العالمية ودعوتها للمســاواة بين أبناء الله مهما كان لونهم أو عنصرهم أو لسانهم وبدعوتها إلى ترك العنف وتبنى المحبة والسلام ، بأنها مذهب فوضوى هدام يبغى هدم السيادة الأمبراطورية ويناصر الشعوب الغير رومانية على الرومان ، إلى جانب التهمة التقليدية بإلصاق الحرائق التى كانت تشب من آن لآخر بالمسيحيين وذلك منذ حريق روما الكبير فى عصر نيرون عام ٦٤ ميلادية .

وكانت دلتا النيل من المناطق التى إنتشرت فيها المسيحية كمذهب ثورى سلبى ووسيلة أيضًا سلبية لمقاومة الظلم الطبقى الرومانى وإثبات للقومية والوجود المصرى بل إن الإغريق المتمصرين وجدوا أن الحل الأمثل لهم هو قبول مذهب دينى جديد ، كما أن إخلاص المؤمنين للعقيدة حتى وجه الموت جذب الآلاف من المصريين والإغريقو مصريين لهذا المذهب الجديد ، وأصبح الإتجاه سائد نحو ميلاد كنيسة فى الأسكندرية نسبت نفسها إلى القديس مرقص أحد تلاميذ المسيح الذى جاء ليبشر بالمذهب الجديد إبان عصر نيرون وهلك فى إحدى الإضطرابات عندما هاجم الوثنيون عام ١٨ م كنيسة شرق الأسكندرية وقتلوا القديس مرقص الرسول .

وكان من الطبيعى أن تكون الأسكندرية هدفًا من أهداف «ديوقلد يانوس» من أجل ضرب مناطق المسيحيين لأنه إعتبر إنتشار المسيحية ومبادئها تحد سافر لسلطانه المؤلة على الأمبراطورية وشعوبها ، وقابل إصرار المسيحيين المصريين إصرار وتعصب الأمبراطور ورجاله فى فرض قداسة الدولة فى شخص الأمبراطور عن طريق العنف البشع المجرد من كل معانى الإنسانية وقامت المذابح التى هلك فيها الآلاف من المسيحيين الذين كانوا يمثلون كافة فئات

الشعب المصرى وطبقاته . وبلغ هول الجريمة أن المسيحيين المصريين رغم مرور أكثر من خمس عشر قرنًا من الزمان على ذلك إلا أن ذكراها لم تخبو فى نفوسهم ، ولهذا بدأت الكنيسة المرقسية القبطية تقويمها فيما بعد بتاريخ اعتلاء «ديوقلد يانوس» عرش الامبراطورية عام ٢٨٤ ميلادية حيث أطلقوا على هذا التاريخ «عام الشهداء» ، وإستمرت عمليات الإضطهاد والقتل الجماعى والتعذيب للآلاف من المسيحيين فى عهد خلفاء ديوقلد يانوس .

إلى أن نصل إلى **«قسطنطينوس»** ويصبح الأمبراطور الأوحد للأمبراطورية ويصدر قراراً بإعتبار المسيحية دينًا رسميًا معترفًا به وذلك عام ٣٢٣ ميلادية ، وكسب المسيحيين إلى جانبه ، ومن الناحية الفعلية كان ذلك سياسة عملية وواقعية لأن فلسفة الاستئصال قد فشلت بل لم تؤد إلى شىء سوى إزدياد عناد المسيحيين وثبات قاعدة الكنيسة الجماهيرية ، وكان كل ذلك خسارة على الأمبراطورية التى كانت تعانى نقصًا بشريًا نتج عنه تدهور الزراعة وتدهور فى الأقتصاد ، وترث الكنيسة الكفاح والتمرد ضد الرومان وأصبحت قوية ومسيطرة .

بداية العصر البيزنطى وازدهار الحضارة القبطية (٣٣٧ - ٦٤١ م) :

وبموت «قسطنطينوس» تغيرت الأمور فالأمبراطورية إنقسمت فعليًا وإداريًا إلى الشرق البيزنطى والغرب الرومانى ثم إنهار الغرب بينما إزدهرت حضارة مسيحية إغريقية جديدة بيزنطية لها شخصيتها ولاهوتها وفنونها لدرجة أن المؤرخين والأثريين فضلوا أن يعرفوها بالحضارة البيزنطية .

وكانت مصر تابعة لهذا الشطر الشرقى ، وتتميز الأحوال فى مصر إبان هذه الفترة التى إستمرت حتى الفتح العربى لمصر بازدياد سلطة الكنيسة وبإنتصار المسيحية وإنتشارها بين غالبية السكان ، ثم تبلورت شخصية جديدة للحضارة المصرية الإغريقية المسيحية تعرف بالحضارة القبطية نسبة إلى «إيجوبتوس» الإغريقية وتعنى المصرية ، وهى حضارة لها معالمها وفنونها الخاصة وفكرها المتميز خاصة بعد أن كونت لغة وكتابة من أشلاء الماضى وهى اللغة القبطية والتى هى مزيج من بقايا اللغة المصرية القديمة مكتوبة بالأبجدية الإغريقية بعد إضافة عدد من الحروف الخاصة الغير موجودة فى الأبجدية اليونانية .

وإستمر تعرض الأقباط المصريون للإضطهاد والثورات الدموية والمذابح البشعة والتى فاقت تلك التى قام بها الأباطرة الوثنيون ، وهرب الرهبان والقساوسة إلى الجبال والأديرة والكهوف هربًا من القتل والسجن والاضطهاد . . واستمر ذلك الحال حتى شاء الله أن ينقذ المصريين على أيدى جيوش **عمرو بن العاص** الذى إقتحم بجيوشه حدود مصر عام ٦٤١ م فى عهد عمر بن الخطاب ، وهلل الرهبان والأساقفة المصريون الهاربون فى الصحارى والكهوف وأعطاهم عمرو الأمان ، وسلم الرومان حصن بابليون ، وأخيراً سقطت الأسكندرية ودخل مصر فى عام دور جديد وحضارة جديدة وهى حضارة مصر الإسلامية .

الخاتمـــة

لقـد مررنا بتـاريخ مصـر مراً سريعًا ووقـفنا في سـرد قصتـها عند بـعض الحوادث ، ولـم نشر إلى البعض الآخر . وبين الحين والحين تكلمنا بإيجاز عن بعـض مظاهر حـضارتهـا وحاولنا أن نـشير إشـارات عابرة إلـى ماتوصل إلـيه المصريـون القدماء في بعـض نواحي مدنيـتهم ، على قـدر مايسمح به الـنطاق الضيق لهذا الكتاب .

وتبقى بعد ذلك كـله نقطة أخرى وهي فضل الحضارة المصـرية على غيرها من الأمم ، فما من شك في أن المـصريين القدماء قد حققوا الكثـير من التقدم في مختلف مـيادين الفكر والفن والعلم والأدب والـصناعة ، ولا شك في أن ثقافتهـم قد وصلت إلى غيرهم من الـشعوب ولكن ماهو الديـن الذى تدين به الإنسانية لمصر ؟ وما هو الدور الذى قامـت به مصر في تقدم الجنس البشرى ؟ وما هـو أثرها المباشر على الحـضارة الغـربية بوجـه عام ؟ الجواب علـى هذه الأسئلة يحتاج إلى كـتاب كامل بل ولأكثر من كتاب ويكفينـا أن نشير فقط إلى بعض تلك الأفضال . ففي ميدان الكتابة توصل المصريون القدماء إلى إختراعها قبيـل الأسرة الأولى أى قبـل أكثر من خـمسة آلاف سنـة ، وإستخدمـوها في حياتهم اليومية وتركوا وراءهم الكثير مما سـاعدنا على معرفة الحياة التي يحيونها في ذلـك العهد الـبعيد ، فـعلى جدران مـقابرهم نـرى ماكانوا يـنتجونـه من مصنوعات مختلـفة ، كما نقرأ في ألقاب رجالهم الكثير الـذى يدلنا على تقدم فن الإدارة في البلاد والإهتمام بشكل خاص بنظم الرى وحفر القنوات وكل ما

من شأنه تقدم الزراعة وأساليبها ، وقسموا السنة الشمسية إلى ثلاثة فصول وقسموا هذه الفصول إلى اثنى عشر شهراً وقسموا كل يوم إلى أربعة وعشرين ساعة وكانوا أول من إخترع المزولة والساعة المائية لتقسيم ساعات النهار وساعات الليل .

وكانت هناك أيضًا ميادين أخرى كالطب الذى تقدم فيه المصريون منذ عهد بعيد ، وكان هناك أطباء مختصون بالعيون وآخرون ببعض العمليات الدقيقة فى الأسنان ، وآخرون مختصون بالأمراض الباطنية . وقد لعب البردى دوراً كبيراً فى نشر العلوم والآداب فى العالم القديم ، وإن إسمه لمشتق من كلمة «بابيروس» اليونانية ، ومنها إشتق الاسم الحالى للورق فى اللغات الأجنبية .

ويقف الزائر أمام الهرم الأكبر وغيره من الآثار ويتطلع بإعجاب إلى عظمته ودقة بنائه وسيطرة القدماء على نحت الأحجار ونقلها ، ولكنه قلما يذهب تفكيره إلى أبعد من ذلك ، فلو لم يتقدم المصريون القدماء فى فنون الرياضيات والهندسة والفلك وإستخدام المعادن منذ أجيال عديدة لما تمكن المعماريون من تشييد مثل هذه الآثار الخالدة ، وقد عثر على كثير من البرديات وفيها مسائل رياضية وهندسية مختلفة وحلولها .

أسست مصر إمبراطوريتها وإتصلت بجميع مدنيات الشرق القديم وجهًا لوجه ، فأعطت ما أعطته وأخذت ما أخذته ، لقد تركت الديانة المصرية ، والحكم والعادات والفنون المصرية ، أثراً كبيراً فى تلك البلاد وإستمر هذا الأثر قرونًا عديدة بعد زوال نفوذ مصر السياسى من تلك الأقطار ، وكان نفوذ مصر الثقافى والتجارى فى فلسطين والشاطىء الفينيقى كبيراً منذ أقدم العصور ،

وكان للديانة المصرية والأدب المصرى والغناء والموسيقى أثر مرموق فى جميع الأزمنة ، وعندما قام «إخناتون» بدعوته الدينية ودعا إلى عبادة إله واحد وهو الأله «آتون» كانت تلك الدعوة هى الصيحة الأولى المعروفة فى تاريخ البشرية ، والتى تقرب من التوحيد الذى جاءت به الكتب السماوية فيما بعد .

لم يقتصر فضل مصر على نشر الثقافة والعمران فى البلاد المجاورة لها بل تعدتها إلى آفاق أبعد ، وكان الفينيقيون يذهبون إلى أقاصى بلاد العالم المعروف ويجوبون بحاره بسفنهم المحملة بالسلع التجارية وأكثرها من المصنوعات المصرية وهذا يفسر لنا العثور على كثير من الآثار المصرية في بلاد كثيرة فى أواسط أسيا وفى أوروبا ، كما يفسر لنا أيضًا إنتشار بعض مظاهر وأوضاع الفن المصرى فى بلاد بعيدة عن مصر مثل الساحل الشرقى من الهند وبعض جزر الملايو ، بل وربما أبعد من ذلك .

ويعتقد المتعلمون فى الغرب أنهم مدينون بالشيء الكثير فى مدنيتهم الحالية لليونان والرومان ، أما عن اليونان فقد تعلموا الكثير من مصر وإعترف الكثيرون منهم أنهم تعلموا من الكهنة المصريين مختلف فروع الحضارة كالقانون والطب والرياضيات والفلك والموسيقى والمسرح والفلسفة ... إلخ ، ولم يقتصر فضل مصر على ذلك بل أن روما تعلمت من أثينا كما تعلمت من مصر الشيء الكثير .

لقد قام المصريون منذ نشأة حضارتهم بدور هام فى تاريخ البشرية فقد إخترعوا الكثير من المخترعات التى ساعدت على تقدم المدنية ، وقاموا بدورهم فى نشر حضارتهم بين من جاورهم من الشعوب . لقد أعطى المصريون لغيرهم

وأخذوا منهم الكثير أيضًا ، ومرت عليهم أيام عز وسؤدد كما مرت عليهم أيام ضعف وهوان ، ولكن الروح المصرية بقيت دائمًا سليمة فى جوهرها .

وإذا كان المصريون اليوم يحتفون بتاريخ بلادهم بصفة عامة ويعتزون بتاريخ مصر الفرعونية بصفة خاصة ، فما ذلك إلا لإيمانهم بأن أجدادهم القدماء قد حققوا الكثير من معجزات المدنية فى ذلك الوقت المبكر من تاريخ البشرية ، وأنهم ساهموا فى تشييد صرحها ، وهذا مما يدعوا إلى الفخر والإعزاز .

كم من أسرات حكمت وزالت ، وكم من غزاة جاءوا وذهبوا ، وكم من عتاه حكموا ثم اختفوا مشيعين باللعنات ، وكم من حكماء وفنانين عاشوا فقراء ولكنهم تركوا ثروات خالدة بعد موتهم . لقد أصبحت المعابد الكبيرة آثاراً يزورها الناس ونقلت أكثر تماثيل آلهتها إلى المتاحف المختلفة فى أرجاء العالم ، ولكن بالرغم من هذا كله فإن من يزورها يتعلم الشيء الكثير . لقد سكت صوت التاريخ ولكن مازال يتردد بين أبهاء هذه المعابد وحجراتها بل وبين خرائبها يهتف بمجد مصر ، وكل حجر نراه فيها ليس إلا كلمة أو سطراً أو صفحة فى ذلك الكتاب الكبير الضخم الذى سطره المصريون أنفسهم .

إن روح مصر القومية سليمة قوية ، وستظل دائمًا وزالت الدول وزال الغزاه وبقيت مصر وبقى الشعب المخلص لتقاليده وتاريخه منذ آلاف السنين ، وستظل للمصريين تقاليدهم المجيدة طالما بقى النيل جاريًا بين شاطئيه يفيض بالخير والبركات ، وهو باق بإذن الله إلى أبد الآبدين .

تم بعون الله وتوفيقه .

محتويات الكتاب

الموضـــوع **الصفحة**

الموضــــوع **الصفحة**

الفصل السابع

الفترة الإنتقالية الثانية او عصر اللامركزية الثانى

الفصل الثامن

الدولة الحديثة او عصر الامبراطورية

الموضــــوع **الصفحة**

الموضـــوع **الصفحة**

الفصل الثالث

من ديوقلد يانوس حتى الفتح العربى